



الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي
قسم الدراسات الإسلامية

المنهج النقدي في تفسير الإمام الشوكاني فتح القدير (عرض ودراسة)

The Critical Approach in the Interpretation of Imam Al-Shawkani's Fath al-Qadeer
(Presentation and Study)

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

الباحث /عاصم محمد حسن علان

إشراف

الدكتور / عبدالحق القريضي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استهلال

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وجعل العلم نورًا يهدي به من يشاء من عباده. أما بعد، فإن هذه الرسالة هي ثمرة جهدٍ طويلٍ ومثابرةٍ في سبيل العلم والمعرفة، وقد خُطَّت بحبر الأمل والتفاني، وفي هذا المقام، أود أن أعبر عن تقديري وامتناني العميق لكل من كان له الفضل في توجيه خطواتي ودعمي طوال رحلة هذه الدراسة.

إهداء

أهدي هذا العمل البحثي إلى أخي الشهيد/أحمد محمد حسن علان
الذي مُنذ نعومة أظفاري وهو يوجهني إلى هذا العلم وإلى بلوغ هذا الصرح ..
كذلك إلى والديّ العزيزين وإلى زوجتيّ الحبيبتيّ وأولاديّ الأعزاء ..
وكذلك إلى أبطال غزة الميامين ..

شكراً

الحمد لله الذي بفضلہ تتم الصالحات، له الحمد أولاً قبل البداية وآخرأ بعد النهاية على ما وفق ويسر لاختيار هذا الموضوع وإتمامه، فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ثم الشكر لكل القائمين على هذا الصرح العلمي (جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية) والسادة الأساتذة والعاملين فيها، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور/ عبدالحق القريضي ؛ الذي شرفني بالإشراف على هذه الرسالة ؛ فجزاه الله عني خير الجزاء ...

ملخص الرسالة

هذه الدراسة بعنوان: (المنهج النقدي في تفسير الإمام الشوكاني فتح القدير (عرض ودراسة)، وقد استهدفت هذه الدراسة بيان أهمية النقد في التفسير وإبراز أهم مجالاته، وجمع ودراسة انتقادات الإمام الشوكاني للعلماء في تفسيره، وكذلك معرفة المنطلقات التي بني عليها نقد الإمام الشوكاني في التفسير.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف اتبعت البحث المنهج الوصفي الاستقرائي الاستنباطي، وتأتي مشكلة البحث تكمن في قلة الدراسات التي تهتم ببيان المنهج النقدي في التفسير عند الإمام الشوكاني. وتتجلى هذه المشكلة من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما المنهج النقدي المتبع عند الإمام الشوكاني في تفسيره؟ ماهي المنطلقات التي بني عليها الإمام الشوكاني نقده في تفسيره؟ بماذا تميز الإمام الشوكاني في نقد أقوال المفسرين؟

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج؛ لعل أهمها: أن الإمام الشوكاني استخدم منهجاً نقدياً دقيقاً في تحليل اللغة والقراءات في تفسيره "فتح القدير"، وقد اعتمد على آيات قرآنية متعددة لتوضيح هذا المنهج، مما يبرز تميزه في تناول الجوانب اللغوية في التفسير، وقد ركّز الشوكاني على استخدام النقد لتوضيح المعاني التفسيرية وتوجيهها نحو فهم أدق للسياق القرآني. وقد استند في ذلك إلى أمثلة متنوعة تبرز مدى دقته وتعمقه في النقد.

كما أظهر الشوكاني تميزاً في التعامل مع الروايات والأحاديث من خلال نقد السند والمتن، وقد بينت الدراسة كيفية تحقيقه للتوازن بين الالتزام بالنصوص الشرعية وعدم التعصب للرأي الواحد.

الكلمات المفتاحية: (المنهج النقدي - تفسير القرآن الكريم - الإمام الشوكاني - كتاب فتح القدير).

ABSTRACT

This study is entitled: (The Critical Approach to the Interpretation of Imam Al-Shawkani's Fath Al-Qadeer (Presentation and Study)).

This study aimed to explain the importance of criticism in interpretation and highlight its most important areas, and to collect and study Imam Al-Shawkani's criticisms of scholars in his interpretation, as well as knowing the starting points on which Imam Al-Shawkani's criticism was built. In interpretation.

In order to achieve these goals, the research followed the descriptive, inductive and analytical method The problem of the research comes from the lack of studies and the lack of interest in explaining the critical approach to interpretation according to Imam Al-Shawkani. This problem is demonstrated by answering the following questions

What is the critical approach followed by Imam Al-Shawkani in his interpretation? What are the principles on which Imam Al-Shawkani based his criticism in his interpretation? What distinguished Imam Al-Shawkani in criticizing the commentators' statements?

Al-Shawkani also showed excellence in dealing with narrations and hadiths by criticizing the chain of transmission, the text, and consensus. The study showed how to achieve a balance between adherence to legal texts and not being intolerant of one opinion

Keywords: (The critical approach – Interpretation of the Holy Qur'an – Imam Al-Shawkani – The Book of Fath Al-Qadeer).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين، خير من دلنا على الله وهدانا إليه، منقذ البشرية أجمعين ومعلمها، أرسله الله رحمة للعالمين، وجعل القرآن الكريم معجزته الخالدة إلى يوم الدين أما بعد:

فقد قيض الله تعالى لهذا الدين رجالا يحفظونه، سواءً أكانوا في العلم أو في الجهاد، فحفظهم به وحفظه بهم، منذ زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا، فأضأوا لنا بمآثرهم الطريق في زمن التخبط والجهل والظلام، ومن هؤلاء الجهابذة الإمام العلامة، "محمد بن علي بن محمد الشوكاني (1173- 1250 هـ) الذي ملأت مؤلفاته المكتبة الإسلامية، ومنها كتابه في التفسير الذي جمع فيه بين فني: الرواية والدراية سماه ب (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، وللإمام الشوكاني انتقادات كثيرة على العلماء من خلال كتابه هذا، مما حملني على البحث في إبراز منهجه في النقد في الجوانب المختلفة، العقلية والنقلية (الدراية والرواية)، في اللغة والقراءات والفقهاء والأحكام والأحاديث..، والحمد لله حين وفقني لتقديم هذا البحث والذي هو بعنوان: (المنهج النقدي في تفسير الإمام الشوكاني فتح القدير - عرض ودراسة).

مشكلة البحث:

تأتي مشكلة البحث من قلة الدراسات وعدم الاهتمام ببيان المنهج النقدي في التفسير عند الإمام الشوكاني. وتتجلى هذه المشكلة من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما المنهج النقدي المتبع عند الإمام الشوكاني في تفسيره؟
2. ما أبرز المجالات النقدية التي ذكرها الإمام الشوكاني في تفسيره؟
3. ماهي المنطلقات التي بنى عليها الإمام الشوكاني نقده في تفسيره؟
4. بماذا تميز الإمام الشوكاني في نقد أقوال المفسرين؟

أهمية الموضوع واسباب اختياره:

- مكانة الإمام الشوكاني العلمية، ومكانة تفسيره فتح القدير .
- ضعف الدراسات في جانب المنهجية النقدية عند الإمام الشوكاني، ولا توجد دراسات نقدية في تفسير فتح القدير، بحسب علمي.

- الإسهام في إثراء مكتبة التفسير العلمية.
- تنمية الملكة العلمية من خلال تفحص المنهج النقدي للإمام الشوكاني في التفسير.

أهداف البحث:

- بيان أهمية النقد في التفسير وإبراز أهم مجالاته.
- جمع ودراسة انتقادات الإمام الشوكاني للعلماء في تفسيره.
- معرفة المنطلقات التي بني عليها نقد الإمام الشوكاني في التفسير.
- تمكين الباحثين والدارسين من الاطلاع على منهج الإمام الشوكاني النقدي في التفسير.

حدود البحث:

- ويدور البحث حول كتاب: (فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير) للإمام الشوكاني، واقتصر الباحث على جمع مواضع النقد في التفسير في الجوانب اللغوية، والسند والمتن، ونقده للقراءات، واهتمامه بالسياق القرآني، والإجماع.

المنهج العام لكتابة البحث:

- اتبعت المنهج الوصفي الاستقرائي الاستنباطي وألخص إجراءات ذلك في النقاط الآتية:
- جمع الانتقادات المتعلقة بالتفسير في المجالات المحددة في الخطة، من تفسير فتح القدير، ودراستها. وذلك بذكر ما يلي:
- التعريف بألفاظ العنوان.
- ترجمة الإمام الشوكاني.
- عرض أقوال العلماء وبيانها.
- التعليق بعد المسائل التي نقد فيها الإمام الشوكاني العلماء بحسب الحاجة.
- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية، وكتابتها بالرسم العثماني.
- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بذلك، وإن كان من خارجه أثبت حكمه من أقوال علماء الفن.
- عزو النصوص والأقوال إلى مصادرها.

- توضيح الألفاظ الغريبة التي تحتاج ذلك، إن وجدت.
- التعريف بالأعلام، من غير الصحابة. (باختصار).
- وضع فهرس البحث، بحسب منهجية الدراسات العليا في الجامعة.

الدراسات السابقة: هناك دراسات سابقة:

- بعد القراءة الفاحصة والبحث في المواقع والمكتبات العالمية عن الدراسات في موضوع البحث وحسب علم الباحث لم أجد دراسة تناولت المنهج النقدي في تفسير الشوكاني فتح القدير، وقد وجدت دراسات حول الإمام الشوكاني في علومه المختلفة، ومنها الدراسات الآتية:

1. (منهج النقد الأصولي عند العلامة الشوكاني "الاستدلال خارج محل النزاع")، وهي دراسة تبين منهج نقد الإمام الشوكاني للمسائل والقواعد الأصولية خارج محل النزاع، والدراسة لم تتطرق مطلقاً للمنهج النقدي في التفسير، وهذا ما ستميز به دراستي.

2. (الإمام الشوكاني مفسراً)، وهي رسالة دكتوراه للدكتور محمد حسن الغماري من جامعة أم القرى، تحدث فيها عن تفسير الشوكاني بشكل عام ولم يتطرق بشكل خاص للموضوع لكنني استفدت منه.

3- منهج النقد عند الإمام الشوكاني من خلال تفسيره- أطروحة دكتوراه، للباحث /فائز محمد حسن السومحي، وهذه الرسالة لم أطلع عليها إلا بعد الانتهاء من كتابة رسالتي.

خطة البحث (هيكل البحث):

وقد جاء البحث مكوناً مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول:

المقدمة وتحتوي على: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة وحدود البحث والمنهج العام والإجراءات.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث، وترجمة الإمام الشوكاني

أولاً: التعريف بمصطلحات البحث.

ثانياً: ترجمة الإمام الشوكاني:

الفصل الأول: منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب اللغة والقراءات والعقائد.

المبحث الأول: منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب اللغة.

المطلب الأول: تقديمه للتفسير النبوي على المعنى العربي.

المطلب الثاني: نقده للغويين.

المطلب الثالث: تقديمه للحقيقة الشرعية على اللغوية.

المبحث الثاني: منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب القراءات وفيه عدة مسائل.

المطلب الأول: إذا كان للكلمة قراءتان أو أكثر يوفق بينهما ويرجح أحياناً.

المطلب الثاني: اعتماد الشوكاني على قوة العربية الفصحى في تقييم القراءة.

المطلب الثالث: ترجيح المتواترة ونقد الشاذة.

المبحث الثالث: منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب العقائد

المطلب الأول: تفسير آيات الصفات

المطلب الثاني: الهدى والضلال

المطلب الثالث: صاحب الكبيرة

المطلب الرابع: دخول الجنة

الفصل الثاني: منهج الإمام الشوكاني النقدي في السياق والمعاني التفسيرية

المبحث الأول: منهج الإمام الشوكاني في النقد في المعاني التفسيرية ودلالاتها.

المطلب الأول: تقرير المعاني يكون بناء على اللغة والرواية،

المطلب الثاني: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن أمثلة ذلك:

المبحث الثاني: منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب السياق والمناسبات.

المطلب الأول: رفض علم المناسبات بشكل عام

المطلب الثاني: القرآن بترتيبه الحالي هو كما أنزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن الترتيب توقيفي من عند الله.

المطلب الثالث: التوازن في تطبيق المناسبة بالنص .

المطلب الرابع: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الفصل الثالث: منهج الإمام الشوكاني النقدي في السند والمتن والإجماع

المبحث الأول: نقد الشوكاني في جانب السند

المطلب الأول: اعتماد الرواية الصحيحة ونقده للضعيفة، ومن أمثلة ذلك:

المطلب الثاني: إذا وجد انقطاع في الإسناد ومن أمثلة ذلك:

المبحث الثاني: نقد الشوكاني في جانب المتن.

المطلب الأول: تأويل النص القرآني الدقيق ومن أمثلته :

المبحث الثالث: نقد الشوكاني في باب الإجماع.

المطلب الأول: استدراكه على الاجماع ومن أمثلته :

المطلب الثاني: اعتماده الإجماع القطعي :

الخاتمة

هذا وأحمد الله العلي القدير على ما تفضل به علي وامتن، ووفقني لاختيار هذا الموضوع، وأعانني على إتمامه فله المنة والشكر على نعمه التي لا تحصى .

والله أسأل أن يرفعنا ويرفعنا بالقرآن الكريم، وأن يجعلنا من خدام كتابه العظيم، وأن يسددنا ويرزقنا إخلاص النية وقبول العمل .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه وزوجاته أمهات المؤمنين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

التمهيد:

التعريف بمصطلحات البحث، وترجمة الإمام الشوكاني

أولاً: التعريف بمصطلحات البحث.

المنهج النقدي:

(أ): مصطلح (منهج): لغة: " (المنهج) بوزن المذهب، و(المنهاج) الطريق الواضح، و(نَهَج) الطريق أبانه وأوضحه." (1)

اصطلاحاً: يطلق المنهج في الاصطلاح على استعمالين:

" الأول: استعمال مادي حسي، حيث يطلق على الطريقة الواضحة المستقيمة التي يعرفها الإنسان ويتمكن من سلوكها والسير عليها بقدميه.

الثاني: استعمال معنوي نظري، حيث يطلق على الخطة العلمية الموضوعية المحددة المرسومة الدقيقة، التي يتعرف عليها الباحث أو الدارس، ويقف على قواعدها وأسسها، ويلتزم بها، لتكون دراسته علمية منهجية موضوعية صحيحة" (2)، والاستعمال الثاني هو المقصود في هذا البحث.

وعليه فإن " منهج المفسر هو الخطة المحددة التي وضعها المفسر عند تفسيره للقرآن الكريم، والتي انعكست في تفسيره الذي كتبه، وصارت واضحة فيه، هذه الخطة تقوم على قواعد وأسس، وتتجلى في أساليب وتطبيقات" (3)

(ب): (النقد) في اللغة: "تَقَدَّ الشيء نَقْدًا نَقَرَهُ لِيخْتَبِرَهُ أَوْ لِيَمِيزَ جِيدهُ مِنْ رَدِيئَةٍ، يُقَالُ نَقَدَ الطَّائِرُ الفَخَّ وَنَقَدْتُ رَأْسَهُ بِإِصْبَعِي وَنَقَدَ الدَّرَاهِمَ وَالدَّنَانِيرَ وَغَيْرَهُمَا نَقْدًا وَتَنَقَّدَا مِيزَ جِيدهَا مِنْ رَدِيئِهَا" (4).

(1) الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، 5/1، المكتبة العصرية، بيروت. 1420 هـ: ص 320.

(2) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط 3، دمشق: دار القلم، 1429 هـ. 2008، ص 16.

(3) الخالدي، المرجع السابق، ص 17.

(4) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، تحقيق: مصطفى الزيات وآخرون، دار الدعوة القاهرة ص 944.

اصطلاحًا: يُعرف النقد "بأنه في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة، أو إلى الشعر خاصة، يبدأ بالتذوق؛ أي القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم"⁽¹⁾.

(ج): تعريف المنهج النقدي: من خلال ما تقدم يمكن أن نعرف المنهج النقدي بأنه: الطريق المتبع أو الخطة المنهجية المحددة التي من خلالها نستطيع أن نقيم موضوع النقد ونعرف الصواب من الخطأ فيه، ثم نقوم بالتصويب والتقريب والبيان والتوضيح والتعليل لما سبيله ذلك.

أما الدراسة التي بين أيدينا فهي في إيضاح الطريقة المتبعة عند الإمام الشوكاني في نقده العلماء في تفسيره (فتح القدير) في جوانب عدة من خلال تبينها وتوضيحها وتصحيحها بحسب القدرة والاستطاعة.

مفهوم النقد التفسيري: النقد التفسيري: هو عملية قراءة المقالات التفسيرية والحكم عليها، وهو يركز على تفسير النصوص وتحليلها بشكل دقيق، مع محاولة فهم المعاني العميقة والمقاصد وراء النصوص أو الأعمال، يهدف هذا النوع من النقد إلى تفسير الرموز والموضوعات والأساليب، ويعتمد على تقديم تفسير مدعوم بالأدلة والتحليل المنطقي، وتتميز عملية النقد التفسيري بالتركيز على فهم النص في سياقه، كما يولي اهتمامًا كبيرًا بتحليل اللغة والأسلوب وأبعاد العمل الأدبي أو الفكري، في المجالات الأدبية والدينية، يستعمل النقد التفسيري لفهم النصوص القرآني⁽²⁾.

إذن، النقد التفسيري هو عملية تسعى لفهم وتفسير النصوص من خلال رؤية عميقة تتجاوز الفهم السطحي للكلمات، مع الأخذ في الاعتبار السياق الكامل الذي يقع فيه النص.

(1) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت. 1983 ط 4 ص 8.

(2) عبد الباري، عبد المجيد الشيخ، الروايات التفسيرية في فتح الباري، الناشر: وقف السلام الخيري، الطبعة:

الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م: 12/1.

ثالثاً: المنهج النقدي عند الإمام الشوكاني السمات والأساليب والمنطلقات:

اتسم النقد عند الشوكاني بالآتي: لقد كان الشوكاني - رحمه الله - إماماً قاضياً مفتياً تزلّع في كثير من العلوم، وألف فيها، وأسهم في بناء طلابها، فالتفسير والفقه واللغة والعقيدة والحديث والأدب برع فيها، واجتهد، ويشهد له الميدان والمكتبة الإسلامية وطلابه الزاخرون من بعده بالعلم عنه.

قال عنه العلامة حسين عبد الله العمري: "إنه علامة فقيه أصولي محدث مفسر ناقد محقق لغوي مؤرخ أديب قاضي مصلح سياسي، وهو العالم المجتهد المحارب للجهالة والتعصب والداعي إلى الحرية والتحرر من ربة المذهبية الضيقة والتقليد الأعمى، الناقد على طغيان الحكام وجور الولاة وارتشاء القضاة وفساد الموظفين"⁽¹⁾.

ولما كان الشوكاني بحراً يتدفق بالعلم للناس والأمة كان له منبره الخاص في النقد ومكانته السامية، وجهده الرامي لإبراز الحقيقة والبعد عن الجهل والتكلف، ولقد أحصيت بعض السمات والأساليب النقدية عنده - رحمه الله - في جميع الجوانب سأذكرها إن شاء الله - مبيناً ذلك في الآتي:

• بروز الشخصية الصلبة وتحديد الموقف مع تعزيزه بالشواهد: تقدم الشوكاني

للإفتاء وهو في العشرين من عمره، وكانت ترد عليه الفتاوى من خارج صنعاء، وشيوخه إذ ذاك أحياء، وكانت الفتوى تدور عليه وحده، وهو في هذه السن، وكان لا يأخذ على الفتوى شيئاً تنزهاً، فإذا عوتب على ذلك قال: أنا أخذت العلم بلا ثمن فأريد إنفاقه كذلك⁽²⁾

• التوجيه المصيب والتمتن: قال الشوكاني: "واختلف أهل العلم في قوله (والراسخون

في العلم) هل مقطوع عما قبله أم معطوف؟ والذي عليه الأكثر أنه مقطوع وأن الكلام تم عند قوله إلا الله"⁽³⁾

• الوضوح وكشف الغموض: "إن القارئ لتفسير الشوكاني والمحص له تمحيصاً

علمياً لغوياً، يجد فيه صناعة تفسيرية لغوية فريدة، ومنهجاً لغوياً متكاملاً"⁽⁴⁾

(1) يُنظر: ديوان الشوكاني ص 13.

(2) رسالة ماجستير، أحمد عبد الله المقرئ، القراءات في تفسير الشوكاني فتح القدير، إشراف: الشيخ عبدالقادر

شيبية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - السعودية، 1404هـ - 1405هـ، ص 2

(3) الشوكاني فتح القدير: 1 / 362

استعماله ألفاظاً ذات بعد إيجابي: قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى { - ٦٦ - وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا } (سورة النساء: 66)، (قليل) قرأه الجمهور: بالرفع على البدل. وقرأ عبد الله بن عامر⁽¹⁾، وعيسى بن عمر⁽²⁾: إلا قليلاً: بالنصب على الاستثناء، وكذا هو في مصاحف أهل الشام، والرفع أجود عند النحاة³.

قوله والرفع أجود.. يدل على أنه استعمل لفظاً إيجابياً وإلا لقال والرفع أصح سيكون المفهوم حينها أن ما سواها خاطئ.

نقد الشوكاني هنا يتميز بطابع إيجابي من عدة جوانب: يذكر القراءات المختلفة للآية، مشيراً إلى أن هناك تنوعاً في كيفية قراءة "إلا قليل" بين القراء وهذا يُظهر تقديره للتقاليد القرائية المختلفة ويعترف بشرعية الاختلافات في القراءة، ويوضح أن قراءة الجمهور بالرفع "إلا قليل" هي على البدل، بينما قراءة عبد الله بن عامر وعيسى بن عمر بالنصب "إلا قليلاً" هي على الاستثناء؛ هذا التفصيل يساعد القارئ على فهم الخلفية النحوية لكل قراءة، فعندما يقول "والرفع أجود عند النحاة"، يقدم تقييماً موضوعياً يعتمد على القواعد النحوية المتفق عليها؛ هذا يظهر اهتمامه بالدقة العلمية والنحوية دون التقليل من قيمة القراءات الأخرى.

(4) مجلة علوم اللغة العربية و آدابها، العدد 13 ج 2 . في 2018م، ص 207، نقلاً عن رسالة ماجستير، منصر عباس، سمات التفسير اللغوي عند الإمام الشوكاني من خلال تفسيره فتح القدير، جامعة الوادي - الجزائر

(1) هو أبو محمد، عبد الله بن عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك. وقد تقدم تمام نسبه عند اسم أبيه عامر العنزي. قبض النبي - صلى الله عليه وسلم -، وله أربع سنين، أو خمس، وهذا عبد الله هو الأصغر، وله أخ اسمه عبد الله أكبر منه، وكلاهما يكنى [٥٧٧] أبا محمد. واستشهد الأكبر يوم الطائف. ومات الأصغر سنة خمس وثمانين، وقيل: سنة سبعين. (١٤٣٨) تهذيب الكمال (٦٩٨/٢)، الجرح والتعديل (١٢٢/٥)، ميزان الاعتدال (٤٢٥/٢)، تاريخ البخاري الكبير (٥٧/٥).

(2) هو عيسى بن عمر، أبو عمر، الهمداني الكوفي، من موالي بني أسد، المقرئ، أخذ القراءة عرضاً عن طلحة بن مصرف، وعاصم بن بهدلة، والأعمش. تلا عليه: الكسائي؛ وعبد الرحمن بن أبي حماد، حدث عن عطاء بن أبي رباح، وحماد الفقيه، وعنه ابن المبارك، ووكيع، وأبو نعيم، وخلاد بن يحيى وغيرهم، وثقه ابن معين وغيره. وكان مقرئ الكوفة في زمانه بعد حمزة، ومعه. قال العجلي: كوفي ثقة، رجل صالح كان أحد قراء الكوفة رأساً في القرآن. سير أعلام النبلاء ٧ / ١٩٩، وتهذيب التهذيب ٨ / ٢٢٢ .

(3) الشوكاني، فتح القدير: 560/1

كما أنه يعكس تواصلاً علمياً مبنياً على الأدلة النحوية والمعرفية، مما يعزز النقاش البناء بين العلماء وطلاب العلم، ولم يقلل من شأن قراءة النصب، بل أوضحها وأعطى تفاصيل عنها، مما يعكس تقديره للآراء المختلفة

من خلال نقده الإيجابي، يقدم الشوكاني نموذجاً للاختلاف البناء في التفسير القرآني، حيث يبرز تقديره للاختلافات القرائية والنحوية ويعزز فهم القارئ من خلال الشرح والتفصيل.

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ (آل عمران 176). قوله: ولا يحزنك " قرأ نافع⁽¹⁾: بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ ابن محيصن بضم الياء والزاي، وقرأ الباقر: بفتح الياء وضم الزاي، وهما لغتان، يقال: حزني الأمر وأحزني، والأول أفصح⁽²⁾.

قوله أيضاً والأول أفصح يدل على أن كلا القراءتين فصحة، ولكن الأولى أفصح لغوياً، في هذا النص يظهر البعد الإيجابي في نقده في الأمور الآتية:

يوضح أن كلا القراءتين ("حزني" و"أحزني") فصحتان، مما يدل على تقديره لتعددية القراءات في القرآن وعدم إقصاء أي منها.

هذا يعزز من فكرة قبول التنوع في النطق والتعبير اللغوي، وهي الأفصح لغوياً، لكنه لا ينفي فصاحة القراءة الأخرى.

هذا النوع من النقد يعزز فهم القارئ للفروق اللغوية الدقيقة مع الحفاظ على التقدير لجميع القراءات، وهو هنا لا يقتصر على إعطاء حكم، بل يشرح الفرق بين "حزني" و"أحزني"، ويبيّن أن كليهما يستعمل في اللغة. هذا يزيد من الوعي اللغوي لدى القارئ، ويعزز من قدرته على فهم النصوص بشكل أعمق، وفي قوله "الأول أفصح"، يظهر أنه يقدم نقداً بناءً يعتمد على المعايير اللغوية المتعارف عليها، مما يساعد على تحسين فهم القراءات وتقييمها دون التقليل من شأن أي منها.

(1) نافع أحد القراء السبعة ابن عبد الله بن أبي نعيم الإمام المقرئ أبو عبد الله المدني قارئهم المشهور، هو من تابعي التابعين. توفي سنة 169. غاية النهاية في طبقات القراء 2 / 330، والأعلام 8 / 5.

(2) الشوكاني، فتح القدير، م 1/ص 461

من خلال هذا النقد الإيجابي، يقدم الشوكاني نموذجًا لكيفية التعامل مع اختلاف القراءات في القرآن، حيث يتم تقدير جميع القراءات وتقديرها مع الإشارة إلى الفروق اللغوية بطريقة تعليمية وبناءة

• اعتماد النقل، بحيث ينقل حديثاً أو آية؛ ليحتج بها على صاحب القول: فقد

استعمل الشوكاني في نقده النقل من الكتاب والسنة والأثر واللغة: قال الشوكاني -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة 143)، قال القرطبي: اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس، ثم قال: فسمى الصلاة إيماناً لاجتماعها على نية وقول وعمل، وقيل: المراد: المؤمنین على الإيمان عند تحويل القبلة، وعدم ارتيابهم كما ارتاب غيرهم. والأول يتعين القول به، والمصير إليه لما سيأتي من تفسيره -صلى الله عليه وسلم- للآية بذلك⁽¹⁾.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر 87).

: "اختلف أهل العلم في السبع المثاني ماذا هي؟ فقال جمهور المفسرين: إنها الفاتحة. قال الواحدي: وأكثر المفسرين على أنها فاتحة الكتاب، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة والربيع والكلبي، وزاد القرطبي: أبا هريرة وأبا العالية، وزاد النيسابوري: الضحاك وسعيد بن جبیر، وقد روي ذلك من قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما سيأتي بيانه فتعين المصير إليه"⁽²⁾.

تلاحظ قول الشوكاني -خاصة- إن كان هناك نص من النبي -صلى الله عليه وسلم- يذكر التعيين؛ أي: يقصد بذلك الوجوب والانصراف عن غيره وتأكيده والمثول له، كونه لا ينطق عن الهوى، فلا معارض لكلامه في تفسير هدي ربه.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة 114)، قال:

"وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مرويه عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال:

(1) الشوكاني، فتح القدير، 1/ 175

(2) المصدر السابق 3/ 170

قال رجل: يا رسول الله! ما الأواه؟ قال: (الخاشع المتضرع بالدعاء)⁽¹⁾، وهذا إن ثبت وجب المصير إليه وتقديمه على ما ذكره أهل اللغة في معنى الأواه⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا فِي الْيَمَامِي فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنِي وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء 3)، قال: "فقوله: فانكحوا ما طاب لكم من النساء متني وثلاث ورباع معناه: لينكح كل فرد منكم ما طاب له من النساء، اثنتين اثنتين، وثلاثا وثلاثا، وأربعا وأربعا، هذا ما تقتضيه لغة العرب، فالآية تدل على خلاف ما استدلو بها عليه، ويؤيد هذا قوله تعالى في آخر الآية: (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة)، فإنه وإن كان خطابا للجميع فهو بمنزلة الخطاب لكل فرد، فالأولى أن يستدل على تحريم الزيادة على الأربع بالسنة لا بالقرآن"⁽³⁾.

وقد أحل الله تعالى الزواج بأربع في كتابه وعلى سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفسره النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأربع، وهذا معنى شرعي، وما أراده العرب من معنى الآية أكثر من ذلك، لكن البرهان موجود في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

إعمال العقل في فهم النصوص وعرض أقوال أخرى: قال الشوكاني في قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ (آل عمران 18): "قال الزجاج⁽⁴⁾: الشاهد: هو الذي يعلم الشيء ويبينه، فقد دلنا الله على وحدانيته بما خلق وبين، وقال أبو عبيدة: (شهد الله) بمعنى: قضى، أي: أعلم. قال ابن عطية: وهذا مردود من جهات، وقيل: إنها شبهت دلالاته على وحدانيته بأفعاله، ووحية بشهادة الشاهد في كونها مبينة"⁽⁵⁾.

(1) مسلم، صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، رقم الحديث 2856.

(2) الشوكاني، فتح القدير، 2/ 469.

(3) الشوكاني، فتح القدير، 1/ 379.

(4) الإمام الزجاج القارئ هو إبراهيم بن السري بن سهل، المعروف بالزجاج (توفي سنة 311 هـ). اشتهر بأنه كان عالماً كبيراً في علوم اللغة العربية، خاصة النحو والصرف، وكان أيضاً بارعاً في علم القراءات. لقب بـ"الزجاج" لأنه كان يعمل بصناعة الزجاج في بداية حياته. في التفسير: له تفسير مشهور يُسمى "معاني القرآن وإعرابه"، حيث فسّر آيات القرآن من منظور نحوي ولغوي. بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 481/8.

(5) الشوكاني، فتح القدير، 1/ 373.

وهذا التفسير يعزز الفهم الصحيح للآية ويجعلها متسقة مع المفهوم القرآني العام للشهادة، حيث أن الشهادة تتطلب الإعلان والبيان الواضح للحقيقة، وهو ما يتفق مع مشهد (قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران: ١٨).

• اعتماد المعنى الشرعي ونقد إهماله: من خلال قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي

فَطَّرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: 30) إذ قال الشوكاني في المراد بالفطرة في سورة الروم: "والقول بأن المراد بالفطرة هنا: الإسلام هو مذهب جمهور السلف. وقال آخرون: هي البداية التي ابتدأهم الله عليها، فإنه ابتدأهم للحياة والموت، والسعادة والشقاوة، والفاطر في كلام العرب هو المبتدئ، وهذا مصير من القائلين به إلى معنى الفطرة لغة، وإهمال معناها شرعا، والمعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي باتفاق أهل الشرع"⁽¹⁾.

وقال الشوكاني -رحمه الله- في قوله تعالى: (وأولئك هم المتقون) (البقرة: 2): " قال في الكشاف: المتقي في اللغة: اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى، والوقاية: الصيانة، ومنه: فرس واق، وهذه الدابة تقي من وجاها: إذا أصابها ضلَعٌ من غلظ الأرض ورقة الحافر، فهو يقي حافره أن يصيبه أذى شيء يؤلمه، وهو في الشريعة: الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك.. ثم ذكر أحاديث كثيرة ومنها قول رسول -صلى الله عليه وسلم-: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به البأس)⁽²⁾، ثم قال: فالمصير إلى ما أفاده هذا الحديث واجب، ويكون هذا معنى شرعيا للمتقي أخص من المعنى الذي قدمنا عن صاحب الكشاف زاعما أنه المعنى الشرعي"⁽³⁾.

مما سبق يمكن القول أن الشوكاني ذكر قول الزمخشري⁽⁴⁾ الذي كان مؤيدا للمعنى اللغوي وأردف ذلك بالمعنى الشرعي ذاكرا للحديث ومقدما للمعنى الشرعي على اللغوي.

(1) المرجع السابق 258/4

(2) حديث مرفوع وهو في جامع الترمذي باب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ص 242 ، رقم الحديث: (2451)، وهو في سنن ابن ماجه كتاب: الزهد باب الورع والتقوى ص 619 ، رقم: (4215).

(3) الشوكاني، فتح القدير، 39 / 1

(4) الزمخشري هو جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (467 هـ - 538 هـ / 1074 م - 1143 م)، أحد أعلام الأدب واللغة والتفسير في العصر العباسي. وُلد في قرية زمخشر، وهي قرية تابعة لمدينة خوارزم

• منطلقات النقد:

اهتم الشوكاني -رحمه الله- بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وظهر ذلك من خلال تأليفه وتبحره فيها حتى صار بفضل الله عالماً بها وماناراً للأمة، ومعلماً، وبرز منهجه النقدي في منطلقات واضحة، ويمكن بلورة تلك المنطلقات في الآتي:

- القرآن الكريم والسنة النبوية: ففي قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة 2) قال الشوكاني -رحمه الله-: "قال في الكشاف: المتقي في اللغة: اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى، والوقاية: الصيانة، ومنه: فرس واق، وهذه الدابة تقي من وجاها: إذا أصابها ضلع من غلظ الأرض ورقة الحافر، فهو يقي حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه، وهو في الشريعة: الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك.. ثم ذكر أحاديث كثيرة ومنها حديث ابن عطية السعدي... قال: قال رسول-صلى الله عليه وسلم-: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به البأس) (1)، ثم قال: فالمصير إلى ما أفاده هذا الحديث واجب، ويكون هذا معنى شرعياً للمتقي أخص من المعنى الذي قدمنا عن صاحب الكشاف زاعماً أنه المعنى الشرعي" (2).

الشاهد هنا هو تحديد مفهوم "المتقي" في ضوء النصوص الشرعية واللغة، والشوكاني يعرض تعريف "المتقي" كما قدمه الزمخشري في "الكشاف"، ثم يقارن هذا التعريف بما ورد في الحديث النبوي وسيتم بإذن الله مناقشة ذلك فيما سيأتي.

- أقوال الصحابة والتابعين: مثال على ذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة 255).

(في أوزبكستان الحالية). اشتهر بلقب "جار الله"، بسبب إقامته في مكة المكرمة فترة طويلة بجوار الكعبة. الملا على القاري، طبقات القاري الأثمار الجنية في أسماء الحنفية: 2/958.

(1) سبق تخريجه .

(2) الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 39.

قال الشوكاني: "وقرأ ابن مسعود⁽¹⁾، وعلقمة⁽²⁾، والنخعي⁽³⁾، والأعمش⁽⁴⁾: (الحي القيام) بالألف⁽⁵⁾، وروى ذلك عن عمر، ولا خلاف بين أهل اللغة أن: القيوم، أعرف عند العرب وأصح بناء، وأثبت علة"⁽⁶⁾.

• كتب التفسير واللغة: في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ (البقرة 143)، استدلل الشوكاني بقول القرطبي قائلاً: "قال القرطبي: اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس، ثم قال: فسمى الصلاة إيماناً لاجتماعها على نية وقول وعمل وقيل: المراد: المؤمنون على الإيمان عند تحويل القبلة، وعدم ارتيابهم كما ارتاب غيرهم. والأول يتعين القول به، والمصير إليه لما سيأتي من تفسيره - صلى الله عليه وسلم - للآية بذلك"⁽⁷⁾.

وسأتناول هذا المثال أيضاً لاحقاً بتوضيح تام بإذن الله .

(1) ابن مسعود، هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أحد أعظم الصحابة وأسبقهم إسلاماً، وأحد علماء الأمة وفقهائها. كان له مكانة بارزة في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين. توفي في الكوفة عام 32 هـ في خلافة عثمان بن عفان، ودُفن بالمدينة المنورة. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة: 57/1.

(2) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي (٢٨ ق هـ - ٦٢ هـ): ، أحد كبار التابعين وفقهاء الكوفة المعروفين بالعلم والزهد. عُرف بتميزه في الفقه والقراءة، وكان من أبرز تلاميذ عبد الله بن مسعود، الصحابي الجليل، وأخذ عنه الكثير من علم القرآن والحديث. توفي في حدود عام 62 هـ. ترك أثراً كبيراً في العلوم الشرعية والتفسير، وكان قدوةً للتابعين من بعده. طبقات ابن سعد: "6 / ٥٧ - ٦٢ ، و" تذكرة الحفاظ: "1 / ٤٥ ، ٤٦ .

(3) إبراهيم النخعي (46-96 هـ / 665-715 م) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، تابعي جليل وإمام من أئمة أهل الكوفة في العلم والفقه. ينتمي إلى قبيلة النخع، وهي قبيلة يمنية الأصل. يُعد من الثقات في الحديث، وروى عن العديد من الصحابة مثل أنس بن مالك وعبد الله بن عمر. المسند المصنف المعلن، مجموعة من المؤلفين: 179/18.

(4) الأعمش هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، ويكنى أبا محمد. وهو أحد أعلام التابعين ومحدثي الكوفة، ولد سنة 61 هـ وتوفي سنة 148 هـ. كان من أبرز علماء الحديث والفقه في زمانه، وعُرف بدقته في رواية الحديث وحفظه. خلدون الأحدث، زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة: 285/5.

(5) قراءة شاذة يُنظر: المختصر في شواذ القراءات ص 22

(6) الشوكاني، مرجع سابق 1 / 262

(7) الشوكاني، مرجع سابق: ج 1 / ص 175

وكذلك قال في تأويل قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾، في قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران 26).

قال الشوكاني: "قوله: قل اللهم. قال الخليل⁽¹⁾، وسيبويه⁽²⁾ وجميع البصريين: إن أصل اللهم يا الله، فلما استعملت الكلمة دون حرف النداء الذي هو (يا) جعلوا بدله هذه الميم المشددة، فجاءوا بحرفين وهما الميمان عوضاً من حرفين وهما الياء والألف، والضممة في الهاء: هي ضمة الاسم المنادى المفرد، وذهب الفراء⁽³⁾ والكوفيون: إلى أن الأصل في اللهم يا الله أمانة بخير، فحذف وخط الكلمتين، والضممة التي في الهاء: هي الضمة التي كانت في أمانة، لما حذفت الهمزة انتقلت الحركة. قال النحاس⁽⁴⁾: هذا عند الكوفيين من الخطأ العظيم، والقول في هذا: ما قاله الخليل وسيبويه⁽⁵⁾.

(1) الخليل بن أحمد ١٠٠ - ١٧٠ هـ، ٧١٨ - ٧٨٦ م. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. وهو عربي الأصل من أزد عُمان. لغوي ومعجمي ومنشئ علم العروض. الزركلي: الأعلام 165/4

(2) سيبويه 148 هـ - 180 هـ / 765 - 796 م عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، يُكنى أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. الذهبي - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء الذهبي: ج 8/ص 352.

(3) الإمام الفراء هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الدهقان الفراء (توفي عام 207 هـ / 822 م)، أحد كبار علماء اللغة والنحو في العصر العباسي. يعد من أبرز أعلام مدرسة الكوفة في النحو واللغة، وقد لقب بالفراء نسبةً إلى عمله في فراء الثعالبي. أكرم زيادة الفالوجي، معجم شيوخ الطبري: ص 313.

(4) الإمام النحاس هو أبو جعفر النحاس، أحد علماء اللغة العربية والحديث في القرن الرابع الهجري. وُلد في الكوفة، وكان معروفاً بعلمه الغزير في النحو، وهو من أئمة المدرسة الكوفية في النحو العربي. له العديد من المؤلفات التي تُعد مرجعاً هاماً في فقه اللغة العربية. من أشهر أعماله كتاب "المعاني الكبير" وبعد رجوعه من العراق، تصدر النحاس حلقة النحو بالجامع العتيق بالفسطاط، ونافسه على رئاسة النحويين بمصر أبو العباس بن ولاد وكثيراً ما عُقدت المناظرات بينهما. أخذ النحاس الحديث عن الحسن بن غليب والنسائي. توفي بالفسطاط عام 338 هـ: 444/1.

(5) الشوكاني فتح القدير، ج 1/ص 378.

رابعاً: التعريف بكتاب فتح القدير ويتضمن نقاطاً عديدة بحسب الآتي:

- 1. القيمة العلمية للكتاب: ألف الإمام الشوكاني هذا الكتاب بناءً على اطلاعه على التفاسير السابقة والتي اعتمد عليها، وسوف أعرض بإذن الله مجمل تلك التفاسير لاحقاً.
- أما ما يحويه هذا الكتاب من قيمة تفسيرية فأجمل وأكمل قيمة هي احتواؤه على شقي التفسير الرواية والدراية، وصنف تفسيره العظيم وكان جامعاً لما تفرق في غيره" (1).
- هذا الكتاب مصدر من مصادر التفسير المتأخرة، لكنه بحسب اطلاعي القصير عليه، قد أودع الإمام الشوكاني فيه كل جوانب التفسير التي تجعل القارئ متمكناً من فهم آيات القرآن ومعانيها.
- وقال عنه أيضاً العلامة محمد صديق خان القنوجي (2) -رحمه الله-: "ومن أحسن التفاسير جمعاً بين الرواية والدراية فيما علمت تفسير الإمام الحافظ القاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني" (3).
- ويقول عنه الدكتور محمد حسين الذهبي (4) -رحمه الله-: "يعتبر هذا التفسير أصلاً من أصول التفسير، ومرجعاً مهماً من مراجعه؛ لأنه جمع بين التفسير بالدراية، والتفسير بالرواية، فأجاد في باب الدراية، وتوسّع في باب الرواية" (5).

(1) الغماري، الشوكاني مفسراً، ص 397

(2) محمد صديق خان القنوجي (1851-1908) كان من العلماء والمفكرين البارزين في الهند في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وُلد في قنوج، وهو معروف بمساهماته في مجال الفقه والتعليم الإسلامي. كان القنوجي من دعاة الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي، وقد اشتهر بنقده لظاهرة الجمود في الفكر الديني والتمسك بالتقاليد القديمة دون مراجعتها. القنوجي محمد صديق بن حسن البخاري المتوفي 1307 فتح البيان في مقاصد القرآن المكتبة العصرية. بيروت 1412 1992 م 1 ص 20

(3) القنوجي محمد صديق بن حسن البخاري المتوفي 1307 فتح البيان في مقاصد القرآن المكتبة العصرية. بيروت 1412 1992 م 1 ص 20

(4) الدكتور محمد حسين الذهبي هو أحد العلماء والمفكرين البارزين في مجال الفقه والشريعة الإسلامية. وُلد في مصر وكان له دور كبير في تدريس الفقه الإسلامي، بالإضافة إلى مساهماته في مختلف المجالات الفكرية والدينية. يُعد الذهبي من الشخصيات المؤثرة في الساحة العلمية الإسلامية، وكتب العديد من المؤلفات التي تناولت موضوعات فقهية وعلمية متنوعة.

2. ما يتميز به الكتاب: تميز فتح القدير بالآتي: قد حظي تفسير الشوكاني بمكانة علمية لما فيه من بيان وإتقان فقد قال: عنه مؤلفه رحمه الله: "فهذا التفسير وإن كبر حجمه فقد كثر علمه وتوفر من التحقيق قسمه وأصاب غرض الحق سهمه واشتمل على ما في كتب التفسير من بدائع الفوائد مع زوائد فوائد وقواعد شوارد، فإن أحببت أن تعتبر صحة هذا، فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة انظر تفاسير المعتمدين على الرواية، ثم ارجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية، ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين فعند ذلك يسفر الصبح لذي عينين، ويتبين لك أن هذا الكتاب هو لب اللباب، وعجب العجاب، وذخيرة الطلاب، ونهاية مأرب الألباب، وقد سميته: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"⁽¹⁾.

ومن مميزات فتح القدير، منها:

1. "جلالة مؤلفه ورسوخه العلمي، فالإمام محمد بن علي الشوكاني إمام مجتهد متضلع في العلوم التي يحتاجها المفسر، فهو قد أعدّ لكتابة التفسير عدتها من العلم بعلوم الآلة والعلم بالحديث والآثار وأقوال السلف في التفسير مع الفهم لها، ثم بدأ في التصنيف بعد ذلك.

2. أيضاً ساعده على ذلك اطلاعه الواسع على الكتب المتقدمة، فقد جمع فيه معظم ما في كتب التفسير، سواء منها ما اهتم بالمأثور أو بالدراية.

3. أن مؤلفه -رحمه الله- كان متحرر التفكير، سليم الاستنباط، ولذلك انعكس هذا على شخصيته في كتابه التفسير.

4. نقوله الكثيرة من كتب المحدثين واللغويين وكتب أحكام القرآن"⁽²⁾.

3. **المصادر التي اعتمد عليها:** اعتمد الإمام الشوكاني على كثير من العلماء والمؤلفات، منها ما كان مرجعاً في الرواية ومنها ما كان في الدراية:

-فكان كتاب جامع البيان العمدة للإمام الشوكاني في باب الرواية، وهو للإمام محمد بن جرير الطبري⁽³⁾.

(5) الذهبي محمد السيد حسين م 1398 التفسير والمفسرون مكتبة وهبة القاهرة م 2 ص 211.

(1) الشوكاني، فتح القدير، 71 / 1

(2) المنظم عبد اللطيف المنظم، توظيف قواعد التفسير من خلال فتح القدير رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية . ماليزيا 1432 هـ . 2011 م: ص 29.

-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي⁽¹⁾: هو من المصادر الأساسية للإمام الشوكاني، يكثر من النقل عنه حتى عده بعض الباحثين كتاباً مختصراً من كتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، وقالوا إنه يكاد يكون ملخصاً له ولاسيما ما يتعلق بجانب الأحكام الفقهية.

-الزمخشري⁽²⁾. في الكشاف: كان كثير النقل عنه والنقد أيضاً.

-الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي⁽³⁾: فقد استفاد منه الشوكاني في المرويات.

-تفسير القرآن العظيم: لابن كثير⁽⁴⁾. واستفاد من دقته.

-مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي - رحمه الله.

- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج⁽⁵⁾.

(3) محمد بن جرير الطبري هو عالم ومؤرخ إسلامي شهير وُلِدَ في عام 224 هـ 839 م في آمل بطبرستان، وتوفي في 310 هـ 923 م. يُعرف بلقب "إمام المفسرين" وله العديد من المؤلفات الهامة مثل "التفسير" و"تاريخ الطبري". سير أعلام النبلاء: 268/14.

(1) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَحَ المعروف بالقرطبي، كنيته أبو عبد الله، ولد في قرطبة في الأندلس حيث تعلم القرآن الكريم وقواعد اللغة وتوسع في دراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن. انتقل إلى مصر واستقر في منية بني خصيب محافظة المنيا حتى وافته المنية في 9 شوال 671 هـ. ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب؛ ص: 407.

(2) الزمخشري هو صاحب تفسير "الكشاف" نسبة إلى "زَمَخْشَر" وهي قرية كبيرة من قرى "خوارزم"، واسمه محمود، وكنيته أبو القاسم، توفي عام 538 هـ، وهو من دعاة الاعتزال، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج20/ص 151.

(3) جلال الدين السيوطي؛ عالم موسوعي من أعلام القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وُلِدَ في القاهرة في رجب 849هـ/1444م، وعاش يتيماً منذ السادسة من عمره. نبغ منذ الصغر وألّف المئات من الكتب، حتى قال عنه ابن العماد الحنبلي "المسند المحقق المدقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، ينظر: «الضوء اللامع» 7/ 39 - 41، و «طبقات المفسرين» للداودي 2/ 84 - 85،

(4) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ بن درع القرشي الحَضَلِي، البُصْرِي، الشافعي، ثم الدمشقي، مُحدِّث ومفسر وفقهه، وُلِدَ بمجدل من أعمال دمشق سنة 701 هـ وانظر الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية 16/ 164.

(5) الرَّجَّاجُ أو أبو إسحاق الزجاج أو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج البغدادي 241 هـ - 311 هـ / 855 - 923م نحوي من العصر العباسي، «من أهل العلم بالأدب والدين المتين» كما وصفه ابن خلكان. صنف العديد من الكتب، أشهرها كتاب معاني القرآن في التفسير، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويينص 111.

-أحكام القرآن : محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري المالكي⁽¹⁾.

أما في الحديث: فقد اعتمد على الحاكم، وعبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي شيبة، وعبد ابن حميد في مسنده، وأبي بكر ابن أبي شيبة في مصنفه، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم في المستدرک، والحسن بن عرفة في جزئه، وأبي الشيخ في العظمة، وأبي نعيم الأصبهاني، وغيرهم.

أما في اللغة: فيذكر ابن الأعرابي وابن قتيبة⁽²⁾ والأزهري والأنباري⁽³⁾ والزجاج والجوهري⁽⁴⁾ والنحاس والفراء⁽⁵⁾ وأبا عبيدة وغيرهم.

4. المنهج العام للإمام الشوكاني في تفسيره: يجد القارئ المطلع على هذا الكتاب أنه فريد من نوعه مقارنة بالتفسير الأخرى، وذلك من خلال النظر إلى الإبداع في الترتيب والمنهج القويم في الجمع والنقد وغيره.

وهو مسلك سلكه الإمام الشوكاني في كتابه لما أعطاه الله عز وجل من غزارة علمية ربانية وسعة اطلاع ودراسة، وقد نص الإمام الشوكاني على طريقته وأسلوبه في الكتاب، فقال رحمه الله: "ولما كان هذا العلم بهذه المنزلة الشامخة الأركان، العالية البنیان، المرتفعة المكان، رغبت إلى الدخول من أبوابه، ونشطت إلى القعود في محرابه، والكون من أحزابه، ووطنت النفس على سلوك طريقة هي بالقبول عند الفحول حقيقة، وها أنا أوضح لك منارها، وأبين لك إيرادها، وإصدارها، فأقول:

(1) أبو بكر بن العربي هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري، المشهور بالقاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي الأندلسي المالكي، رحالة ومؤرخ وقاضي ومفسر وفقه ومحدث، ولد في أشبيلية سنة 468هـ/1076م، سير أعلام النبلاء 197/20.

(2) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيَنْوَرِيُّ 213-15 رجب 276 هـ / 828 - 13 نوفمبر 889 م ويُعرف بابن قتيبة، وهو أحد أعلام القرن الثالث الهجري، فهو عالم، وفقه، وناقد، وأديب لغوي، سير أعلام النبلاء 297/13.

(3) أبو البركات الأنباري 513 هـ-577 هـ / 1119 م-1181 م معبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري: من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال. كان زاهدا عفيفا، خشن العيش والملبس، سير أعلام النبلاء 114/21.

(4) إسماعيل بن حماد الجَوْهَرِيُّ توفي عام 393 هـ / 1003 م هو عالم ولغوي، يكنى بأبي نصر، أصله من «فاراب في كازاخستان حاليا»، ثاني من حاول الطيران بعد عباس ابن فرناس، سير أعلام النبلاء 81/17.

(5) أَبُو زَكْرِيَّا يَحْيَى بْنُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْظُورِ بْنِ مَرْوَانَ الْأَسْلَمِيَّ الدِّيَلِمِيَّ الْكُوفِيَّ، مولى بني أسد، المعروف بالفراء، وهو لقبه «لأنه كان يفري الكلام» أي: يصلحه. ولد الفراء في الكوفة سنة 144 هجري كما حققه الدكتور أحمد الأنصاري ثم انتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه فيها، سير أعلام النبلاء 119/10.

إن غالب المفسرين تفرقوا فريقين وسلكوا طريقين:

الفريق الأول: اقتصروا في تفاسيرهم على مجرد الرواية وقنعوا برفع هذه الرواية⁽¹⁾.

الفريق الآخر: جردوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية وما تفيدة العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية رأساً، وإن جاؤوا بها لم يصححوا لها أساساً⁽²⁾، وكلا الفريقين قد أصاب وأطال وأطاب، وإن رفع عماد بيت تصنيفه على بعض الأطناب، وترك منها ما لا يتم بدونه كمال الانتصاب، فإن ما كان من التفسير ثابتاً عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإن كان المصير إليه متعينا وتقديمه متحتماً، غير أن الذي صح عنه من ذلك إنما هو تفسير آيات قليلة بالنسبة إلى جميع القرآن، ولا يختلف في مثل ذلك من أئمة هذا الشأن اثنان، وأما ما كان منه ثابتاً عن الصحابة -رضي الله- عنهم فإن كان من الألفاظ التي قد نقلها الشرع إلى معنى مغاير للمعنى اللغوي بوجه من الوجوه فهو مقدم على غيره، وإن كان الألفاظ التي لم ينقلها الشرع فهو كواحد من أهل اللغة الموثوق بعربيتهم، فإذا خالف المشهور المستفيض لم تقم الحجة علينا بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب، فالأولى تفاسير من بعدهم من التابعين وتابعيهم وسائر الأمة، وأيضاً كثيراً ما يقتصر الصحابي ومن بعده من السلف على وجه واحد مما يقتضي النظم القرآني باعتبار المعنى اللغوي، ومعلوم أن ذلك لا يستلزم إهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية، ولا إهمال ما يستفاد من العلوم التي تتبين بها دقائق العربية وأسرارها، كعلم المعاني والبيان، فإن التفسير بذلك هو تفسير باللغة لا تفسير بمحض الرأي المنهي...⁽³⁾.

وبهذا تعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين، وهذا هو المقصد الذي وطنت نفسي عليه، والمسلك الذي عزمت على سلوكه -إن شاء الله- مع تعرضي للترجيح بين التفاسير المتعارضة، مهما أمكن واتضح لي وجهه، وأخذني من بيان المعنى العربي والإعرابي والبياني بأوفر نصيب، والحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو الصحابة أو التابعين أو تابعيهم أو الأئمة المعتمدين⁽⁴⁾.

(1) أبو الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، أبو حامد، عز الدين ت ٦٥٦ هـ، الفلك الدائر على المثل السائر مطبوع بأخر الجزء الرابع من المثل السائر، المحقق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، ص 40.

(2) الشوكاني: فتح القدير، 1/ 14.

(3) المصدر السابق، 1/ 70-71.

(4) الشوكاني: فتح القدير، 1/ 70-71.

هذا منهج الإمام الشوكاني في تفسيره إجمالاً، أما بالتفصيل فيتبين من خلال النقاط التي سأذكرها هنا:

أولاً: يبين السورة مكية أم مدنية: فعادة ما يبين المكي والمدني من خلال ضوابطه وتعريفه، ومن خلال أسباب النزول، كما فعل في :

سورة البقرة: قد ذكر الشوكاني أن سورة البقرة مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة وتتناول قضايا تتعلق بتنظيم المجتمع المسلم في المدينة، ويستند في ذلك أيضاً إلى أسباب نزول بعض آياتها.

سورة الفاتحة: يذكر الشوكاني أنها مكية بناءً على الضوابط والتعريفات، ويوضح أن ذلك يتفق مع موضوعات السورة المتعلقة بالعقيدة والتوحيد.

سورة العلق: قد ذكر الشوكاني أنها مكية؛ لأنها أول ما نزل من القرآن، وهذا معلوم من خلال أسباب النزول المعروفة.

ثانياً: ثم فضائل السورة من الأحاديث والآثار.

ثم يشرح في التعريف بالسورة ومكانتها من خلال القرآن أو السنة.

ثالثاً: الحروف المقطعة وبيانها: أما الحروف المقطعة فهو يقف ويبين المراد منها.

رابعاً: ذكر القراءات الواردة: أما القراءات الواردة فكثيرا ما يذكرها الإمام في كتابه.

وغالبًا ما يذكر القراءات المختلفة للآية القرآنية، وخاصة تلك التي لها تأثير على المعنى أو الإعراب، وهو يهتم بتوضيح القراءات الواردة عن القراء السبعة (وأحيانًا العشرة)، مما يعكس شمولية وتعددية في تناول النصوص القرآنية.

توضيح الفروق النحوية واللغوية: عند ذكر القراءات، يحرص الشوكاني على توضيح الفروق النحوية واللغوية بين القراءات المختلفة؛ مثلاً، يشرح كيف تؤثر كل قراءة على المعنى أو الإعراب، ويبين الفروق الدقيقة في استخدام الكلمات أو الصيغ النحوية.

التفضيل والترجيح: الشوكاني لا يكتفي بذكر القراءات فقط، بل أحياناً يميل إلى تفضيل قراءة على أخرى بناءً على معايير نحوية أو لغوية، كما يوضح أحياناً أن بعض القراءات أفصح من غيرها، مع تقديره لشرعية جميع القراءات المتواترة.

الاستناد إلى مصادر موثوقة: في نقله للقراءات، يعتمد الشوكاني على مصادر موثوقة مثل "الكشاف" للزمخشري، وأحياناً يذكر أقوال علماء اللغة أو النحو كابن عطية والزجاج؛ لتأكيد صحة القراءات وتوضيح معانيها.

الربط بين القراءات والمعنى الشرعي: الشوكاني يربط بين القراءات المختلفة والمعاني الشرعية التي يمكن أن تنتج عنها، فيهتم ببيان كيف أن اختلاف القراءة قد يؤدي إلى تفاوت في فهم النص الشرعي أو الحكم الفقهي.

عرض القراءات الشاذة بحذر: على الرغم من تركيزه على القراءات المتواترة، إلا أنه يتجاهل الشوكاني القراءات الشاذة، لكنه يعرضها بحذر، ويضعها في سياقها الصحيح دون الاعتماد عليها في الاستدلال.

من خلال منهجه هذا، يبرز الشوكاني عالماً مفسراً يهتم بالدقة والشمولية في تفسير القرآن، مع تقديره لتعدد القراءات والاعتماد على التحليل اللغوي والنحوي؛ لتعميق فهم النصوص القرآنية.

خامساً: الاهتمام باللغة والسياق والاشتقاق والإعراب، مع ذكر المعنى الإجمالي أحياناً وسبب النزول إن وجد: ثم يختم ذلك بالأحاديث والأقوال في التفسير بالمأثور بالرواية بعد الدراية.

ثانياً: ترجمة الإمام الشوكاني:

اسمه، ونسبه ووظائفه: هو القاضي العلامة، شيخ الأمة ومحقق علمها: محمد بن علي الشوكاني ترجم لنفسه في البدر الطالع فقال: "هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني"⁽¹⁾.

قال في ترجمة والده: "نسبته إلى شوكان ليست حقيقية؛ لأن وطنه ووطن سلفه وقرابته هو مكان عدني شوكان، بينه وبينها جبل كبير مستطيل يقال له الهجرة، وبعضهم يقول له هجرة شوكان فمن هذه الحيثية كان انتساب أهله إلى شوكان"⁽²⁾.

(1) الشوكاني ، فتح القدير 5/1.

(2) المرجع السابق 481/1، بتصرف.

مولده: قال الشوكاني في كتابه (البدر الطالع) في ترجمة حياته العلمية: "إنه ولد في وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (1173 هـ) ثلاث وسبعين ومائة وألف للهجرة بمحل هجرة شوكان، وكان إذ ذاك قد انتقل والده إلى صنعاء واستوطنها ولكنه خرج إلى وطنه القديم في أيام الخريف فولد له صاحب الترجمة هنالك ونشأ بصنعاء"⁽¹⁾.

نشأته: نشأ الشوكاني -رحمه الله- في حجر والده بصنعاء، وكان أبوه قاضياً وعالماً، ومعروفاً بالطيبة والصلاح، فتربى الابن على العفاف والطهارة، والتفرغ لطلب العلم، مكفياً في بيت أبيه من جميع أسباب الحياة ووسائل الرزق، وقد ابتدأ تحصيله العلمي الواسع بقراءة القرآن وحفظه على جماعة من المعلمين، وختمه على الفقيه حسن بن عبد الله الهبل، وجوّده على جماعة من مشايخ القرآن بصنعاء، ثم انتقل إلى حفظ كثير من المتون، (كالأزهار) للإمام المهدي في الفقه، و(مختصر الفرائض) للعصيفري، و(الكافية) و(الشافية) لابن الحاجب، و(التهذيب) للفتازاني، (التخليص) في علوم البلاغة للقزويني ... وغيرها.⁽²⁾

أبرز شيوخه، وتلاميذه، ووفاته.

أبرز شيوخه: أخذ الإمام الشوكاني العلوم الإسلامية بنفسه دون الرجوع إلى مشايخه، وذلك بكثرة اطلاعه وتفانيه، ولكنه مع ذلك كان يجلس معهم ويأخذ العلم وينقله إلى تلاميذه، ومن شيوخه ما ذكر في كتابه فتح القدير وهم أبرز مشايخه⁽³⁾:

- 1- والده علي بن محمد الشوكاني، المتوفى سنة 1211 هـ.
- 2- عبد الرحمن بن قاسم المداني، المتوفى سنة 1211 هـ.
- 3- العلامة أحمد بن عامر الحدائي، المتوفى سنة 1197 هـ.
- 4- العلامة إسماعيل بن الحسن بن أحمد ابن الإمام القاسم بن محمد، المتوفى سنة 1206 هـ.
- 5- العلامة القاسم بن يحيى الخولاني، المتوفى سنة 1209 هـ.

(1) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت: دار المعرفة 215/2.

(2) الشوكاني، فتح القدير 6.5/1.

(3) يُنظر: أدب الطالب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني 1172 - 1250 هـ دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، الناشر: مكتبة القرآن بالقاهرة، وعنها مكتبة الساعي بالرياض، والدار الشامية بعمّان تاريخ الإيداع:

1988 م: ص 13.

- 6- العلامة عبد بن إسماعيل النهمي، المتوفى سنة 1208هـ.
- 7- العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي، المتوفى سنة 1208هـ.
- 8- الإمام عبد القادر بن أحمد الكوكبائي، المتوفى سنة 1207هـ.
- 9- العلامة علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن عامر، المتوفى سنة 1207هـ.
- 10- العارف يحيى بن محمد الحوتي، المتوفى سنة 1247هـ.
- 11- القاضي عبد الرحمن بن حسن الأكوخ، المتوفى سنة 1206 هـ.

ومن أبرز تلاميذه:

- 1- "محمد بن محمد بن زيارة الحسني اليمني الصنعاني، المتوفى سنة 1281 هـ.
- 2- محمد بن أحمد السوداني، المتوفى سنة 1226 هـ.
- 3- محمد بن أحمد مشحم الصعدي الصنعاني، المتوفى سنة 1223 هـ.
- 4- أحمد بن علي بن محسن بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، المتوفى سنة 1223 هـ.
- 5- محمد بن محمد بن هاشم بن يحيى الشامي ثم الصنعاني، المتوفى سنة 1251 هـ.
- 6- عبد الرحمن بن أحمد البهكلي الضمدي الصبباني، المتوفى سنة 1227 هـ.
- 7- أحمد بن عبد الله الضمدي، المتوفى سنة 1222 هـ.
- 8- علي بن أحمد هاجر الصنعاني، المتوفى سنة 1235 هـ.
- 9- عبد الله بن محسن الحيمي ثم الصنعاني، المتوفى سنة 1240 هـ.
- 10- القاضي محمد بن حسن الشجني الذماري، المتوفى سنة 1286 هـ.
- 11- ابنه القاضي أحمد بن محمد الشوكاني، المتوفى سنة 1281 هـ.⁽¹⁾

(1) الشوكاني، فتح القدير: 8/1

وفاته: "توفي الإمام الشوكاني في 26 جمادى الآخرة من سنة 1250 هـ- ودفن بصنعاء، وكان قد توفي ابنه علي بن محمد قبله بشهر واحد، وهو في العشرين من عمره، وكان نابغة، وعبقريا فذا كأبيه، فاحتسب الأب وتصبر، ولم يظهر جزعا ولا حزنا، رحمهما الله تعالى، وأسكنهما فسيح جناته، وجمعنا بهما تحت لواء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه سبحانه وتعالى أكرم مسؤؤل" (1).

الإمام الشوكاني (توفي عام 1250 هـ) هو أحد العلماء البارزين في القرن الثالث عشر الهجري وكان له إسهامات كبيرة في الفقه والأصول والحديث واللغة العربية. **من أبرز مؤلفاته:**

1. "نيل الأوطار": هذا الكتاب من أشهر مؤلفات الشوكاني في علم الحديث، وهو شرح لحديث النبي صلى الله عليه وسلم. يتناول فيه شرح أحاديث كتاب "منتقى الأخبار" للعلامة عبد الله بن الإمام محمد بن قدامة. وهو معروف بتركيزه على التصحيح والتضعيف وفقاً لطرائق الشوكاني.

2. التعريف بكتاب "فتح القدير": هذا الكتاب في علم الأصول، وهو شرح لكتاب "القدير" للعلامة ابن الهمام. اهتم الشوكاني في هذا الكتاب بتفسير واستنباط القواعد الأصولية.

3. "إرشاد الفحول": وهو كتاب في أصول الفقه، حيث قدم فيه شرحاً للمسائل الفقهية بأسلوب سهل وواضح مع جمع الآراء المختلفة من المذاهب الفقهية.

4. "الدرر السنية": وهو موسوعة في الحديث، حيث جمع فيه الشوكاني مجموعة من الأحاديث التي اعتبرت قاعدة في الحديث الصحيح في زمانه.

5. "البدر الطالع": شرح كتاب "الطالع السعيد" للإمام الغزالي، حيث اهتم الشوكاني في هذا الكتاب بتوضيح المسائل المنهجية والفقهية التي أثارها الغزالي.

(1) الشوكاني، المرجع السابق: 10/1

6. "السييل الجرار": وهو كتاب في علم التفسير، وهو يشتهر بأسلوبه المنهجي في عرض تفسير القرآن الكريم.

7. "شرح الزركشي": قام بشرح كتاب "البرهان" للزركشي، وهو من كتب علوم القرآن المتميزة.

8. "المغني": هو كتاب في الفقه، وهو موسوعة فقهية تناول فيها الشوكاني عدة موضوعات متنوعة في الفقه الإسلامي مع استدلالات من القرآن الكريم والحديث الشريف.

تعتبر مؤلفات الشوكاني إضافة هامة للتراث الإسلامي، وتدل على تجره في مختلف العلوم الشرعية.

الفصل الأول:

منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب اللغة والقراءات والعقائد.

المبحث الأول: منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب اللغة.

المبحث الثاني: منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب القراءات.

المبحث الثالث: منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب العقائد.

المبحث الأول: منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب اللغة.

مدخل : نقد الشوكاني في جوانب اللغة يتمثل ويتلخص في تحليل النصوص العربية، وقد نقد بعض الأخطاء اللغوية والنحوية في الكتب والمؤلفات، وركز على أهمية استعمال اللغة الفصحى والتزام قواعد النحو والصرف، وكان يشدد على الابتعاد عن اللحن والتجاوزات اللغوية، ويقوم بمراجعة النصوص والروايات والأحاديث التي كانت تعاني من مشكلات لغوية أو نحوية، وحاول تصحيحها وتحسينها، وتأسيس بعض المفاهيم اللغوية وتعزيز قواعد اللغة العربية بما يتناسب مع الفهم الصحيح، وباختصار فإن نقده للغة يقوم على تحسين الدقة اللغوية، وضبط النصوص بما يتفق مع القواعد الصحيحة للغة العربية.

وكان للإمام الشوكاني -رحمه الله- في منهجه النقدي اهتمامه البالغ باللغة، وذلك كونها شرطاً أساسياً ورئيسياً لتفسير القرآن الكريم، وقالت الدكتورة إحسان الفقيه مبينة أهمية النقد للتفسير اللغوي ونشأته تزامناً مع ظهور التفسير اللغوي:

"إن بموازاة بدايات التفسير اللغوي وتطويره ونموه ينشأ النقد اللغوي للتفسير الواردة للآيات ويتكامل، فالنقد هو تفسير وحكم، أي تقييم وتقويم للنص، وكلما كان للرأي والاجتهاد دخل في مجال التفسير، كلما كانت مساحة النقد أوسع وأكثر أهمية، لزيادة احتمال الخطأ فيه، ومن موارده التفسير اللغوي"⁽¹⁾.

وتبرز القوة العلمية اللغوية له في الرد على المفسرين من خلال مؤلفاته التي ألفها مهتماً فيها باللغة وأصبحت مؤلفاته متداولة عالمياً، فهو كثيراً ما ينتقد الأئمة والمفسرين؛ سواء أكانوا فرادى أو جماعة، هنا بزغت شخصية العالم وتكلت بالشواهد والدلائل الواقعية والمأثورة.

فهو في كتابه هذا الذي هو ما بين الدراية والرواية تجده ينتقد جميع الأقسام التي تمر عليه والمسائل التي هي قابلة للمراجعة، وخصوصاً في باب الدراية، وهكذا كل ذلك حتى يقدم للأمة زبدة تفسير القرآن الكريم، وذلك بإتمام جهود العلماء المفسرين من قبله وسأعرض بإذن الله للجوانب المذكورة في هذا الفصل.

وكان -رحمه الله- يعرف مصطلح التفسير اللغوي بقوله دائماً " وهذا تفسير ناظر للغة العرب " .

(1) الفقيه، الدكتورة إحسان، النقد في التفسير، ط1 1428. 2007م، ص 123.

وعرف الدكتور مساعد الطيار مصطلح التفسير اللغوي بقوله "بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب، والاستشهاد لذلك بما وصلنا من أشعارهم وأساليبهم وأوجه خطاباتهم التي نزل بها القرآن" (1).

وسأتناول هذا المبحث في النقاط الآتية:

المطلب الأول: تقديمه للتفسير النبوي على المعنى العربي.

المطلب الثاني: نقده للغويين.

المطلب الثالث: تقديمه للحقيقة الشرعية على اللغوية.

المطلب الرابع: التوجيهات النحوية وموقفه منها.

المطلب الأول:

تقديمه للتفسير النبوي على المعنى العربي.

- تقديمه للتفسير النبوي على المعنى اللغوي العربي: ويتلخص تقديم الشوكاني للتفسير النبوي على المعنى اللغوي العربي في النقاط التالية:

أ- الاعتبار الأول للتفسير النبوي: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة 143)

الشوكاني اعتبر أن التفسير النبوي يأتي في المرتبة الأولى عند تفسير النصوص القرآنية، مشدداً على أهمية الاستناد إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لفهم معاني القرآن، وبالمجمل فقد كان الشوكاني يضع التفسير النبوي في موقع الصدارة لتقديم فهم أكثر دقة وشمولاً للنصوص القرآنية مقارنة بالمعاني اللغوية فقط، يأتي في سياق الحديث عن تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرفة، في هذا السياق يُشير إلى أن الله لن يضيع أجر المؤمنين أو إيمانهم بسبب هذا التغيير في القبلة.

(1) الطيار، مساعد بن سليمان، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ط1 دار الجوزي الرياض، 1422هـ

الآية تعكس تأكيد الله على أن تغيير القبلة لا يعني تضييعاً لجهود المؤمنين السابقين الذين صلوا نحو المسجد الأقصى، بل هو جزء من تدبير الله وحكمته، وأن الله سيجزي المؤمنين على إيمانهم وأعمالهم.

اختلف العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة: 143) تبعاً لمقاصد الآية وظروفها.

يرى بعض العلماء ومنهم : ما ذكره السيوطي فيما روي عن البراء⁽¹⁾ أن الإيمان في هذه الآية يشير إلى الصلاة التي كانت تُؤدى نحو المسجد الأقصى. فتغيير القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرفة لا يعني أن الله سيفوت أجر صلاة المؤمنين السابقة أو يُضيعها؛ بمعنى آخر إن الله لن يهدر أجر صلاة المسلمين التي أدوها قبل تغيير القبلة.

رأى آخرون ما أورده ابن جرير⁽²⁾ أن الإيمان هنا هو إيمان المؤمنين بعمومه، ويشير إلى أن الله لن يُضيع أي جزء من إيمانهم بشكل عام، بما في ذلك صلواتهم وأعمالهم الصالحة.

هذا الفهم يربط الإيمان بالعمل الصالح بشكل أوسع، ويؤكد أن تغيير القبلة ليس له تأثير سلبي على إيمان المؤمنين بشكل عام، وهناك تفسير آخر يركز على إيمان المسلمين في المدينة المنورة، حيث إنهم كانوا يواجهون صعوبات بسبب تغيير القبلة، وهذه الآية تُطمئنهم بأن الله لن يُضيع إيمانهم وتقانيهم في سبيله، بصفة عامة، فإن الآية تتحدث عن تأكيد الله على عدم ضياع أعمال المؤمنين السابقة وإيمانهم، مهما كانت التغييرات في الأحكام أو الشعائر وقد ناقش ذلك ابن كثير، فقال: " قال البخاري: (حدثنا أبو نعيم، سمع زهيراً، عن أبي إسحاق، عن البراء، رضي الله عنه؛ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها، صلاة العصر، وصلى معه قوم. فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات

(1) السيوطي، الدر المنثور ت هـ، ف 911 دار الفكر، بيروت: 8 / 353.

(2) الطبري، جامع البيان: 3 / 163

على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأُنزل الله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (1).

قال الشوكاني: "قال القرطبي: اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس، ثم قال: فسمى الصلاة إيماناً لاجتماعها على نية وقول وعمل وقيل: المراد: المؤمنون على الإيمان عند تحويل القبلة، وعدم ارتيابهم كما ارتاب غيرهم. والأول يتعين القول به، والمصير إليه لما سيأتي من تفسيره -صلى الله عليه وسلم- للآية بذلك" (2).

والشاهد في هذا القول والذي بعده هو ذكر أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- الواردة عنه في معنى الآية وتقديمها على اللغوي.

الإيمان هنا يعني صلاة المسلمين التي أدوها نحو المسجد الأقصى، هذا التفسير قد يُنقَد لتقييده معنى الإيمان بالصلاة فقط، بينما قد يشمل الإيمان جميع الأعمال الصالحة والتقوى؛ لذا فتفسير الإيمان بالصلاة قد يكون ضيقاً بعض الشيء، وقد لا يأخذ بعين الاعتبار السياق الأوسع للآية، والذي يشير إلى عدم ضياع أي عمل صالح من المؤمنين وليس فقط الصلاة. الآية قد تعني أن الله لا يضيع أي جزء من إيمان المؤمنين بشكل عام، بما في ذلك جميع الأعمال التي قاموا بها وقد يُنقَد لعدم التوسع في طمأنة المؤمنين بشأن جميع أعمالهم وأجرهم، فالآية تعطي رسالة تأكيدية بأن الله لن يهدر أي جهد أو عمل صالح، وليس فقط الصلاة السابقة (3).

وبناء على ذلك فالنقد الأساسي لتفسير الشوكاني يكمن في تقييد معنى الإيمان إلى الصلاة فقط وعدم التوسع في مفهوم الإيمان ليشمل جميع الأعمال الصالحة، وكذلك في عدم أخذ السياق الأوسع والرسالة العامة للآية بعين الاعتبار.

وقد استعرض الشوكاني أقوال المفسرين ثم أشار إلى مراده من النقد، وفي هذا نظر لما قاله المفسرون فوجد أنهم لم يعتمدوا المعنى الشرعي مباشرة من غير نظر لما ثبت في سنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- .

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 1 ص 452، حديث أبو نعيم الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: (ثواب الهجرة) برقم: (525).

(2) يُنظر: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، 1393 هـ = 1973 م - 1414 هـ = 1993 م، 703/2.

(3) الشوكاني، فتح 1/ 175

ومن الجدير بالملاحظة أنه لم يدع لأي مفسر أو غيره رأياً في الآية، بل نسب ذلك إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - كونه قد قام بتفسيره، وورد فيه نص لم يسلم بغيره ولا للرأي فيه مجال، فالشاهد في الأمر أن الشوكاني لم يلجأ إلى أي قول من أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾.

ب- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: 87).

يتناول مسألة منحة الله للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن الكريم ويشير إلى فضل وخصوصية السورة التي أوتيتها، فالآية تشير إلى منحة الله للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بتخصيصه بسورة الفاتحة، وهي السورة التي تُعدّ من أعظم السور وأهمها في القرآن الكريم. وتبين أن هذه السورة هي جزء من القرآن العظيم الذي أُوتِيَ له، وبالتالي تبرز فضيلة سورة الفاتحة في سياق القرآن الكريم ككل، وقد ناقش العلماء ذلك، قال الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: 87)... اختلف أهل التأويل في معنى السبع الذي أتى الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - من المثاني، فقال بعضهم عني بالسبع: السبع السور من أول القرآن اللواتي يُعرفن بالطول"⁽¹⁾.

قال القرطبي: "اختلف العلماء في تفسير "السبع المثاني". الرأي الأول: أنها سورة الفاتحة، وهو قول علي بن أبي طالب وأبو هريرة وغيرهما، وقد وردت أحاديث صحيحة تؤيد هذا الرأي، منها حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي قال فيه: "الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني". الرأي الثاني: أنها السور السبع الطوال (البقرة، وآل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، والتوبة، معاً)، وهذا ما قاله ابن عباس واستند فيه إلى رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم"⁽²⁾.

ومما سبق يتبين أن الشاهد في تلك الأقوال هو ذكر بعض المفسرين السبع المثاني، وأورد بعضهم المعنى اللغوي لها، وذهاب الشوكاني إلى المعنى الذي ورد في الحديث يعزز أهمية الاعتماد على الأحاديث النبوية في تفسير القرآن، ويشير إلى أن الأحاديث الواردة تعين على تحديد السبع المثاني بالفاتحة، مما يجعل هذا التفسير هو الأرجح، وهو هنا يؤكد على ضرورة اتباع ما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في تفسير الآيات، ويرى أن أي تفسير آخر يجب أن يتوافق مع النصوص الشرعية الثابتة.

(1) الطبري، جامع البيان، ج 17 ص 128

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 10 ص 54

ويتضح أن إلى أنه بعد عرض الأقوال في تفسير الآية للعلماء، وتأكيدهم أن أكثر المفسرين مجمعون على أنها الفاتحة، لكن ومن خلال ما سبق وجدت بعض العلماء يذكر قولين أو ثلاثة لتفسيرها، فيدل ذلك على اختلاف العلماء، ولكن تلاحظ قول الشوكاني خاصة إن كان هناك نص من النبي -صلى الله عليه وسلم- يذكر التعيين، أي يقصد بذلك الوجوب والانصراف عن غيره وتأكيد الامتثال له، كونه لا ينطق عن الهوى، فلا معارض لكلامه في تفسير هدي ربه.

رأى الشوكاني أن الأحاديث النبوية توفر تفسيرات دقيقة للنصوص القرآنية، مما يجعلها مرجعية أساسية تفوق التفسيرات اللغوية المجردة.

ت- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة 114).

كلمة "أواه" تعني المتألم والمتوجع، وهي كلمة يقولها الإنسان عند الشكاية والتوجع، ويقال آه يؤوه أوها وأوه وتأوه: شكا وتوجع⁽¹⁾.

فهي تشير إلى أن إبراهيم -عليه السلام- كان كثير التأثر والحزن لخطايا البشر وذنوبهم، وكان دائم التضرع والذكر لله، وكان يتصف برقة القلب والشفقة على الخلق، ويشعر بالأسى لمآسيهم وذنوبهم⁽²⁾.

الآية تأتي في سياق الحديث عن النبي إبراهيم -عليه السلام- وتأكيد كونه نموذجاً في الصبر والتسامح والرفقة، حيث إنه لم يدع على قومه رغم ما لاقاه منهم من أذى، وكان يتمنى هدايتهم ويستغفر لهم؛ هذه الصفات تجسد جوانب من شخصية إبراهيم -عليه السلام- التي جعلته مثلاً يحتذى في الصبر والتعامل الرحيم مع الناس⁽³⁾.

ومما سبق يتبين أن الآية تبرز أن إبراهيم -عليه السلام- كان يجسد القيم السامية من الرحمة والحنو والحلم، مما يجعله قدوة للمؤمنين في التعامل مع الآخرين برفق وحكمة.

(1) الجمل، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد، مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات

القرآن، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ م، ج 1/ص 128

(2) أبو الطيب القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، 410/5.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير، 8/ 4176.

اختلاف العلماء في تفسير الصفة المذكورة (أواه):

- رأى بعض المفسرين ذكره الطبري في إطار مناقشته لاختلافهم فيه "أواه" تعني المتألم أو المتوجع، ويشير إلى أن إبراهيم - عليه السلام - كان كثير التضرع إلى الله، يشعر بالحزن والقلق تجاه ذنوب البشرية ومشاكلهم، ويظهر شفقة ورحمة تجاههم⁽¹⁾.

- وهناك رؤية أخرى بعض المفسرين ومنهم ما أخرجه ابن جرير وما سيأتي معنا لاحقاً، يرون أن "أواه" تعني أنه كان كثير الاستغفار والذكر، حيث كانت صلاته وتضرعه إلى الله تجسد شدة اهتمامه وورعه⁽²⁾.

ومما سبق على الإجمال، فإن تفسيرات العلماء تختلف في تفسير "أواه" وحليم" بناءً على الجوانب التي يركزون عليها، سواء أكانت روحانية أخلاقية، أم عملية، مما يبرز تنوع الفهم في صفات النبي إبراهيم - عليه السلام - ودورها في شخصيته وعلاقته بالله تعالى.

- ويرى الطبري: " القول في تأويل قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، اختلف أهل التأويل في "الأواه"، فقال بعضهم: هو الدعاء. وذكر من قال ذلك: عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش قال: سألت عبد الله عن "الأواه"، فقال: "هو الدعاء"⁽³⁾.

فالطبري هنا يُظهر أن كلمة "الأواه" قد فسرت بعدة طرق، ومن هذه التفسيرات ما نقل عن عبد الله ابن مسعود أن "الأواه" تعني الدعاء، مما يشير إلى صفة بارزة في إبراهيم عليه السلام وهي كثرة الدعاء.

قال ابن كثير: في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ فعن عبد الله بن مسعود أنه قال: الأواه: الدعاء، وكذا روي من غير وجه، عن ابن مسعود، ورواه ابن أبي حاتم عن أبي العبيدين أنه سأل

(1) أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري ٢٢٤ - ٣١٠ هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠، الطبعة: بدون تاريخ نشر، 409/15.

(2) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ت ٧١٠ هـ، تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م: 74/2.

(3) الطبري، جامع البيان، ج 14 ص 523.

ابن مسعود عن الأواه، فقال: هو الرحيم، أي: بعباد الله، وقال ابن المبارك، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: "الأواه: الموقن بلسان الحبشة"⁽¹⁾.

قال الشوكاني: "وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مرويه عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: قال رجل: يا رسول الله! ما الأواه؟ قال: (الخاشع المتضرع بالدعاء). وهذا إن ثبت وجب المصير إليه وتقديمه على ما ذكره أهل اللغة في معنى الأواه"⁽²⁾.

كما سبق عرضنا أقوالاً في معنى الأواه، وظهر اختلاف متنوع في تفسيرها، ويجد القارئ أنها كلها تصب في معنى واحد، ولكن هذه المرة قيد الحكم بالثبوت وهذا مما لا شك فيه.

فذهابه لهذا القول، يدل على الذين لم يعطوا الأهمية الكافية للتفسير النبوي مقارنة بالتفسيرات اللغوية، ويوضح أن الحديث النبوي هو المصدر الأول والأكثر موثوقية في تحديد المعاني القرآنية، ويجب أن يُقدّم على أي تفسير لغوي عند وجوده، وأن العلماء قرنوا هذا المعنى بالمعنى اللغوي، وخاصة التي خص بها أهل اللغة، تجد أنه في هذا المعنى لا يقدم على كلام الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلم- أحداً.

ث- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر 1)

تشير إلى النعم العظيمة التي منحها الله للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - سواء أكانت في شكل نهر في الجنة، أم كرم وبركة في رسالته ومكانته.

قال الطبري: إن "الكوثر" هو نهر في الجنة أعطاه الله للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الرأي الذي دعمه بعدة أحاديث نبوية، منها حديث ابن عمر الذي يصف الكوثر بأنه نهر حافاته من ذهب وفضة، ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل. ورغم وجود رأي آخر يفسر "الكوثر" على أنه الخير الكثير، يرى الطبري أن التفسير الأرجح هو أنه اسم للنهر الذي أعطي للنبي في الجنة⁽³⁾.

وابن كثير يروي حديثاً عن أنس بن مالك⁴، حيث أخبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه بعد أن أغفى وابتسم أنه أنزلت عليه سورة الكوثر، ثم فسّر لهم الكوثر بأنه نهر في الجنة أعطاه

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 4 ص 225-226-227

(2) الشوكاني، فتح 2/ 469

(3) الطبري، جامع البيان، ج 24 ص 645

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: البسمة آية من أول كل سورة سوى براءة رقم الحديث: 400

الله له، عليه خير كثير، وسترد عليه أمته يوم القيامة، ويُذكر أن هناك آيته بعدد الكواكب، وفي يوم القيامة، سيحاول النبي أن يشفع لأمته، ولكن يُقال له: "إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"، في إشارة إلى بعض الناس الذين انحرفوا بعد وفاة النبي⁽¹⁾، يقول: القرطبي يوضح أن "الكوثر" يأتي من الكثرة، ويشير إلى أن العرب تطلق "الكوثر" على كل شيء كثير في العدد أو القيمة، وفي المسألة الثانية، يشير القرطبي إلى أن العلماء اختلفوا في تفسير "الكوثر" الذي أعطي للنبي -صلى الله عليه وسلم- وذكر ستة عشر قولاً، من أبرزها أنه نهر في الجنة، وهو ما رواه البخاري والترمذي عن أنس⁽²⁾، فالاختلافات في تفسير "الكوثر" تعكس تنوعاً في الفهم، من تفسيره نهراً في الجنة، إلى تفسيره رمزاً للخير والبركة التي مُنحت للنبي -صلى الله عليه وسلم- بما في ذلك النعم الدينية والدينية، فكل تفسير يبرز جوانب مختلفة من النعمة التي منحها الله للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- ويعكس غنى المعاني التي يمكن أن تُستخلص من هذه الآية.

قال الشوكاني: "والكوثر فوعل من الكثرة، وصف به للمبالغة في الكثرة، مثل النوافل من النفل، والجوهر من الجهر، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو القدر أو الخطر كوثرًا، ومنه قول الشاعر: وقد ثار نفع الموت حتى تكوثرًا .."

وذهب أكثر المفسرين كما حكاه الواحدي إلى أن الكوثر نهر في الجنة، وتذكر بعض الآثار، ثم أردف قائلاً: فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة، فيتعين المصير إليها، وعدم التعويل على غيرها، وإن كان معنى الكوثر: هو الخير الكثير في لغة العرب، فمن فسره بما هو أعم مما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو تفسير ناظر إلى المعنى اللغوي⁽³⁾.

بعد استعراض الأقوال للعلماء قال -رحمه الله-: "فيتعين المصير إليها، وعدم التعويل على غيره"⁽⁴⁾، أراد رحمه الله من خلال كلامه السابق أن يبين للأمة أن ثمة فرق بين المعنيين اللغوي والشرعي، وخاصة إن كان حديثاً صحيحاً، فبعد أن رأى الشوكاني أقوال المفسرين واعتمادهم للغة دون الرجوع إلى ما ثبت في القرآن أو السنة قوله -رحمه الله-: "وإن كان معنى الكوثر هو الخير

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 1 ص 452، حديث الإمام أحمد المسند 102/3

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 20 ص 216

(3) الشوكاني، فتح 5/ 614، 615، 616

(4) الشوكاني المرجع نفسه ونفس الصفحة.

الكثير في لغة العرب، لكن مع ورود النص نذهب إلى النص، وليس هناك حرج أن يكون تفسير ناظر للغة العرب"، وما يهمننا نحن من تبين منهجه - رحمه الله - قوله ولا يعول على غيرها.

المطلب الثاني: نقده للغويين.

نقده لما ذهب إليه اللغويون من الرأي: نقد الشوكاني للغويين يتلخص في عدة جوانب رئيسية:

1- التمسك بالمفاهيم اللغوية التقليدية: انتقد الشوكاني تمسك بعض اللغويين بالمفاهيم اللغوية التقليدية دون أخذ الاعتبارات السياقية والشرعية في الحسبان؛ مما قد يؤدي إلى تفسيرات غير دقيقة ومن أمثله: قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةً﴾ (الغاشية: 11)

وهنا نتيجة، كان الشوكاني يطالب بنهج أكثر توازناً، يتضمن الاعتبارات اللغوية والشرعية معاً، بدلاً من الاعتماد على أحدهما دون الآخر، فقوله ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةً﴾ (الغاشية: 11)، يعكس صفاء وسمو البيئة في الجنة، حيث ستكون خالية من الكلام الفارغ وغير المفيد، فالجنة ستكون مكاناً خالياً من كل ما يُسيء إلى سعادة وهدوء المؤمنين؛ مما يعزز من تصور نعيمها الكامل، وقد ناقش العلماء المراد باللغو في الآية وعقب الشوكاني على ذلك في التالي:

يقول الطبري مفسراً "لاغية" بأنها تعني كلمة لغو أو باطل، مثلما يُقال لصاحب الدرع "دارع"، ولصاحب الفرس "فارس"، ويشير إلى أن بعضهم قال إن "لاغية" تعني من يحلف على الكذب، لكنه يوضح أن هذا التفسير ضعيف؛ لأن أهل التأويل من الصحابة والتابعين أجمعوا على أن "لاغية" تعني كلاماً باطلاً أو لغواً، ولا يجوز مخالفة إجماعهم⁽¹⁾.

يقول القرطبي موضحاً أن "لاغية": "تعني كلاماً ساقطاً وغير مرضي، ويشمل ذلك عدة معاني مثل الكذب، والبهتان، والكفر، والباطل، والإثم، والشتم، أو الحلف بالكذب، يذكر ستة تفسيرات مختلفة لهذه الكلمة، من بينها أن أهل الجنة لا يسمعون في كلامهم إلا الحكمة وحمد الله، ويرى أن هذا التفسير الأخير هو الأفضل لأنه يشمل جميع المعاني المذكورة⁽²⁾.

وقال ابن كثير: "﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةً﴾ أي: لا يسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو، كما قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لُغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ (مریم: 62) وقال: ﴿لَا لُغْوًا فِيهَا وَلَا تَأْتِيمًا﴾ (الطور: 23)

(1) الطبري، جامع البيان، ج 24 ص 386

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 20 ص 33

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة: 25، 26)
" (1) قال الفراء: "حالفه على كذب" (2).

اختلاف العلماء في تفسير "اللاغية" يعكس تنوعاً في فهم طبيعة الجنة وصفاء أجوائها. بينما يشير التفسير التقليدي إلى عدم وجود الكلام الفارغ، فإن بعض الآراء الأوسع تعتقد أن "اللاغية" تشمل جميع أشكال الكلام والأفعال غير المجدية. التفسير الأعمق يأخذ بعين الاعتبار السياق العام للسورة لتأكيد نقاء وهدوء الجنة بكل أبعادها، وبعد عرض الأقوال قال الشوكاني: "وهذا أرجح الأقوال، لأن النكرة في سياق النفي من صيغ العموم، ولا وجه لتخصيص هذا بنوع من اللغو خاص إلا بمخصص يصلح للتخصيص" (3).

والشوكاني قد رجح -رحمه الله- هذه القاعدة (النكرة في سياق النفي تفيد العموم)، ثم أرفد ذلك قائلاً ولا وجه لتخصيص اللغو إلا بمخصص يصلح لذلك، أي أنه لا يوجد في الجنة لغو أبداً، وهنا أن يرجح اللغة في تفسير القرآن وهو بذلك لم يتجاوز قول الصحابة والتابعين، إنما كان قريباً من نفس المعنى وبعيدا عن التأويلات الخاطئة، وكان كلامه للكلامي وغيره أنه لا وجه لتخصيص اللغو وهذا يؤيد نقده رحمه الله.

2- قال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرَبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسْعِرِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة 236)

تتناول الآية الكريمة موضوع الحقوق المالية التي يجب أن تُعطى للمرأة المطلقة في فترة العدة، والآية تدعو إلى تقديم متاع للمرأة المطلقة في أثناء فترة العدة يتناسب مع قدرة الرجل المالية، ويجب أن يكون وفقاً للأعراف المقبولة وبما يليق بالمرأة، وهذا يشير إلى مراعاة الشريعة الإسلامية لحقوق المرأة وضمان توفير الدعم والتقدير لها خلال فترة العدة، وقد ناقش العلماء الاختلاف هنا، وأشار ابن كثير إلى ذلك، ووضح أن العلماء اختلفوا في وجوب المتعة المطلقة إلى ثلاثة أقوال (4):

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 8 ص 386

(2) الفراء يحيى بن زياد معاني القرآن دار المصرية تحقيق: أحمد النجاتي محمد النجار عبد الفتاح الشلبي ط: 1 ج: 3 ص 257

(3) الشوكاني، فتح القدير، 5.523.

(4) تفسير الطبري جامع البيان، ج 4/ص 304.

- وجوب المتعة لكل مطلقة استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: 241).
- وجوب المتعة للمطلقة قبل الدخول بها، إذا كان قد فُرض لها مهر، لقوله تعالى: ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (الأحزاب: 49).
- وجوب المتعة للمطلقة إذا لم يدخل بها، ولم يُفرض لها مهر، إذا كان قد فُرض لها مهر وطلقها قبل الدخول، يجب لها نصف المهر، وبعض العلماء يرون أن المتعة مستحبة وليست واجبة دائم⁽¹⁾.
- وقد أورد القرطبي في (جامعه مسائل في تفسير حكم المتعة للمطلقة)، وقد ذكر من أبرزها خمسة مسائل، تدل على ما يريده الشوكاني: وهو رفع الحرج عن المطلق قبل البناء والجماع: الآية ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (البقرة 236) ترفع الحرج عن المطلق في هذه الحالة⁽²⁾.

أنواع المطلقات:

- مدخول بها ومفروض لها: لا يُسترد شيء من مهرها.
- غير مفروض لها وغير مدخول بها: لا مهر لها.
- مفروض لها وغير مدخول بها.
- مدخول بها وغير مفروض لها.

حال المطلقة تنقسم إلى قسمين:

- مطلقة مسمى لها المهر.
- مطلقة لم يُسمَّ لها المهر، وهذا يدل على أن نكاح التفويض جائز.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 1 ص 641 - 642

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 3/ص 200.

حكم الموت قبل الفرض: إذا مات الزوج قبل الفرض والدخول، فلها مهر مثل نساءها، وعليها العدة، ولها الميراث، وهذا مستند إلى حديث ابن مسعود وقضاء النبي -صلى الله عليه وسلم- في بروع بنت واشق⁽¹⁾.

وجوب المتعة: الآية ﴿ومتعوهن﴾ تشير إلى إعطاء المطلقة شيئاً يكون متاعاً لها. هناك خلاف حول وجوب المتعة:

القول الأول: (الوجوب): يؤيده ابن عمر، علي بن أبي طالب، والحسن وغيرهم⁽²⁾.

القول الثاني: (الندب): يؤيده أبو عبيد ومالك بن أنس وأصحابه، والقرطبي يرجح القول الأول، حيث يرى أن الأمر بالإمتاع في القرآن، يدل على الوجوب أكثر من الندب⁽³⁾.

إن الآية تعكس قيمة الإحسان، وتدعو إلى تقديم المتاع بكرم وبما يتناسب مع الحالة الاجتماعية والأخلاقية، مما يعزز من قيمة الإحسان في الشريعة، والاختلافات في تفسير الآية تتناول مدى التركيز على الأبعاد المالية والتقديرية للأحكام، وكذلك مدى شمولية التفسير لمفاهيم "الموسع" و"المقتّر". فبعض المفسرين يرون أن التفسير يجب أن يكون شاملاً ومراعياً للقدرة المالية والتقدير، بينما يركز البعض على الجوانب المالية المباشرة والالتزام بالقدرة المادية لكل فرد.

قال الشوكاني: "وقال مالك، وأبو عبيد، والقاضي شريح، وغيرهم: إن المتعة للمطلقة المذكورة مندوبة لا واجبة لقوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ ولو كانت واجبة لأطلقها على الخلق أجمعين ويجاب عنه: بأن ذلك لا ينافي الوجوب، بل هو تأكيد له، كما في قوله في الآية الأخرى: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 241)، أي: أن الوفاء بذلك والقيام به شأن أهل التقوى، كل مسلم يجب عليه أن يتقي الله سبحانه"⁽⁴⁾.

هذا القول فيه اعتراض على رأي من قالوا إن المتعة للمطلقة مندوبة وليست واجبة، هؤلاء العلماء، مثل مالك وأبي عبيد والقاضي شريح، استندوا في رأيهم إلى قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى

(1) انظر: موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعلي ٥٤١ - ٦٢٠ هـ، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م: 158/2.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 3 ص 196 - 197

(3) المصدر السابق، ج 3 ص 198 - 200

(4) الشوكاني، فتح القدير، ج 2، 109

المُحْسِنِينَ} واعتبروا أن المتعة لو كانت واجبة لكانت موجهة لجميع الناس، وليس فقط للمحسنين فالشوكاني هنا يرد عليهم بأن هذا الاستدلال غير صحيح؛ لأن وصف المتقين أو المحسنين في الآية لا ينفي وجوب المتعة، بل يؤكد عليه، ويفسر ذلك بأن الوفاء بهذا الأمر والقيام به هو من شأن أهل التقوى والإحسان، لكن كل مسلم يجب عليه أن يتقي الله، وبالتالي، فإن المتعة واجبة على الجميع، وليس مجرد ندب أو استحباب⁽¹⁾.

3-الابتعاد عن الأسس الشرعية: أنكر الشوكاني على بعض اللغويين الذين قد يبتعدون عن الأسس الشرعية في تفسير النصوص، مفضلاً الاعتماد على التفسير النبوي والشرعي الذي يوفر فهماً أعمق للنصوص، ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلَةٍ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِإِيهِ كُلِّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران 7).

الآية تبرز أهمية التفويض في علم تأويل النصوص المتشابهة في القرآن إلى الله، وتؤكد أن الراسخين في العلم يقتصر دورهم على الإيمان بالقرآن كاملاً دون إدراك التفاصيل الكاملة لتأويل كل ما فيه، كما تشدد على أن التذكير والتفكير في معاني القرآن هو خاص بأصحاب العقول الناضجة⁽²⁾.

اختلف العلماء في تفسير (الراسخون في العلم):

فبعضهم يشير إلى أن ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هم العلماء المتعمقون الذين لديهم فهم جيد للقرآن والتفسير، والذين يمكنهم فهم معاني الآيات المتشابهة بقدر كبير، لكنهم يعترفون بأن التأويل الكامل

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر دمشق - سورية، دار الفكر

المعاصر بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ج 2 / ص 385.

(2) الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسيني الشافعي ت ٩٠٥ هـ تفسير الإيجي

جامع البيان في تفسير القرآن، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ج 1/222.

هو من اختصاص الله، وبعض المفسرين يرون أن "الراسخون في العلم" يمكنهم الوصول إلى فهم أعمق للتأويلات، حتى وإن كان هذا الفهم ليس كاملاً⁽¹⁾.

وبعض العلماء يعتبرون أن تفسير ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يجب أن يكون أكثر انفتاحاً على إمكانية تفسير بعض الأبعاد الدقيقة للآيات، بالرغم من أن التأويل الكامل يبقى في علم الله.

يوضح الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره للآية أن معرفة وقت قيام الساعة وعلم الأمور الغيبية هو مما يختص به الله وحده، ولا يعلمه أحد من البشر مهما حاولوا الوصول إليه عن طريق الحسابات أو الكهانة، أما الراسخون في العلم، فهم يؤمنون بأن كل ما في القرآن من المحكم والمتشابه هو من عند الله، ويعلمون أن علم المتشابه لا يعلمه إلا الله وحده، ثم بين ابن جرير اختلاف المفسرين حول تفسير الآية: هل ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ معطوفون على اسم الله، فيعطى لهم العلم بتأويل المتشابه، أم أنهم يُخبر عنهم بأنهم يؤمنون ويقولون "آمنا به، كل من عند ربنا" دون أن يعرفوا التأويل، تاركين علم المتشابه لله وحده⁽²⁾.

القرطبي في تفسيره للآية يناقش اختلاف العلماء حول ما إذا كانت عبارة "والراسخون في العلم" جزءاً من الكلام السابق، أم أنها جملة مستقلة، الأكثر من العلماء، مثل ابن عمر وابن عباس وعائشة وغيرهم، يرون أن الكلام ينتهي عند قوله "إلا الله"، وأن "الراسخون في العلم" هي بداية جملة جديدة تشير إلى أن هؤلاء العلماء يقولون: "آمنا به كل من عند ربنا"، ويرى هؤلاء أن الوقف التام يكون عند قوله تعالى "وما يعلم تأويله إلا الله"، وأن ما يليها هو استئناف لكلام جديد، وليس استمراراً لما سبق، بهذا يعتبرون أن "الراسخون في العلم" يؤمنون بالمتشابه دون محاولة تفسيره، لأنهم يعتقدون أن علم ذلك محصور بالله وحده⁽³⁾.

قال السيوطي: "وأخرج أبو داود في المصاحف عن الأعمش قال: في قراءة عبد الله وإن حقيقة تأويله عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به"⁽⁴⁾.

(1) يُنظر: ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي ت ١٢٢٤هـ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ، ج 1/ص 325.

(2) الطبري، جامع البيان، ج 6 ص 201

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 4 ص 16-17

(4) السيوطي، الدر المنثور، 458/3.

قال ابن كثير: "قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه قال: كان ابن عباس يقرأ: "وما يعلم تأويله إلا الله، ويقول الراسخون: (آمنّا به) وكذا رواه ابن جرير، عن عمر بن عبد العزيز، وسئل الإمام مالك بن أنس⁽¹⁾ عن قوله تعالى: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ أَيْعَلِمُ تَأْوِيلَهُ الراسخون في العلم؟ قال: لا، وإنما معنى ذلك أن قال: وما يعلم تأويله إلا الله، ثم أخبر فقال: والراسخون في العلم يقولون: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وليس يعلمون تأويله⁽²⁾، وحكى ابن جرير عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وما يعلم تأويله﴾ الذي أراد ما أراد ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: 7) ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد⁽³⁾.

قال الشوكاني: "واختلف أهل العلم في قوله والراسخون في العلم هل مقطوع عما قبله أم معطوف والذي عليه الأكثر أنه مقطوع وأن الكلام تم عند قوله إلا الله.

ثم قال واحتج له بعض أهل اللغة⁽⁴⁾.

فقال ما نقله عن القرطبي: فكان قول عامة العلماء مع مساعدة مذاهب النحويين له أولى من قول مجاهد وحده. يقولون ومن جملة ما استدلت به القائلون بالعطف: أن الله سبحانه مدحهم بالرسوخ في العلم، فكيف يمدحهم وهم لا يعلمون ذلك؟ ويجاب عن هذا بأن تركهم لطلب علم ما لم يأذن الله به، ولا جعل لخلقه إلى علمه سبيلا هو من رسوخهم، لأنهم علموا أن ذلك مما استأثر الله بعلمه، فهؤلاء ثبتوا في امتثال ما جاءهم عن الله من ترك اتباع المتشابه، وإرجاع علمه إلى الله سبحانه⁽⁵⁾.

ومما سبق يمكن القول أن الغاية التي أرادها الشوكاني -رحمه الله- من القائلين بالعطف في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هي أن كل العلماء بمن فيهم علماء اللغة، أجمعوا على أنه

(1) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح الأصبحي الحميري، أبو عبد الله المدني الفقيه، إمام دار الهجرة، حليف عثمان بن عبيد الله القرشي . الميلاد: 93هـ، وقيل: 94هـ، وقيل: في خلافة سليمان بن عبد الملك

الوفاة: 179هـ، وقيل: 178هـ .

(2) الحارث المحاسبي: فهم القرآن، ص 330.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2 ص 11

(4) الشوكاني فتح القدير م 1 / ص 362.

(5) الشوكاني، المصدر السابق، م 1 / 363/

مقطوع، فقال حتى وإن استدل القائلون بالعطف أن الله مدح الراسخين كيف لا يكونون كذلك، فقال: إن تركهم لطلب علم ما لم يأذن الله به، ولا جعل لخلقه إلى علمه سبيلا هو من رسوخهم.

الشوكاني قدم نقده في هذه المسألة بالتحديد حول تفسير قوله تعالى: "والراسخون في العلم"، وما إذا كانت الجملة معطوفة على ما قبلها أم مقطوعة عنه؛ بينما العديد من العلماء اعتبروا أن الجملة مقطوعة، بحيث ينتهي الكلام عند قوله: "إلا الله"، نجد أنه يوجه نقده لمن يقول بالعطف، أي أن "الراسخون في العلم" معطوفة على "الله" بمعنى أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، وينقل حجة من يقولون بالعطف، حيث يرون أن الله مدح الراسخين في العلم، وبالتالي لا يمكن أن يمدحهم على جهلهم بالمتشابه، لكنه يرد على هذه الحجة بقوله: إن من رسوخهم في العلم هو تركهم طلب علم ما لم يأذن الله به، وهو ما يدل على معرفتهم بأن هذا العلم استأثر الله به وحده، وبالتالي، فإن ثباتهم في الالتزام بما جاءهم من الله وإرجاع علم المتشابه إلى الله هو ذاته رسوخ في العلم⁽¹⁾.

بهذا الرد، يعزز موقف القائلين بأن الجملة مقطوعة، وأن الراسخين في العلم ليسوا مطالبين بمعرفة المتشابه، بل بتركه وإرجاع علمه إلى الله، وهذا بحد ذاته مدح لهم.

4- قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران 18)

الآية تؤكد على أن الله هو وحده المستحق للعبادة ويشهد بوحديته كل من الله نفسه، والملائكة، وأولي العلم، كما تسلط الضوء على أن الله هو القائم بالعدل والمساواة، وهو العزيز والحكيم، مما يثبت قوة وحكمة وحدانيته، والنقد قد يوجه إلى تقييد تفسير بعض المفسرين لمعاني الآية إلى مستويات معينة قد تكون ضيقة، مثل فهم شهادة الملائكة وأولي العلم فقط كموافقة تأكيدية، دون توسيع الفهم إلى دلالات أعمق حول توحيد الله وطبيعة عدله وحكمته⁽²⁾.

(1) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 7/ص 146.

(2) يُنظر: ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية ت 751هـ، تفسير القرآن الكريم ابن القيم، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - 1410 هـ، ص 187.

وبعض المفسرين يمكن أن يعزروا من فهم الأبعاد المختلفة للتأكيد على صفات الله، بما في ذلك تأكيد عدله وحكمته بشكل أوسع، وهو ما يمكن أن يعزز فهم الآية في سياقها الشامل.

قال الطبري: " القول في تأويل الآية: يعني بذلك جل ثناؤه: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهدت الملائكة، وأولو العلم. ف"الملائكة" معطوف بهم على اسم "الله"، و"أنه" مفتوحة بـ "شهد"، وكان بعض البصريين يتأول قوله: "شهد الله"، قضي الله، ويرفع "الملائكة"، بمعنى: والملائكة شهود وأولو العلم" (1).

قال القرطبي: " قوله تعالى: " شهد الله" أي بين وأعلم، كما يقال: شهد فلان عند القاضي إذا بين وأعلم لمن الحق، أو على من هو. قال الزجاج: الشاهد هو الذي يعلم الشيء ويبينه، فقد دلنا الله تعالى على وحدانيته بما خلق وبين، وقال أبو عبيدة: "شهد الله" بمعنى قضي الله، أي أعلم. وقال ابن عطية: وهذا مردود من جهات" (2).

قال الشوكاني: "قال الزجاج: الشاهد: هو الذي يعلم الشيء ويبينه، فقد دلنا الله على وحدانيته بما خلق وبين وقال أبو عبيدة: شهد الله بمعنى: قضي، أي: أعلم. قال ابن عطية، وهذا مردود من جهات، وقيل: إنها شبهت دلالاته على وحدانيته بأفعاله، ووحيه بشهادة الشاهد في كونها مبينة" (3).

والشوكاني يرى أن تفسيرهما لمعنى "شهد الله" في قوله تعالى: "شهد الله أنه لا إله إلا هو" غير مقبول من عدة جوانب. الزجاج اعتبر أن الشهادة هنا بمعنى العلم والبيان، وأبو عبيدة اعتبرها بمعنى القضاء أو الإعلام، لكن الشوكاني، نقلاً عن ابن عطية، يرد هذه التفسيرات من عدة جهات، موضحاً أن هذه الآراء غير كافية ولا تتفق مع السياق العام للشهادة في القرآن، التي تحمل معنى أعمق يتجاوز مجرد العلم أو البيان.

ج- قال تعالى: ﴿ قُلِ اَللّٰهُمَّ مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾ (آل عمران: 26)

نداء إلى الله، باعتباره مالك الملك الحقيقي والوحيد، يتطلب هذا النداء التقدير الكامل لسلطته المطلقة على كل ما في الكون، والآية تأتي في سياق الدعاء والتوسل إلى الله، وتأكيد سيادته

(1) الطبري،، جامع البيان، ج 6 ص 267

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 4 ص 42

(3) الشوكاني فتح القدير، م/373

وقدرته في تنظيم شؤون الدنيا والآخرة، وتذكر الآية أهمية الاستعانة بالله في جميع الأمور، والاعتراف بسلطته المطلقة على كل شيء⁽¹⁾، وقد اختلف في تأويل قوله تعالى: (قل اللهم)، وأشاروا له في التالي:

قول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ هو أن معنى "اللهم" هو "يا الله". ويشير الطبري إلى اختلاف أهل اللغة في سبب إضافة "الميم" إلى كلمة "الله"، حيث أن المنادى المفرد عادةً يرفع ولا يتطلب إضافة مثل هذه. ويذكر أن بعض اللغويين يرون أن "الميم" أضيفت لأن كلمة "الله" لا تتأدى بـ"يا" كما يُنادى الأسماء الأخرى التي لا تحتوي على "ألف" و"لام"⁽²⁾، قال القرطبي في قوله تعالى: "قل اللهم": "اختلف النحويون في تركيب لفظة "اللهم" بعد إجماعهم أنها مضمومة الهاء مشددة الميم المفتوحة، وأنها منادى، وقد جاءت مخففة الميم في قول الأعشى:

كدعوة من أبي رباح ... يسمعها اللهم الكبار⁽³⁾.

قال الخليل وسيبويه وجميع البصريين: "إن أصل اللهم يا الله، فلما استعملت الكلمة دون حرف النداء الذي هو "يا" جعلوا بدله هذه الميم المشددة، فجاءوا بحرفين وهما الميمان عوضاً من حرفين وهما الياء والألف، والضممة في الهاء هي ضمة الاسم المنادى المفرد. وذهب الفراء والكوفيون إلى أن الأصل في اللهم يا الله أمنا بخير"⁽⁴⁾.

قال الشوكاني: "قوله: قل اللهم. قال الخليل وسيبويه وجميع البصريين: إن أصل اللهم يا الله، فلما استعملت الكلمة دون حرف النداء الذي هو (يا) جعلوا بدله هذه الميم المشددة، فجاءوا بحرفين وهما الميمان عوضاً من حرفين، وهما الياء والألف، والضممة في الهاء: هي ضمة الاسم المنادى المفرد. وذهب الفراء والكوفيون:

(1) يُنظر: خضر، عبد الله حمد، الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، الناشر: دار القلم، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م، ج 6/ ص 57.

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 6 ص 295-296-297.

(3) ديوان الأعشى هو: أَبُو بَصِيرٍ مَيْمُونٌ بِنُ قَيْسِ بِنُ جَنْدَلٍ بِنُ شَرَّاحِيلَ بِنُ عَوْفِ بِنُ سَعْدِ بِنُ ضُبَيْعَةَ الْبَكْرِيِّ م:

570 م وف: 625م

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 4 ص 53 - 54 - 55

إلى أن الأصل في اللهم يا الله أمنا بخير، فحذف وخطت الكلمتين، والضمة التي في الهاء: هي الضمة التي كانت في أمنا، لما حذفتم الهمزة انتقلت الحركة، قال النحاس: "هذا عند الكوفيين من الخطأ العظيم، والقول في هذا: ما قاله الخليل وسيبويه"⁽¹⁾.

أقول: وكل ما في الأمر أنه اختلف المذهبان على أصل قوله تعالى (قل اللهم)

والشوكاني قد رجح قول البصريين، وانتقد مذهب الكوفيين بذكر قول النحاس هذا عند الكوفيين من الخطأ العظيم، لقد أبدع الشوكاني في نقده للعلماء فهو متناسق بناء مع تقدير الآراء في نقده للفراء والكوفيين في تفسيرهم لأصل كلمة "اللهم" عندما قالوا إن أصلها هو "يا الله أمنا بخير"، ثم قاموا بحذف وخطت الكلمتين معاً، وفي هذا السياق، قد اعتبر الشوكاني أن هذا التفسير بعيد عن الصواب، مستشهداً برأي النحاس الذي وصف هذا الفهم بأنه "من الخطأ العظيم".

ويبدو من وجهة نظر الشوكاني، أن تفسير الخليل وسيبويه وجميع البصريين هو الأصح، حيث يرون أن "اللهم" أصلها "يا الله"، وعندما استخدمت الكلمة دون حرف النداء "يا"، أضيفت "الميم" المشددة لتعويض عن حرفي "يا" و"الألف"، والضمة في الهاء هي ضمة المنادى المفرد. الشوكاني يوافق على هذا الرأي ويرى أنه الأقرب للصواب، منتقداً بشدة التفسير الكوفي الذي اعتبره غير دقيق ولا يستند إلى فهم صحيح لأصول اللغة.

المطلب الثالث: تقديمه للحقيقة الشرعية على اللغوية.

تقديم الشوكاني للحقيقة الشرعية على اللغوية يتلخص في النقاط التالية:

1. أولوية النصوص الشرعية: اعتبر الشوكاني أن النصوص الشرعية (القرآن الكريم والسنة النبوية) تقدم الأولوية في تفسير النصوص وتحديد المعاني، هذا يعني أن التفسير الشرعي يجب أن يكون هو الأساس، حتى وإن كانت المعاني اللغوية قد تبدو مختلفة.

2. توضيح المعاني الشرعية: الشوكاني رأى أن الحقيقة الشرعية يمكن أن توضح وتضبط المعاني اللغوية من خلال السياق الذي ترد فيه النصوص الشرعية، مما يضمن توافق التفسير مع الأحكام الشرعية الصحيحة.

(1) الشوكاني، فتح القدير، م 1 378

3. تفسير النصوص من خلال النصوص: حيث يرى الشوكاني أن فهم النصوص يجب أن يكون من خلال النصوص الأخرى المتوافقة معها في الكتاب والسنة، وليس فقط من خلال الفهم اللغوي العام، لضمان دقة التفسير.

4. تجنب التفسيرات اللغوية البحتة: انتقد الشوكاني الاعتماد الكامل على المعاني اللغوية البحتة التي قد تؤدي إلى تفسيرات غير متوافقة مع النصوص الشرعية. بدلاً من ذلك، اعتبر أن الحقيقة الشرعية تملك القدرة على توجيه الفهم اللغوي بما يتوافق مع الأحكام الشرعية.

باختصار، كان الشوكاني يرى أن الحقيقة الشرعية يجب أن تأتي أولاً في تفسير النصوص وتحديد المعاني، لأنها توفر فهماً أعمق وأدق يتفق مع النصوص الشرعية ويساهم في تحقيق الدقة في التفسير.

تجنب التفسيرات اللغوية البحتة: اعتبر الشوكاني أن الحقيقة الشرعية تملك القدرة على توجيه الفهم اللغوي بما يتوافق مع الأحكام الشرعية ومن أمثلة ذلك:

أ- قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم 30).

تدعو الآية إلى العودة إلى الفطرة السليمة والتمسك بالدين القويم الذي خلق الله الناس عليه، مشيرة إلى أن الانحراف عن هذه الفطرة لا يتفق مع طبيعة الخلق والتوحيد الذي أوجده الله⁽¹⁾.

والآية تدعو إلى الالتزام بالدين القويم الذي يتوافق مع الفطرة البشرية الأصلية، محذرة من محاولة تبديل أو تغيير هذا الخلق أو الدين، وتبين أن معظم الناس لا يدركون هذه الحقيقة.

قال ابن جرير الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ يفسر الأمر بتوجيه الوجه نحو طاعة الله والدين المستقيم. ويفسر "فِطْرَةَ اللَّهِ" بأنها الصنعة أو الطبيعة التي خلق الله الناس عليها، وهي الإسلام، وذلك منذ خلقهم.

ويوضح الطبري أن الفطرة هنا تعني الإسلام الذي أقره البشر منذ خلقهم، مستشهداً بآية "الْأَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ". ويؤكد أن هذه الفطرة هي الإسلام الذي خلق الله الناس عليه⁽²⁾.

(1) يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير، ج 21/ ص 83.

(2) الطبري، جامع البيان، ج 20 ص 97.

قال ابن كثير: " يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفة ملة إبراهيم، الذي هداه الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على (معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف: 17)⁽¹⁾.

وقد أشار القرطبي لاختلاف العلماء في الآية، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ فيه يذكر القرطبي أن "فطرة الله" تعني اتباع الدين الحنيف والفطرة التي خلق الله الناس عليها، وأوضح الزجاج أن "فطرة" تعني اتباع دين الله، بينما قال الطبري إنها مصدر يُعبر عن خلق الله الناس على الفطرة حديث الفطرة: يستشهد القرطبي بحديث النبي صلى الله عليه وسلم - الذي يوضح أن كل مولود يولد على الفطرة، ولكن أبويه يغيرانه إلى يهودي أو نصراني أو مجوسي⁽²⁾.

معنى الفطرة: يذكر القرطبي اختلاف العلماء في تفسير "الفطرة"؛ منهم من قال إنها الإسلام، ومنهم من قال إنها البداءة التي خلق الله الناس عليها. الفطرة تعني أنهم خلقوا على الميثاق الذي أخذ الله على ذرية آدم⁽³⁾.

قال الشوكاني: "والقول بأن المراد بالفطرة هنا: الإسلام هو مذهب جمهور السلف. وقال آخرون: هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها، فإن ابتدأهم للحياة والموت، والسعادة والشقاوة، والفاطر في كلام العرب هو المبتدئ، وهذا مصير من القائلين به إلى معنى الفطرة لغة، وإهمال معناها شرعاً، والمعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي باتفاق أهل الشرع"⁽⁴⁾.

بعد أن استعرض الشوكاني أقوال العلماء، ذكر أن هناك من قال إن الفطرة تعني البداءة التي بدأ الله بها الخلق. وأضاف أن هذا التفسير يؤدي إلى الانحصار في المعنى اللغوي للفطرة وتجاهل معناها الشرعي. وعلى الرغم من أن العديد من العلماء يذكرون المعنى اللغوي ثم الشرعي، فإن ما يُحذر منه هو إهمال المعنى الشرعي. هنا، ينتقد الشوكاني من قالوا إن "الفطرة" تشير إلى البداءة التي بدأ الله بها الخلق من حياة وموت وسعادة وشقاء، إذ يقتصر هذا التفسير على

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6 ص 313.

(2) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 14/ ص 24.

(3) القرطبي، المصدر السابق، ج 14 ص 24 - 25.

(4) الشوكاني، فتح القدير، ج 4/ص 258.

المعنى اللغوي ويتجاهل المعنى الشرعي المرتبط بالفطرة. ويؤكد أن المعنى الشرعي هو الأهم، وهذا ما اتفق عليه أهل الشرع. بناءً على ذلك، يرى أن التفسير الأرجح هو أن "الفطرة" تعني الإسلام، كما ذهب جمهور السلف، لأن ذلك يتوافق مع المعنى الشرعي الذي يقدمه الإسلام.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَّةً وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء 3)

الآية جزء من تشريع يتعلق بالزواج والعدل، وتدعو إلى القسط والعدالة في المعاملة، وتفسير الآية قد شهد اختلافًا بين العلماء في تفسيره وتطبيقاته؛ بناءً على فهم السياق التاريخي والاجتماعي للآية، وأيضاً بناءً على كيفية تفسير مبادئ العدالة والقدرة المالية والشرعية⁽¹⁾، ومن أبرز جوانب هذا الاختلاف:

- رأي: يفسر بعض العلماء أن الآية ترخص الزواج بأربع نساء، مع التأكيد على ضرورة العدالة بينهن، ويتفقون على أن تعدد الزوجات هنا مشروط بالقدرة على تحقيق العدل⁽²⁾.

- رأي آخر: يرى بعض العلماء أن الآية تشير إلى أن تعدد الزوجات كان متاحاً في وقت نزول الآية، ولكن في ظل الظروف الاجتماعية التي فرضت⁽³⁾.

- رأي: يعتقد بعض العلماء أن "فواحدة" (واحدة فقط) هي الخيار الأفضل إذا كان هناك خوف من عدم القدرة على تحقيق العدل، وهذا يعكس مدى أهمية العدالة في العلاقات الزوجية⁽⁴⁾.

- رأي آخر: هناك من يرى أن الاقتصار على "ما ملكت أيمانكم" هو خيار ثانوي وليس خياراً أساسياً، ويعني أن الإمام يمكن أن يُعتبروا كخيار متاح عندما يكون هناك صعوبة في إدارة العدل بين الزوجات⁽⁵⁾.

(1) يُنظر: النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين ت ٧١٠ هـ، تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج 1/ص 328*.

(2) يُنظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج 3/ص 584.

(3) عزت، درورة محمد، التفسير الحديث مرتب حسب ترتيب النزول، الناشر: دار إحياء الكتب العربية -

القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ، ج 7/ص 400.

(4) يُنظر: محمد بن صالح العثيمين تفسير القرآن الكريم «سورة النساء»، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ج 1/ص 30.

قال الطبري: في تفسير قوله تعالى: "مثنى وثلاث ورباع"، يوضح الطبري أن هذه الكلمات تركت من إجرائها؛ لأنها معدلات عن الأعداد "اثنتين" و"ثلاثة" و"أربعة"، تمامًا كما عُدل في بعض الأسماء. يشير الطبري إلى أن هذه الألفاظ لا تدخلها "الألف واللام" لأنها أسماء معرفة للعدد وليست نكرة، ويشرح أنه يمكن نكاح النساء إما مثنى (اثنتين)، أو ثلاث، أو أربع، حسب القدرة على العدل، مؤكدًا أن المعنى يشير إلى ضرورة الاكتفاء بواحدة إذا خشي الرجل أن لا يعدل⁽¹⁾.

قال ابن كثير: في تفسير قوله تعالى: "مثنى وثلاث ورباع"، يوضح أن الله أباح للمسلمين الزواج باثنتين أو ثلاث أو أربع نساء، ولا يجوز الجمع بين أكثر من أربع، مستدلًا بآية "جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع". يشير إلى أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يجمع بين أكثر من أربع نساء، لكن هذا خاص به وحده، ويؤكد ابن كثير أن العلماء أجمعوا على أنه لا يجوز لأحد غير النبي -صلى الله عليه وسلم- الزواج بأكثر من أربع نساء، خلافًا لما قالت بعض طوائف الشيعة التي تسمح بالجمع بين أكثر من أربع⁽²⁾.

قال القرطبي: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: 3]، يوضح أن هذا العدد لا يدل على إباحة الجمع بين تسع نساء، كما زعم بعض أهل الظاهر والرافضة الذين استدلوا بفعل النبي -صلى الله عليه وسلم- ويعتبر القرطبي هذا الفهم مخالفًا لإجماع الأمة وللسنة النبوية، حيث لم يُسمع عن أحد من الصحابة أو التابعين أنه جمع أكثر من أربع نساء في عصمته، يستدل القرطبي بأحاديث نبوية تؤكد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر الصحابة الذين كان لديهم أكثر من أربع زوجات بعد الإسلام أن يختاروا منهن أربع ويفارقوا الباقيات⁽³⁾.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ يتمثل في أنه يرى أن الآية لا تدل على تحديد عدد الزوجات بأربع كما ذهب جمهور العلماء، بل إن

(5) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ج 4/ ص 227.

(1) الطبري، جامع البيان، ج 7 ص 543-544-545-546-547

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2 ص 209

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 5 ص 17 - 18

لغة العرب تقتضي أن الآية تعني السماح لكل فرد بأن ينكح اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، وليس جمعاً بين أكثر من أربع. وهذا التفسير يؤدي إلى معنى مختلف عن الذي استدلوا به. ولهذا يرى الشوكاني أن الاستدلال على تحريم الزيادة على أربع يجب أن يكون بالسنة النبوية وليس بالآية نفسها؛ لأن السنة هي التي تحدد هذا الأمر بوضوح، وهذا وقد أحل الله لنا الزواج بأربع على سنته وسنة رسوله وفسره النبي -صلى الله عليه وسلم- بالأربع وهذا معنى شرعي وما أراده العرب من تفسير الآية أكثر من ذلك فهو مردود بما ورد من برهان في سنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- فكان نقد الشوكاني في تحديد العدد.

و قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 2)

يتضح أن الآية الكريمة تتناول خصائص القرآن الكريم وأثره، وتُعدّ جزءاً من افتتاحية سورة البقرة التي تبرز أهمية الكتاب وخصائصه، وتعبّر عن أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي لا يشوبه الشك، ويعمل كهدى وإرشاد للذين يتبعون تقوى الله ويسعون لتحقيق رضاه.

قد شهد تفسير الآية الكريمة بعض الاختلاف بين العلماء في تفسيرها إجمالاً، والاختلاف في تفسير الآية يعكس تنوع التفاسير بين التركيز على جوانب معينة من المعنى واعتبارات السياق ومفهوم الهداية والتقوى ومن تلك الأقوال التالي ذكره .

يقول ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أن أرجح التأويلات هو أن "المتقين" هم الذين اتقوا الله بتجنب معاصيه والامتنال لأوامره، وذلك بأنهم لم يقتصرُوا على نوع معين من التقوى، بل شملوا جميع جوانبها، ويرى أن وصف الله لهم بالتقوى لا يجب أن يُقصر على جانب معين من أعمالهم دون الآخر، إلا إذا وُجد دليل صريح يوجب ذلك؛ لأن الله لو أراد تخصيص التقوى بمعنى محدد، لبيّن ذلك لعباده في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

وينقل السيوطي عدة أقوال في تفسير قوله تعالى ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، حيث يورد عن ابن عباس أن المقصود بالمتقين هم الذين يخافون عقوبة الله إذا تركوا ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته بتصديق ما جاء منه، ويشير تفسير آخر لابن عباس إلى أن المتقين هم المؤمنون الذين يتجنبون الشرك ويعملون بطاعة الله؛ أما قتادة فيقول إن الله جعل القرآن هدى وضياء لمن صدق به ونوراً

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 1 ص 50

للمتقين، كما ينقل السيوطي عن معاذ بن جبل أن المتقين هم الذين تجنبوا الشرك وأخلصوا العبادة لله، فيمرون إلى الجنة يوم القيامة⁽¹⁾.

قال الشوكاني -رحمه الله-: "قال في الكشاف: المتقي في اللغة: اسم فاعل من قولهم وقاه فانقى، والوقاية: الصيانة، ومنه: فرس واق، وهذه الدابة تقي من وجاها: إذا أصابها ضلع من غلظ الأرض ورقة الحافر، فهو يقي حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه، وهو في الشريعة: الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك.. ثم ذكر أحاديث كثيرة ومنها حديث ابن عطية السعدي.. قال: قال رسول -صلى الله عليه وسلم-: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به البأس"⁽²⁾، ثم قال: فالمصير إلى ما أفاده هذا الحديث واجب، ويكون هذا معنى شرعيا للمتقي أخص من المعنى الذي قدمنا عن صاحب الكشاف زاعما أنه المعنى الشرعي"⁽³⁾.

يشير إلى أن التفسير الشرعي لكلمة "متقي" يجب أن يأخذ في اعتباره الأحاديث النبوية التي تحدد معنى التقى بشكل أعمق من المعنى اللغوي البسيط، هذه نقطة قوية، حيث أن المعاني الشرعية قد تكون أوسع وأشمل من المعاني اللغوية البحتة، ولكن من الضروري أيضاً تقدير أن التفسير اللغوي قد يؤسس لفهم أعمق للمعنى الشرعي، وينتقد التفسير اللغوي الذي يقدمه "الكشاف" بكونه يتعامل مع معنى "متقي" في سياق لغوي بحت دون أن يأخذ في اعتباره التوضيحات الشرعية⁽⁴⁾.

النقد هنا يشير إلى أن التفسير الشرعي يمكن أن يكون أكثر تخصيصاً وتفصيلاً، مما يجعل المعنى اللغوي غير كافٍ في جميع الأوقات، كما يدعو إلى الاعتماد على الأحاديث النبوية لتحديد معنى "التقى" بشكل أكثر دقة، وهذا يعد نقداً للتفسير الذي لا يأخذ في اعتباره النصوص

(1) السيوطي، الدر المنثور، ج2 ص 60 - 61

(2) رواه الترمذي، باب: صفة القيامة، 4/ 242، رقم الحديث: 2451. (٦) أخرجه الترمذي (٢٤٥١) من طريق أبي النضر به وابن ماجه (٤٢١٥)، والحاكم (٣١٩ / ٤) كلاهما من طريق أبي عقيل به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(3) الشوكاني، فتح القدير: 39 / 1

(4) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، 13 / 204.

النبوية، هذا النقد يعزز من أهمية أن يكون التفسير الشرعي مدعوماً بالأدلة النبوية التي قد تحدد وتوضح المعاني بطرق قد لا تكون واضحة من خلال التفسير اللغوي فقط⁽¹⁾.

كما يفضل التفسير الشرعي الذي قد يكون أكثر تخصصاً بناءً على الأحاديث النبوية، وهذا يسلط الضوء على أهمية التفسير الشرعي، لكن يمكن نقد الشوكاني بأنه قد يُبالغ في تخصيص المعنى الشرعي بما يتجاوز دقة التفسير اللغوي الأساسي، دون الاعتراف الكامل بدور المعاني اللغوية في تقديم السياق والتفاصيل.

وإن نقد الشوكاني يعكس أهمية التفسير النبوي للألفاظ الدينية، ولكن يمكن أن يُنقد لعدم تقديره الكامل للمعاني اللغوية التي تساهم أيضاً في فهم النصوص بشكل شامل.

وكذلك بعد استعراض الشوكاني للأقوال عن الأئمة وبالأخص الزمخشري، نلاحظ أنه ذكر المعنى اللغوي الذي ذكره الزمخشري زاعماً انه المعنى الشرعي أو كما قال.

مما سبق وجدت أن الشوكاني استخدم أو بالأصح ذكر قول الزمخشري الذي كان مؤيداً للمعنى اللغوي، وأردف ذلك بالمعنى الشرعي ذاكراً للحديث ومقوماً للمعنى الشرعي على اللغوي.

ت- قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: 60).

موسى عليه السلام طلب من الله أن يوفر الماء لقومه، وذلك بعد أن شعروا بالعطش الشديد، هذا يعكس حاجة بني إسرائيل المستمرة إلى -رحمة الله- في مواجهة الظروف الصعبة، الفعل "استسقى" يدل على طلب الماء بإلحاح، مما يبرز شدة حاجة بني إسرائيل في تلك اللحظة، الآية جزء من سرد تاريخي يروي كيف تعامل الله مع بني إسرائيل خلال فترة التيه، وكيف أن موسى كان ينفذ أوامر الله لتلبية احتياجات قومه⁽²⁾.

تفسير الآية الكريمة ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ (البقرة 60) قد شهد اختلافاً بين العلماء في بعض الجوانب، وهذه بعض أوجه هذا الاختلاف:

(1) يُنظر: موسوعة التفسير المأثور، 1/162.

(2) يُنظر: الهلال، محمد، تفسير القرآن الثري الجامع، ج9 / ص93.

- رأي : يرى أكثر العلماء أن "استسقى" تعني طلب الماء بإلحاح، وهذا يعكس شدة العطش والحاجة التي كان يعاني منها قوم موسى (1).

- رأي آخر : قد ينظر بعض المفسرين إلى "استسقى" بمعنى أوسع، يشمل طلب الإغاثة من الله في مواجهة الأزمات بشكل عام، وليس فقط في السياق الحسي للماء، إجمالاً، باختلاف العلماء في تفسير الآية يعكس تنوع في التركيز على تفاصيل الحادثة للمعاني الرمزية، والأبعاد العملية والروحية لتلك الحادثة، مما يعكس ثراء تفسير النصوص القرآنية، وتنوع الزوايا التي يمكن تناولها (2).

قال الطبري: " في قوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ، أي سألنا أن نسقي قومه ماء، فترك ذكر المسؤول ذلك، والمعنى الذي سأل موسى، إذ كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى ما ترك.

وقوم موسى هم بنو إسرائيل، الذين قص الله عز وجل قصصهم في هذه الآيات. وإنما استسقى لهم ربه الماء في الحال التي تاهوا فيها في التيه، كما: عن قتادة قوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الآية قال، كان هذا إذ هم في البرية اشتكوا إلى نبيهم الظم، فأمرؤا بحجر طوري - أي من الطور - أن يضربه موسى بعصاه، فكانوا يحملونهم معهم، فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط عين معلومة مستفيض ماؤها لهم (3).

ويوضح القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ أن كلمة "استسقى" تأتي بمعنى طلب السقي، وأنها مرتبطة بالسؤال والطلب، مشيراً إلى أن الاستسقاء يكون عندما ينقطع الماء ويحبس المطر، في هذا السياق، يُظهر الإنسان عبوديته وفقره وتذللته لله، مع التوبة الصادقة، يذكر أيضاً أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يستسقي بإظهار التواضع والتذلل.

وفيما يتعلق بسنة الاستسقاء، يذكر أن جمهور العلماء يرون أن الخروج إلى المصلى مع الخطبة والصلاة هو من السنة، بينما ذهب أبو حنيفة إلى أن الاستسقاء يكون بالدعاء فقط. لكن القرطبي

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 2 ص 119 - 120

(2) المصدر السابق، ج 2 ص 119 - 120

(3) المصدر السابق، ج 2 ص 119 - 120

يوضح أن هذا الحديث لا يعارض الصلاة والخروج إلى المصلى؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- فعل ذلك كما رواه عبد الله بن زيد المازني⁽¹⁾.

قال الشوكاني -رحمه الله-: "الاستسقاء إنما يكون عند عدم الماء وحبس المطر، ومعناه في اللغة: طلب السقيا، وفي الشرع ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في صفة من الصلاة والدعاء"⁽²⁾.

ومن خلال ما سبق وبعد عرضه لأقوال العلماء تجد أنه أراد تثبيت المعنى الشرعي وتوضيحه، وإلا أننا في صدد المعنى اللغوي، لما يقول الشوكاني ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يدع مجالاً للخوض في التفاصيل فما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وخاصة أن هناك اختلافاً في الأقوال في الاستسقاء، ولكن الشوكاني -رحمه الله- قطع التفاصيل فالنص الوارد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قطعي ولا خلاف فيه، وهذا من علمه الزاخر وخشيته مولاه وحبه لمعلم البشرية جمعاء صلى الله عليه وسلم.

ث- قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة 29)

بإجمال فالآية تأمر بدفع الجزية كوسيلة للتعايش السلمي بين المسلمين وغير المسلمين في ظل الدولة الإسلامية، مع التأكيد على أن الدفع يجب أن يكون طوعياً ومن قبل الشخص مباشرة، مع الإشارة إلى أن غير المسلمين يجب أن يكونوا في حالة خضوع قانوني لسلطة الدولة الإسلامية.

وقد أورد الطبري: قولاً "للجزية": الفِغلة من: "جزى فلان فلاناً ما عليه"، إذا قضاها، "يجزيه"، و"الجزية" مثل "القعدة" و"الجلسة"، ومعنى الكلام: حتى يعطوا الخراج عن رقابهم، الذي يبذلونه للمسلمين دفعاً عنها"⁽³⁾.

قال الشوكاني: "الجزية، وزنها فعلة من جزى يجزي: إذا كافأ عما أسدي إليه، فكأنهم أعطوها جزاء عما منحوا من الأمن وقيل: سميت جزية؛ لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه، أي:

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1 ص 417 - 418

(2) الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 107

(3) الطبري، جامع البيان، ج 14 ص 199

يقضوه، وهي في الشرع: ما يعطيه المعاهد على عهده⁽¹⁾، والمعنى الشرعي في الجزية هو الأصح إن كان فسر معناه اللغوي إلا أنه مع ذلك رأى أن الأصح المعنى الشرعي.

فالشوكاني ينتقد تفسير الجزية بقصرها على معناها اللغوي فقط، وهو أنها "جزاء" أو "مقابل" لما يحصل عليه أهل الذمة من الأمان، ويشير إلى أن الجزية في الشرع ليست مجرد مكافأة أو جزء مما يجب عليهم دفعه، بل هي ما يدفعه المعاهد مقابل بقاءه على عهده، فهو يؤكد أن المعنى الشرعي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، وليس فقط المعنى اللغوي .

التوجيهات النحوية وموقفه منها: وتتخلص التوجيهات النحوية للشوكاني وموقفه منها بعدة نقاط أساسية:

أ- تأصيل النحو في التفسير: عند تفسيره للنصوص، كان الشوكاني يعزز من أهمية النحو، ولكنه كان أيضًا يعترف بأن التفسير النحوي يجب أن يكون مدعومًا بالسياق الشرعي والنصوص الأخرى، قال تعالى: ﴿ قَالَ آيَتِكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ (آل عمران 41).

معنى الرمز في الآية: الطبري يوضح أن "الرمز" في اللغة العربية يشير غالبًا إلى الإيماء بالشفهتين، وقد يستعمل أحيانًا للإيماء بالحاجبين أو العينين، وكذلك للإشارة إلى الكلام الخفي أو الهمس. في تفسير الآية "آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا"، يشير إلى اختلاف أهل التأويل في معنى "الرمز"، فالبعض قال إنه يعني تحريك الشفتين بدون إصدار كلام، بينما قال آخرون إنه يشير إلى الإيماء والإشارة بشكل عام⁽²⁾.

قال القرطبي: " في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ الرمز في اللغة الإيماء بالشفهتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعيدين، وأصله الحركة "⁽³⁾.

قال السيوطي: " ما ورد عن ابن عباس في قوله ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ قال: الرمز بالشفهتين وما ورد عن مجاهد ﴿ إِلَّا رَمَزًا ﴾ قال: إيماءه بشفتيه"⁽⁴⁾.

(1) الشوكاني، فتح القدير، ج 2، ص 400

(2) الطبري، جامع البيان، ج 6 ص 388-389-390

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 4 ص 80

(4) السيوطي، الدر المنثور، ج 2 ص 192

قال السمعاني: "﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ أي: إشارة، والإشارة تكون باللسان، وتكون باليد، وتكون بالعين والمراد ها هنا: الإشارة بالإصبع المسبحة، قال قتادة: إنما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له على ما سأل من الآية بعدما أوحى الله تعالى إليه، وشافهته الملائكة بالبشارة⁽¹⁾.

ذكر الشوكاني معنى الآية ثم بين مفهوم الرمز في اللغة ورجح وانتقد، فقال -رحمه الله-: "والرمز في اللغة: الإيماء بالشفقتين، أو العينين، أو الحاجبين، أو اليدين، وأصله: الحركة، وهو استثناء منقطع، لكون الرمز من غير جنس الكلام، وقيل: هو متصل على معنى أن الكلام ما حصل به الإفهام من لفظ أو إشارة أو كتابة، وهو بعيد، والصواب الأول، وبه قال الأخفش والكسائي"⁽²⁾.

الشوكاني ينتقد الرأي القائل بأن "الرمز" يمكن أن يكون استثناءً متصلًا للكلام بمعنى أنه يشمل كل ما يفيد الفهم من لفظ أو إشارة أو كتابة، ويعتبر هذا الرأي بعيدًا، ويؤكد أن الصواب هو أن الرمز استثناء منقطع؛ لأنه من غير جنس الكلام، وهذا ما ذهب إليه الأخفش والكسائي، وممن يؤيد ذلك الألوسي حيث قال: "ولا يخفى أن هذا التأويل خلاف الظاهر ويلزم منه أن لا يكون استثناء منقطع في الدنيا أصلاً إذ ما من استثناء إلا ويمكن تأويله بمثل ذلك مما يجعله متصلاً ولا قائل به"⁽³⁾.

وأرى أن الشوكاني محق في ذلك لنص الآية، واجتماع لفظي الكلام والرمز فلا يكون من جنس الكلام.

ب- قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا رَأَوْا آيَاتٍ لِّيَسْجُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف 35) وقد أشار العلماء إلى الخلاف في تحديد الفاعل في قوله تعالى (ليسجننه)، يوضح القرطبي عدة آراء نحوية:

(1) أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تفسير القرآن، ت: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن

عباس، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط1 1418هـ - 1997م، ج 1 ص 317

(2) الشوكاني فتح القدير، م 388/1 ص

(3) الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تحقيق: علي

عبد الباري عطية ط1، 1415، 1هـ، دار الكتب العلمية - بيروت ج 2 /ص 146

قول سيبويه: يرى أن "ليسجننه" في موضع الفاعل، بمعنى أن الجملة بأكملها تعمل كفاعل، ولكن هذا الرأي يعتبره المبرد غير صحيح⁽¹⁾.

رأي المبرد: يقول إن الفاعل ليس جملة، بل هو مصدر محذوف يدل عليه الفعل "بدا"، بمعنى "بدا لهم بداء"، فحذف المصدر؛ لأن الفعل يدل عليه.

وهناك تفسير آخر: يُشير إلى أن المعنى هو أن رأياً جديداً ظهر لهم، وقد حذف لوجود دلالة عليه في السياق، كما أن القول "قالوا: ليسجننه" محذوف أيضاً.

اللام في "ليسجننه": هي جواب ليمين مضمرة، وفقاً لرأي الفراء، والفعل مذكر وليس مؤنثاً، ولو كان مؤنثاً لكان الشكل "يسجنانه"⁽²⁾.

قال الشوكاني: "وأما فاعل بدا لهم فقال سيبويه هو ليسجننه، أي: ظهر لهم أن يسجنوه. قال المبرد: وهذا غلط لأن؛ الفاعل لا يكون جملة، ولكن الفاعل ما دل عليه (بدا) وهو المصدر، كما قال الشاعر:

وحق لمن أبو موسى أبوه *** يوفقه الذي نصب الجبالا⁽³⁾

أي: وحق الحق، فحذف الفاعل لدلالة الفعل عليه، وقيل: الفاعل المحذوف هو رأى أي: وظهر لهم رأى لم يكونوا يعرفونه من قبل، وهذا الفاعل حذف لدلالة ليسجننه عليه"⁽⁴⁾، وقد انتقد -رحمه الله- قول سيبويه بشأن فاعل "بدا لهم"، نبين كلام الشوكاني ونفصله فيما يلي:

نقد قول سيبويه: سيبويه يرى أن الجملة "ليسجننه" هي الفاعل، أي "ظهر لهم أن يسجنوه". الشوكاني ينقل اعتراض المبرد على هذا الرأي، معتبراً أن الجملة لا يمكن أن تكون فاعلاً لأن الفاعل يجب أن يكون مفرداً وليس جملة.

رأي المبرد: ويوافق المبرد على أن الفاعل المحذوف هو مصدر يُفهم من السياق، مثل "بدا لهم بداء"، واستشهد المبرد ببيت شعري حيث تم حذف الفاعل لدلالة الفعل عليه.

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشرت ١٨٠ هـ، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد

هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج 3/ ص 110.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 9 ص 186

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج 10 ص 51 .

(4) الشوكاني، فتح القدير، م 30/3-31 ص

ويذكر الشوكاني رأياً آخر بأن الفاعل المحذوف هو "رأي"، أي أن الفاعل الحقيقي هو الرأي الذي ظهر لهم ولم يكونوا يعرفونه من قبل، ولكن هذا الرأي أيضاً يؤكد أن الفاعل تم حذفه لدلالة السياق عليه، ويدعم الرأي بأن الفاعل هو مصدر محذوف أو "رأي" بناءً على دلالة الفعل والسياق.

المبحث الثاني:

منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب القراءات وفيه عدة مسائل.

نقد الشوكاني في جوانب القراءات، يتركز بشكل أساسي في النقاط التالية:

الشوكاني يولي اهتماماً بالغاً بالتحقق من صحة القراءات القرآنية، حيث يميز بين القراءات الصحيحة وغير الصحيحة بناءً على الأدلة والمصادر الموثوقة. يرفض القراءات التي تفتقر إلى دليل قوي أو تتعارض مع النصوص الثابتة، ويعتبرها غير مقبولة. وينطبق ذلك أيضاً على بعض الكتب والمصادر التي تتضمن قراءات غير معتمدة أو معلومات غير دقيقة.

يدعو الشوكاني إلى اتباع منهج علمي دقيق في دراسة القراءات، مع التركيز على التفريق بين القراءات المتواترة التي نقلها جمع غفير من الصحابة، وتلك الشاذة التي لا تستوفي شروط الصحة في السند أو المتن. من خلال هذه النقاط، حاول الشوكاني أن يضمن صحة القراءات القرآنية وتوثيقها بشكل دقيق، لقد عاش الشوكاني في تأليف كتابه هذا برهة من الزمن، وأعطى اهتماماً واسعاً بالقراءات من حيث ذكرها وتوجيهها ولم يخرج كثيراً عن شروط قبولها التي وضعت من أهلها، وذلك من خلال تناوله لأكثر القراءات الشاذة والأخذ والرد فيها، أما المتواترة فهو يلمح ذكرها

ويصحها بأكثر الألفاظ⁽¹⁾، كأنه لا جدال فيها ولا كلام، وللشوكاني في نقد القراءات طريقته الخاصة تتلخص في النقاط التالية:

المطلب الأول: إذا كان للكلمة قراءتان أو أكثر يوفق بينهما ويرجح أحياناً.

المطلب الثاني: اعتماد الشوكاني على قوة العربية الفصحى في تقييم القراءة.

المطلب الثالث: ترجيح المتواترة ونقد الشاذة.

وسوف نبين هذه النقاط فيما يلي:

المطلب الأول: إذا كان للكلمة قراءتان أو أكثر يوفق بينهما ويرجح أحياناً.

كان الشوكاني عندما يواجه كلمة في القرآن تحتوي على قراءات متعددة، كان يتبع عدة خطوات في نقده وموافقته بين هذه القراءات:

- يتحقق من صحة السند للقراءتين أو القراءات المتعددة.

- يسعى إلى التوفيق بين القراءات بحيث تتماشى كل قراءة مع الأخرى دون تضارب، مما يعزز من شمولية وتكامل النص القرآني.

بهذه الخطوات، يسعى الشوكاني إلى تقديم نقد متوازن ومدروس للقراءات القرآنية، مع الأخذ في الاعتبار الأدلة الشرعية واللغوية والنحوية.

نماذج من القراءات المختلفة.

أقال تعالى: قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة 36)

(1) الشوكاني، فتح القدير، ج1/ ص 88.

يورد الطبري اختلاف القراءات في تفسير هذه الآية، فيقول:

قراءة "فَأَزَلَّهُمَا": هي القراءة الأكثر شهرة، ويُعسر بها "أزلهما" بمعنى "استزلهما"، أي جعلهما يخطئان أو يغيويهما في هذا السياق، يوضح الطبري أن الشيطان استدرج آدم وزوجته للخطأ، وهو ما أدى إلى إبعادهما عن الجنة، قراءة "فَأَزَلَّهُمَا": تعني هنا "إزالتهما" بمعنى الإبعاد أو التنحية، ولكن الطبري يرى أن هذا المعنى ليس دقيقاً في هذا السياق؛ لأن الله ذكر في الآية التالية أن الشيطان أخرجهما من الجنة، مما يشير إلى أن القراءة الأولى هي الأدق، حيث تعكس المعنى الصحيح للتسبب في الخطأ الذي أدى إلى إخراجهما، وبناءً على ذلك، فإن قراءة "فَأَزَلَّهُمَا" تُعدّ أكثر ملاءمة؛ لأن الشيطان استدرجهما إلى الخطأ وليس مجرد إبعادهما عن مكان ما⁽¹⁾.

قال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ يصح أن يكون الضمير في قوله: ﴿عنها﴾ عائداً إلى الجنة، فيكون معنى الكلام كما قال حمزة وعاصم بن بهدلة، وهو ابن أبي النجود، فأزلهما، أي: فنحاهما، ويصح أن يكون عائداً على أقرب المذكورين، وهو الشجرة، فيكون معنى الكلام كما قال الحسن وقتادة ﴿فأزلهما﴾ أي: من قبيل الزلل، فعلى هذا يكون تقدير الكلام ﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾ أي: بسببها⁽²⁾.

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ قرأ الجماعة "فأزلهما" بغير ألف، من الزلة وهي الخطيئة، أي استزلهما وأوقعهما فيها، وقرأ حمزة "فأزالهما" بألف، من التنحية، أي نحاهما. يقال: أزله فزال، قال ابن كيسان: فأزلهما من الزوال، أي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة إلى المعصية، قلت: وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى، إلا أن قراءة الجماعة أمكن في المعنى. يقال منه: أزله فزل، وذل على هذا قوله تعالى: ﴿إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا﴾ (آل عمران: 155)، وقوله: " فوسوس لهما الشيطان" والوسوسة إنما هي إدخالهما في الزلل بالمعصية، وليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته (على) إدخاله في الزلل، فيكون ذلك سبباً إلى زواله من مكان إلى مكان يذنبه. وقد قيل: إن معنى أزلهما من زل عن المكان إذا تنحى، فيكون في المعنى كقراءة حمزة من الزوال⁽³⁾.

والصواب عند الشوكاني قراءة الجماعة (فأزلهما) لمكانتها من قراءة حمزة.

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 1 ص 524-525

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1 ص 235-236

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1 ص 311 - 312

قال الشوكاني: "فأزلهما) قرأ حمزة فأزلهما بالألف، أي من الإزالة والتتحية

وقرأ الباقر بحذف الألف، قال ابن كيسان هو من الزوال: أي صرفهما من الطاعة إلى المعصية، قال القرطبي: "وعلى هذا تكون القراءتان بمعنى، إلا أن قراءة الجماعة أمكن، ومما تبين لي أن الشيطان لا يقدر على تحيتهما وإنما يزرع فيهما الزلل"⁽¹⁾.

وما يؤيد الشوكاني والقرطبي أيضا الطبري في قوله: "وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ: ﴿فأزلهما﴾ (البقرة 36)؛ لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في الحرف الذي يتلوه بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه، وذلك هو معنى قوله فأزلهما، فلا وجه إذ كان معنى الإزالة معنى التتحية والإخراج أن يقال: فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه"⁽²⁾، الشوكاني يعبر عن نظرة تحليلية لقراءات الآية وتفسيرها.

الشوكاني يرى أن الشيطان لا يمتلك القدرة على إزالة آدم وحواء بشكل مادي، وإنما دوره ينحصر في إغوائهما وزرع الزلل فيهما؛ لذا، فإن قراءة الجماعة (بدون الألف) هي الأقرب للواقع؛ لأنها تعكس الدور الحقيقي للشيطان في صرف الإنسان عن الصواب، وهو تأثير غير مادي ولا يتضمن الإزالة المادية.

بعبارة أخرى، النقد يسلط الضوء على أن القراءة التي تتضمن "فأزلهما" تعكس التأثير النفسي والتضليلي للشيطان بشكل أكثر دقة مقارنة بقراءة "فأزلهما" التي قد توحى بإزالة مادية، وهذا يتفق مع ما هو متعارف عليه من عدم قدرة الشيطان على التأثير مادياً بل فقط معنوياً.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة 259﴾

أشار القرطبي الى الخلاف في القائل، ويرى أن الأرجح هو أن الله تعالى هو القائل "كم لبثت"، نظراً لتوافق هذا مع السياق القرآني، ويُفضل إظهار الثاء عن إدغامها في الثاء⁽³⁾.

(1) المرجع السابق، م 1 ص 80

(2) الطبري، جامع البيان، 1/ 525

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 3 ص 291 - 292

قال الرازي : في قوله تعالى: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾: "فيه وجهان من القراءة، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالإدغام والباقون بالإظهار، فمن أدغم فلقرب المخرجين ومن أظهر فلتباين المخرجين وإن كانا قريبين⁽¹⁾."

قال الواحدي: "قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ فيه وجهان من القراءة: الإدغام، والإظهار. فمن أظهر فلتباين المخرجين، وذلك أن الظاء والذال والناء من حَيِّزٍ، والطاء والذال والفاء من حَيِّزٍ، فلما تباين المخرجان واختلف الحَيِّزَان لم يُدْغَم."

ومن أدغم: أجرهما مجرى المثليين، من حيث اتفق الحرفان في أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا، واتفقا في الهمس، ورأى الذي بينهما من الاختلاف في المخرج خلافاً يسيراً، فأدغم، أجرهما مجرى المثليين، ويقوي ذلك اتفاقهم في الإدغام في سِتِّ، ألا ترى أن الدالَ أُلْزِمَتْ الإدغامَ في مَقَارِبِهِ وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي الْجَهْرِ وَالْهَمْسِ⁽²⁾."

قال الشوكاني: "وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا عاصما: كم لبثت بإدغام الناء في التاء⁽³⁾؛ لتقاربهما في المخرج. وقرأ غيرهم: بالإظهار، وهو أحسن، لبعده مخرج الناء من مخرج التاء⁽⁴⁾."

الشوكاني: يوضح أن قراءة الإدغام (كم لبثت) أقل تفضيلاً من قراءة الإظهار (كم لبثت)، يعتبر الشوكاني أن الإظهار أفضل؛ لأن مخرجي التاء والفاء مختلفان، والإظهار يساعد على التمييز بين الحرفين بشكل أوضح، إدغام التاء في التاء يمكن أن يؤدي إلى إخفاء الفارق بين الحرفين، مما يقلل من وضوح القراءة.

فإدغام التاء في التاء: بينما يُنظر إليه على أنه مقبول بسبب قرب مخرجي الحرفين، فإنه يفضل قراءة الإظهار؛ لأنها تحافظ على وضوح تباين المخرج بين الحرفين، مما يجعل القراءة أكثر دقة وأكثر توافقاً مع تباين مخارج الأصوات⁽⁵⁾

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 7 ص 30

(2) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 1430هـ، ج 4 ص 385

(3) القراءتان متواترتان يُنظر: السبعة 188، الحجة في القراءات السبع 100

(4) الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 320

(5) أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، ت 377هـ، الحجة للقراء السبعة

فالإظهار: يُعتبر أرجح؛ لأنه يميز بوضوح بين الثاء والتاء، مما يساهم في تحسين وضوح النص وتقادي أي لبس يمكن أن ينشأ عن الإدغام⁽¹⁾.

والشوكاني ينتقد قراءة إدغام الثاء في التاء لكونها قد تؤدي إلى إخفاء تباين مخرج الحرفين، مفضلاً قراءة الإظهار التي توضح الفرق بين الثاء والتاء بشكل أفضل، ويرجح قراءة الإظهار وقال هو أحسن لبعد مخرج الثاء، ولو أنها قراءتان صحيحتان ولا أرى تفاضلاً بينها والله أعلم.

و قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْباً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران 176)

قال القرطبي: في قوله تعالى: "ولا يحزنك" قراءة نافع بضم الياء وكسر الزاي حيث وقع إلا في - الأنبياء - "لا يحزنهم الفزع الأكبر" فإنه بفتح الياء وبضم الزاي، وضده أبو جعفر، وقرأ ابن محيصن كلها بضم الياء و(كسر) الزاي، والباقون كلها بفتح الياء وضم الزاي، وهما لغتان: حزنني الأمر يحزنني، وأحزنني أيضاً وهي (لغة) قليلة، والأولى أفصح اللغتين، قاله النحاس. وقال الشاعر في "أحزن": مضى صحبي وأحزنني الديار⁽²⁾.

قال البغوي: في قوله عز وجل: "ولا يحزنك، قرأ نافع (يحزنك) بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك في جميع القرآن إلا قوله: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ (الأنبياء: 103)، ضده أبو جعفر، وهما لغتان: حزن يحزن وأحزن يحزن، إلا أن اللغة الغالبة حزن يحزن⁽³⁾.

قال الرازي: قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك في جميع ما في القرآن إلا قوله: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ (الأنبياء: 103) في سورة الأنبياء، فإنه فتح الياء وضم الزاي، والباقون كلهم

المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ج 5/ص 307.

(1) القراءتان متواترتان يُنظر: السبعة 188، الحجة في القراءات السبع 100

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 4 ص 284 - 285

(3) البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن =

تفسير البغوي، ت: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1 1420 هـ، ج 1 ص 542 -

بفتح الياء وضم الزاي. قال الأزهري: اللغة الجيدة: حزنه يحزنه على ما قرأ به أكثر القراء، ووحجة نافع أنهما لغتان يقال: حزن يحزن كنصر ينصر، وأحزن يحزن كأكرم يكرم لغتان⁽¹⁾.

قال الشوكاني: "قرأ نافع: بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ ابن محيصن بضم الياء والزاي، وقرأ الباكون: بفتح الياء وضم الزاي"⁽²⁾، وهما لغتان، يقال: حزنني الأمر وأحزنني، والأول أفصح⁽³⁾.

يعتبر الشوكاني أن قراءة نافع، التي تتضمن ضم الياء وكسر الزاي، هي أفصح من القراءة الأخرى، هذا النقد يعكس اعتقاده بأن هذه القراءة أدق أو أكثر توافقاً مع اللغة الفصحى أو الأسلوب الأدبي المفضل في ذلك الوقت.

يذكر أن "حزني الأمر" و"أحزني" هما لغتان مختلفتان تعبران عن نفس المعنى، هذا يشير إلى فهمه أن هناك تنوعاً في النطق، ولكن لا يمكن تجاهل أن واحدة من هذه الطرق تُفضل على الأخرى، وهناك انتقاد للقراءتين الأخرين (فتح الياء وضم الزاي) على أنها ليست بنفس الفصاحة التي تمثلها قراءة نافع، ولكن لا ينكر الشوكاني وجود هذه القراءات كجزء من التنوع اللغوي.

هنا يركز الوجه النقدي على تفضيل قراءة معينة استناداً إلى فصاحتها وموافقتها لقواعد اللغة، وهو تعبير عن تقدير دقيق لمستوى الفصاحة والتعبير الأدبي في القراءات المختلفة، مرة أخرى في القراءة السابقة.

ث- قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بَلَى لَّكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا﴾ (النساء 66)

نحويو البصرة: يرون أن كلمة "قليل" مرفوعة؛ لأنها بدل من الأسماء المضمرة في "ما فعلوه". أي أن الفعل "فعلوه" يعود إلى الفئة المذكورة.

نحويو الكوفة: يعتقدون أن الرفع في "قليل" هو من باب التكرير، بحيث يكون المعنى: ما فعلوه، ما فعله إلا قليل منهم. يُشبه ذلك ببيت الشعر الذي يقول: "كل أخ مفارقه أخوه، لعمر أبيك إلا الفرقدان، ويرى الطبري أن الرفع في "قليل" يتفق مع المعنى الإجمالي للآية. يعني أن المعنى

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 9 ص 436

(2) القراءتان متواترتان يُنظر: السبعة 219

(3) الشوكاني فتح القدير م/1ص461

المقصود هو: ولو كنا قد فرضنا عليهم القتل أو الخروج من ديارهم، ما فعله إلا قليل منهم. وبهذا، يكون "قليل" مرفوعاً؛ لأن الفعل "فعلوه" نفي عن هؤلاء القليلين⁽¹⁾.

وإن قراءة مصاحف أهل الشام "ما فعلوه إلا قليلاً منهم" تؤدي نفس المعنى من حيث الإعراب، حيث يكون الفعل مشغولاً بما فيه كناية عن من جرى ذكره، ثم يتم استثناء القليل منهم، وباختصار، فالطبري يفضل أن يكون رفع "قليل" مرتبطاً بالمعنى العام للآية، ويؤكد أن هذا الرفع لا يتعارض مع القواعد النحوية العربية سواء في قراءة النصوص أو في تأويلها⁽²⁾.

قال القرطبي: "إلا قليل منهم" (قليل) بدل من الواو، والتقدير ما فعله أحد إلا قليل. وأهل الكوفة يقولون: هو على التكرير ما فعلوه ما فعله إلا قليل منهم، وقرأ عبد الله بن عامر وعيسى بن عمر (إلا قليلاً) على الاستثناء، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام، والباقون بالرفع، والرفع أجود عند جميع النحويين، وقيل: انتصب على إضمار فعل، وتقديره إلا أن يكون قليلاً منهم، وإنما صار الرفع أجود؛ لأن اللفظ أولى من المعنى، وهو أيضاً يشتمل على المعنى، وكان من القليل أبو بكر وعمر وثابت بن قيس، وزاد الحسن ومقاتل وعمارا وابن مسعود⁽³⁾.

وأشار الرازي إلى ذلك، فقال: الاختلاف في إعراب "إلا قليل" هو اختلاف في كيفية التعامل مع الاستثناء في النفي، اختلف القراء في هذا، إذ قرأ ابن عامر "قليلاً" بالنصب، وهو موجود في مصاحف أهل الشام ومصحف أنس بن مالك، بينما قرأ الباقر "قليل" بالرفع، ومن يرى النصب يستند إلى قاعدة أن النفي في الاستثناء يتعامل مع المستثنى كما هو في الإثبات في قوله: "ما جاءني أحد"، هذا جملة تامة، والمستثنى هنا يأتي منصوباً كما في "ما جاءني القوم"، ولأن المستثنى جزء من الكلام لكنه غير مرتبط بالتصريف الذي يسبقه، ومن يرى الرفع يرى أن "قليل" يُعرب بدلاً من الواو في الفعل، وبالتالي فهو بدل من الضمير في الفعل، وجاء في الاستثناء مع النفي كما في "ما أتاني أحد إلا زيد"، حيث يُرفع المستثنى على أنه بدل من "أحد".

يفضل أبو علي الفارسي الرفع باعتباره الأقيس، ويرى أن المعنى يتطلب الرفع، فإذا قيل "ما أتى أحد إلا زيد"، فالمعنى هو أن "زيد" هو الوحيد الذي أتى، وهذا يتفق مع رفع "زيد" في الجملة⁽⁴⁾.

(1) الطبري، جامع البيان، ج 8 ص 526-527-528

(2) الطبري، المصدر السابق، ج 8 ص 526-527-528

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 5 ص 270

(4) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 10 ص 130

قال الشوكاني: "قوله: إلا قليل قرأه الجمهور: بالرفع على البذل، وقرأ عبد الله بن عامر، وعيسى بن عمر: إلا قليلاً: بالنصب⁽¹⁾ على الاستثناء، وكذا هو في مصاحف أهل الشام، والرفع أجود عند النحاة"⁽²⁾.

وإن استخدم الشوكاني لفظاً جديداً هنا من ألفاظ الترجيح عند نقده قراءة أخرى صحيحة، وهو (أجود) وكذلك (لرسم مصحف أهل الشام)، ونقول وإن كان كذلك فالقراءتان متواترتان وليس من حقنا المفاضلة بينهما، ولكن ما أراده الشوكاني هو الأفضلية بالنسبة للنحاة، كما يلفت النظر إلى أن القراءة بالنصب هي ليست مجرد مسألة اختيارية، بل لها مبررات نحوية معروفة، حتى وإن كان الرفع يُعتبر أجود من حيث القواعد النحوية.

وكذلك يشير إلى أن النحاة قد يفضلون الرفع بناءً على القواعد التقليدية، لكنه يبرز أن القراءة بالنصب لم تكن بلا سند، حيث يمكن أن يكون لها مبررات نحوية خاصة بها، وإجمالاً نقد الشوكاني يعكس اهتمامه بالتفاصيل النحوية وتحليل الاختلافات في القراءات، مع إظهار اهتمامه بالاستثناء وتفصيله في النحو.

ج- قال تعالى: ﴿لَا فِيهَا عَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ (الصافات 47)

الآية توضح أن النعيم في الجنة يختلف تماماً عن المتع المادية في الدنيا، حيث لا يوجد فيه أي أذى أو تأثير ضار، بل هو سرور خالص ونقاء، وهناك خلاف في قراءة (ينزفون) إشار إليه العلماء:

قال الطبري: "اختلفت القراءات في قراءة قوله ﴿لَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (يُنْزَفُونَ) بفتح الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها تنزف عقولهم. وقرأ عامة قراء الكوفة: ﴿لَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ بكسر الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها ينفد شربهم، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى غير مختلفتين، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن أهل الجنة لا ينفد شربهم، ولا يسكرهم شربهم إياه، فيذهب عقولهم"⁽³⁾.

(1) القراءتان متواترتان يُنظر: السبعة 235

(2) الشوكاني، فتح القدير، م/1 ص 560

(3) الطبري، جامع البيان، ج 21 ص 39

قال الرازي: " قال تعالى: ولا هم عنها ينزفون وقرئ بكسر الزاي قال الفراء من كسر الزاي فله معنيان يقال أنزف الرجل إذا نفدت خمرته، وأنزف إذا ذهب عقله من السكر ومن فتح الزاي فمعناه: لا يذهب عقولهم أي لا يسكرون يقال نزف الرجل فهو منزوف ونزيف، والمعنى ليس فيها قط نوع من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من صداع أو خمار أو عريضة ولا هم يسكرون أيضاً، وخصه بالذكر لأنه أعظم المفاسد في شرب الخمر" (1).

قال الشوكاني: "قرأ الجمهور ينزفون بضم الياء وفتح الزاي مبنيًا للمفعول. وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر الزاي 2 من أنزف الرجل: إذا ذهب عقله من السكر فهو نزيف ومنزوف، ثم ذكر قولاً للفراء وأردف قائلاً وتحمل هذه القراءة على معنى لا ينفذ شرابهم لزيادة الفائدة. قال النحاس: "والقراءة الأولى أبين وأصح في المعنى، لأن معنى لا ينزفون عند جمهور المفسرين: لا تذهب عقولهم، فنفي الله عز وجل عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر" (3).

مراده هنا يرتبط بتفضيل قراءة الجمهور "ينزفون" بضم الياء وفتح الزاي، والتي تعني أن عقولهم لا تذهب بسبب شرب الخمر. الشوكاني يعتبر هذه القراءة الأكثر وضوحاً وصحة في المعنى، بناءً على جمهور المفسرين الذين يرون أن الله تعالى نفى عن خمر الجنة الآفات التي تلحق خمر الدنيا، مثل الصداع والسكر.

في المقابل، يشير إلى قراءة حمزة والكسائي بضم الياء وكسر الزاي من الفعل "أنزف"، والذي يعني أن الشخص يصبح نزيهاً أو منزوفاً، أي أن عقله يذهب بسبب السكر، والشوكاني يعترف بأن هذه القراءة قد تكون محمولة على معنى آخر، وهو أن الشراب لا ينفذ، مما يضيف فائدة زائدة للتفسير، لكنه يفضل القراءة الأولى من حيث الوضوح والصحة.

أما مراده الأساسي فهو أن القراءة الأولى تعبر بشكل أفضل وأوضح عن مفهوم الخمر في الجنة، حيث أن عدم ذهاب العقول وغياب الآفات المعروفة في الدنيا، مثل الصداع والسكر، يتفق بشكل أقوى مع السياق القرآني والمقاصد الإلهية

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 26 ص 333

(2) القراءتان متواترتان يُنظر: السبعة ص 547

(3) الشوكاني فتح القدير م 4/452

هذه المرة ذكر الشوكاني قولاً لأحد العلماء وهو النحاس في الترجيح ومبينا سبب الترجيح، ولو كان المعنى صحيحاً من الشيخين وغيرهما من العلماء ممن ذكر ذلك لا أرى التفضيل بين القراءتين فهما صحيحتان.

المطلب الثاني: اعتماد الشوكاني على قوة العربية الفصحى في تقييم القراءة.

الشوكاني يعتمد على قوة الفصحى في نقد القراءات القرآنية، ويتبع منهجاً معيناً في تقييم القراءات المختلفة بناءً على مدى تطابقها مع قواعد اللغة العربية الفصحى، فهو يقيّم القراءات من خلال تحليلها لغوياً ونحوياً، ويتأكد من مدى انسجامها مع قواعد اللغة العربية الفصحى، فالقراءات التي تتوافق مع قواعد اللغة وتكون صحيحة نحوياً ولغوياً تُعتبر أقوى، ويراجع القراءات بالنظر إلى الأصول والقواعد اللغوية المقررة في الفصحى، مثل تصريف الأفعال، إعراب الأسماء، والمفردات ومن أمثلة اعتماده على الفصحى:

أ- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف 10)

الله تعالى يذكر الإنسان بأنه قد أنعم عليه بمنحه القدرة على العيش في الأرض، وأتاح له وسائل الرزق المختلفة، مثل الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها من وسائل العيش. ولكن على الرغم من هذه النعم العظيمة، فإن عدداً قليلاً من الناس يعبرون عن شكرهم لله على ما منحهم من نعم، هذه الآية تذكير للإنسان بضرورة الاعتراف بفضل الله وشكره على النعم التي يتمتع بها، وهناك اختلاف في قراءة قوله تعالى (معايش) وأشار العلماء إليه في الآتي :

وقال الطبري: "المعايش: جمع "معيشة". واختلف القراء في قراءتها، فقرأ ذلك عامة قرأه الأمصار: (معايش) بغير همز، وقرأه عبد الرحمن الأعرج: "معايش" بالهمز"⁽¹⁾.

وقال ابن كثير: " قرأ الجميع: ﴿ معايش ﴾ بلا همز، إلا عبد الرحمن بن هرمز الأعرج فإنه همزها، والصواب الذي عليه الأكثرون بلا همز؛ لأن معايش جمع معيشة، من عاش يعيش عيشاً، ومعيشة أصلها "معيشة" فاستثقلت الكسرة على الياء، فنقلت إلى العين فصارت معيشة، فلما جمعت رجعت الحركة إلى الياء لزوال الاستثقال، فقليل: معايش، ووزنه مفاعل؛ لأن الياء أصلية

(1) الطبري، جامع البيان، ج 12 ص 316-317

في الكلمة؛ بخلاف مدائن وصحائف وبصائر، جمع مدينة وصحيفة وبصيرة من: مدن وصحف وأبصر، فإن الياء فيها زائدة، ولهذا تجمع على فعائل، وتهمز لذلك، والله أعلم⁽¹⁾.

وقال القرطبي: "المعائش جمع معيشة، أي ما يتعيش به من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة. يقال: عاش يعيـش عيشا ومعاشا ومعيشا ومعيشة وعيشة، وقال الزجاج: المعيشة ما يتوصل به إلى العيش، ومعيشة في قول الأخفش وكثير من النحويين مفعلة، وقرأ الأعرج: "معائش" بالهمز، وكذا روى خارجة بن مصعب عن نافع، قال النحاس: "والهمز لحن لا يجوز، لأن الواحدة معيشة، أصلها معيشة، فزيدت ألف الوصل وهي ساكنة والياء ساكنة، فلا بد من تحريك إذ لا سبيل إلى الحذف، والألف لا تحرك فحركات الياء بما كان يجب لها في الواحد"⁽²⁾.

وقال الرازي: "روى خارجة عن نافع أنه همز معائش قال الزجاج: جميع النحويين البصريين يزعمون أن همز معائش خطأ وذكروا أنه إنما يجوز جعل الياء همزة إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف فأما معائش فمن العيش والياء أصلية، وقرأ نافع لا أعرف لها وجها، إلا أن لفظة هذه الياء التي هي من نفس الكلمة أسكن في معيشة فصارت هذه الكلمة مشابهة لقولنا صحيفة فجعل قوله: معائش شبيها لقولنا صحائف فكما أدخلوا الهمزة في قولنا: - صحائف- فكذا في قولنا معائش على سبيل التشبيه إلا أن الفرق ما ذكرناه أن الياء في- معيشة أصلية وفي- صحيفة زائدة"⁽³⁾.

والصواب عند الشوكاني قراءة (معائش)، وهي قراءة الباقيين، قال: "قرأ الأعرج (معائش) بالهمز، وكذا روى خارجة بن مصعب عن نافع، قال النحاس: "والهمز لحن لا يجوز؛ لأن الواحدة معيشة والياء أصلية كمدينة ومدائن وصحيفة وصحائف"⁽⁴⁾.

كلامه هنا يتعلق بقراءة الأعرج ونافع لكلمة "معائش" بالهمز. الشوكاني ينقل رأي النحاس، الذي يعتبر أن هذه القراءة "لحن لا يجوز"، والسبب في ذلك يعود إلى أن الياء في كلمة "معائش" هي ياء أصلية، وليست مزيدة أو قابلة للتحويل إلى همزة.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 390-391

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7 ص 167 - 168

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 14 ص 205

(4) الشوكاني، فتح القدير، 2/ ص 216

وبيت القصيد هنا هو أن قراءة "معاش" بالهمز تعتبر غير صحيحة لغوياً؛ لأنها تخرج عن القواعد الصرفية التي تنطبق على الكلمات ذات الياء الأصلية، والشوكاني يوافق على هذا النقد ويعتبر قراءة الهمز "لحناً" أو خطأً لغوياً.

موقف النحويين البصريين من قراءة الهمز وقول النحاس أنها لحن لا يجوز، فجعل الشوكاني يذكر ذلك ويرجح بتأصيل الياء في القراءة.

المطلب الثالث: ترجيح المتواترة ونقد الشاذة.

عند نقد الشوكاني للقراءات القرآنية، كان يتبع منهجاً محدداً لترجيح القراءات المتواترة ونقد الشاذة، فهو يحرص على التحقق من صحة السند للقراءات المتواترة، والقراءات المتواترة هي التي ثبتت صحتها عبر نقل عدد كبير من القراء والرواة مما يجعلها موثوقة، ويعتبر أن القراءات المتواترة التي نقلت عن عدد كبير من الصحابة وتحقق تواترها في مختلف الأجيال أقوى وأوثق من غيرها، وباختصار، فقد كان الشوكاني يوازن بين القراءات بناءً على التواتر والموثوقية، ويفضل القراءات التي تدعمها الأدلة القوية والتي تتماشى مع قواعد اللغة وتفسير النصوص القرآنية، ومن أمثله في نقد الشاذة وترجيح المتواترة:

أ- قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة 255)

الطبري في قول الله تعالى: "القيوم" في آية الكرسي، يشرح معنى الكلمة، ويذكر أصلها اللغوي، ويوضح أن "القيوم" هو "الفيعل" من الفعل "القيام"، وأن أصل الكلمة هو "القيوم"، حيث كانت العين (أي الحرف الأوسط في الكلمة) واواً، ولكن عندما سبقتها ياء ساكنة، أدغمت الواو مع الياء لتصبح "ياء" مشددة. وهذا الأسلوب من الإدغام هو شائع في اللغة العربية، من حيث المعنى، كما يفسر "القيوم" بأنه القائم الذي يقوم على خلق الله برزقهم وحفظهم⁽¹⁾، ويستشهد ببيت من شعر أمية بن أبي الصلت لتوضيح المعنى، حيث يذكر فيه أن الله خلق السماء والنجوم والشمس والقمر وكل ما فيها من أجل أمر عظيم، وأن الله هو القيوم الذي يحفظ ويدبر شؤون كل هذه المخلوقات. ثم يستعرض أقوال بعض المفسرين من السلف في تفسير "القيوم"، مثل قول مجاهد: "القيوم" بمعنى القائم على كل شيء، وقول الربيع بن أنس: "القيوم" قيم كل شيء، يحفظه ويرزقه، وكذلك قول السدي: "القيوم" يعني القائم، وأيضاً قول الضحاك: "الحي القيوم" بمعنى القائم

(1) الطبري، جامع البيان، ج 5 ص 388-389

الدائم. وبهذا يوضح أن مفهوم "القيوم" هو متعلق بإرادة الله لجميع شؤون خلقه وحفظهم، وهو صفة من صفاته التي تدل على دوام قيامه بأمر خلقه وحفظهم ورزقهم⁽¹⁾.

قال القرطبي: "قيل: إن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم (القيوم) من قام، أي القائم بتدبير ما خلق، عن قتادة. وقال الحسن: معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها، من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شيء منها، وقال ابن عباس: معناه الذي لا يحول ولا يزول، قال أمية بن أبي الصلت:

لم تخلق السماء والنجوم ... والشمس معها قمر يقوم

قدره مهيمن قيوم ... والحشر والجنة والنعيم⁽²⁾.

إلا لأمر شأنه عظيم⁽³⁾.

ولا خلاف بين أهل اللغة في أن القيوم أعرف عند العرب وأصح بناء وأثبت علة. والقيام منقول عن القوام إلى القيام، صرف عن الفعال إلى الفيعال، كما قيل للصواغ الصياغ، قال الشاعر:

إن ذا العرش للذي يرزق الناس ... وحي عليهم قيوم⁽⁴⁾.

قال الرازي: في قوله تعالى: (القيوم) ففيه مسائل:

الأولى: القيوم في اللغة مبالغة في القائم، فلما اجتمعت الياء والواو، ثم كان السابق ساكنا جعلتا ياء مشددة، ولا يجوز أن يكون على فعول؛ لأنه لو كان كذا لكان قووما، قدرها المهيمن القيوم.

الثانية: اختلاف عبارات المفسرين في هذا الباب، فقال مجاهد: القيوم القائم على كل شيء، وتأويله أنه قائم بتدبير أمر الخلق في إيجادهم، وفي أرزاقهم، وقال الضحاك: القيوم الدائم الوجود الذي يتمتع عليه التغير، وأقول: هذا القول يرجع معناه إلى كونه قائما بنفسه في ذاته وفي

(1) المصدر السابق، ج 5 ص 388-389

(2) ديوانه: ٥٧، والقرطبي ٣: ٢٧١، وتفسير أبي حيان ٢٥: ٢٧٧.

(3) أمية ابن أبي الصلت ابن عوف ابن عقدة بن عنزة، ت: 8 هـ ديوان أمية ابن أبي الصلت، دار صادر بيروت، ط 1، 1998 من الرجز ص 129.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 3 ص 271 - 272

وجوده، وقال بعضهم: القيوم الذي لا ينام بالسريانية، وهذا القول بعيد، لأنه يصير قوله لا تأخذه سنة ولا نوم⁽¹⁾.

قال السمعاني: "قوله: ﴿الحي القيوم﴾ قرأ عمر: "القيام"، وقرأ علقمة: "القيم" والمعروف: ﴿القيوم﴾. فالحي هو الباقي الدائم على الأبد، وهو من الحياة، والحياة: صفة الله تعالى وأما القيوم: قيل: هو القائم على كل أحد بتدبيره في الدنيا، وقيل: هو القائم على كل نفس بما كسبت للمجازاة في الآخرة، وقيل: هو القائم بالأمر⁽²⁾.

قال الشوكاني: "وقرأ ابن مسعود، وعلقمة، والنخعي، والأعمش: (الحي القيام) بالألف⁽³⁾، وروي ذلك عن عمر، ولا خلاف بين أهل اللغة أن: القيوم، أعرف عند العرب وأصح بناء، وأثبت علة⁽⁴⁾."

وهنا يذكر الشوكاني أن كلمة "القيوم" هي الأكثر شيوعاً والأعرف عند العرب مقارنةً بـ"القيام"، وهذا يعني أن "القيوم" تعتبر الصيغة الأكثر تداولاً وقبولاً بين العرب في لغتهم اليومية والشعرية، ويوضح أن "القيوم" أكثر صحةً وأصح بناءً من حيث التركيب اللغوي والنحوي، وبهذا، يعتبر "القيوم" أنسب وأدق من الناحية اللغوية مقارنةً بـ"القيام"، وتمتلك كلمة "القيوم" تمتك علة لغوية أثبت وأقوى من كلمة "القيام"، مما يجعلها الخيار الأصح والأدق عند العرب، وبالتالي فهو لا يرفض قراءة "القيام" بشكل مطلق، لكنه يعبر عن أن "القيوم" هي الكلمة الأقوى والأكثر ملاءمة من الناحية اللغوية والأعرف عند العرب، مما يجعلها القراءة المفضلة والصحيحة في رأي أهل اللغة.

ب- قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلِيَّ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (مريم: 5)

المعنى الإجمالي للآية هو أن زكريا عليه السلام، رغم كبر سنه وعقم زوجته، يدعو الله بصدق وخشية أن يرزقه ابناً يرث منه النبوة ويحفظ تعاليم الدين بعد رحيله، ويكون ولياً صالحاً، يظهر في هذه الآية إيمان زكريا القوي بقدرة الله على تحقيق ما يبدو مستحيلاً.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 7 ص 9 - 10

(2) أبو المظفر، السمعاني، ج 1 ص 257

(3) قراءة شاذة يُنظر: المختصر في شواذ القراءات ص 22

(4) الشوكاني، فتح القدير، 1 ص 311

يقول ابن كثير في تفسيره للآية "وإني خفت الموالي من ورائي" يشير إلى قراءة أكثر العلماء حيث تم نصب "الموالي" على أنه مفعول به، وهناك قراءة أخرى للكسائي بسكون الياء، واستشهد ابن كثير بأبيات شعرية لدعم ذلك النطق، فيما يتعلق بمعنى "الموالي"، و نقل ابن كثير عن مجاهد، وقتادة، والسدي أن المقصود بالموالي هو العصبة أو الأقارب الذين يرثون زكريا من بعده، كما أشار إلى تفسير آخر منسوب لأمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- حيث كان يقرأها بتشديد الفاء: "وإني خفتُ الموالي" بمعنى "قلة عصباتي من بعدي"، مشيراً إلى قلة الأقارب الذين يعتمد عليهم بعد وفاته⁽¹⁾.

قال القرطبي: "قوله تعالى: "وإني خفت الموالي" قرأ عثمان بن عفان ومحمد بن علي وعلي ابن الحسين ويحيى بن يعمر -رضي الله تعالى عنهم-: "خفت" بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء وسكون الياء من "الموالي" لأنه في محل رفع ب " خفت " ومعناه انقطعت بالموت، وقرأ الباقر " خفت" بكسر الخاء وسكون الفاء وضم التاء ونصب الياء من "الموالي"؛ لأنه في موضع نصب ب " خفت " و "الموالي" هنا الأقارب بنو العم والعصبة الذين يلونه في النسب، والعرب تسمي بني العم الموالي، قال الشاعر: مهلا بني عمنا مهلا موالينا ... لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا."⁽²⁾

قال الرازي: "في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ بفتح الياء وعن الزهري بإسكان الياء من الموالي وقرأ عثمان وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وسعيد بن جبير وزيد بن ثابت وابن عباس خفت بفتح الخاء والفاء مشددة وكسر التاء وهذا يدل على معنيين: أحدهما: أن يكون ورائي بمعنى بعدي والمعنى: أنهم قتلوا وعجزوا عن إقامة الدين بعده، فسأل ربه تقويتهم بولي يرزقه.

الآخر: أن يكون بمعنى قدامي والمعنى أنهم خفوا قدامه ودرجوا، ولم يبق من به تقوُّ واعتضاد"⁽³⁾.

قال أبو حيان الأندلسي: " قرأ الجمهور خفت من الخوف. وقرأ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وسعيد بن العاصي وابن يعمر وابن جبير، وعلي بن الحسين وولده محمد، وزيد وشبيل

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 5 ص 212

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 11 ص 77 - 78

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 21 ص 507

بن عزرة، والوليد بن مسلم لأبي عامر خفت بفتح الخاء والفاء مشددة وكسر تاء التأنيث، والموالي بسكون الياء والمعنى انقطع موالى وماتوا فإنما أطلب وليا يقوم بالدين، وقرأ الزهري خفت من الخوف الموالى بسكون التاء على قراءة خفت من الخوف يكون من ورائي أي بعد موتي، وعلى قراءة خفت يحتمل أن يتعلق من ورائي بخفت وهو الظاهر⁽¹⁾.

قال الشوكاني: "قرأ عثمان بن عفان ومحمد بن علي بن الحسين وأبوه علي ويحيى بن يعمر (خفت) بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء 2 وفاعله الموالى أي : قلوا وعجزوا عن القيام بأمر الدين بعدي، أو انقطعوا بالموت، مأخوذاً من خفت القوم إذا ارتحلوا، وهذه قراءة شاذة بعيدة عن الصواب، وقرأ الباقر (خفت) بكسر الخاء وسكون الفاء على أن فاعله ضمير يعود إلى زكريا، ومفعوله الموالى"⁽³⁾.

بعد ذكر الأقوال وعرض القراءات تبين الآتي:

يصف الشوكاني هذه القراءة بأنها "شاذة بعيدة عن الصواب"، مما يعني أنه يعتبرها غير دقيقة أو غير صحيحة مقارنةً بالقراءة المتداولة بين الأغلبية في نظره، هذه القراءة ليست متماشية مع القواعد اللغوية أو المعاني المقصودة في الآية، والقراءة المذكورة تتضمن فتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء، مما يجعل "الموالى" هو الفاعل، وهذا يعني أن "الموالى" هم الذين قلوا أو عجزوا عن القيام بأمر الدين بعد زكريا، أو أنهم انقطعوا بالموت، فالشوكاني يرى أن هذا التفسير بعيد عن المعنى المقصود في النص القرآني.

و يفضل القراءة الأخرى التي عليها أكثر القراء، وهي بكسر الخاء وسكون الفاء، حيث يكون الفاعل ضميراً يعود إلى زكريا عليه السلام، والمفعول به هو "الموالى". في هذه القراءة، يكون المعنى أن زكريا عليه السلام خاف على الموالى من بعده، مما يتفق بشكل أكبر مع سياق الآية وموضوعها.

ومما سبق إجمالاً، فنقد الشوكاني يركز على اعتبار القراءة الأولى شاذة وغير صحيحة؛ لأنها تبتعد عن المعنى الواضح والمتفق عليه في الآية، مقارنةً بالقراءة الثانية الأكثر دقة وسلامة لغوية.

(1) الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج 7 ص 241

(2) قراءة شاذة يُنظر: المختصر في شواذ القراءات ص 83

(3) الشوكاني، فتح القدير، 380/3

ث- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل 66)

المعنى الإجمالي للآية هو أن الله يدعو الناس للتأمل في الأنعام التي خلقها لهم وكيف يخرج منها هذا اللبن الطيب والنقي من بين الفرت والدم، وهو أمر يدعو إلى العبرة والتفكر في قدرة الله وحكمته، وفي تفسيره للآية، يوضح الطبري أن الله تعالى يشير إلى أن في الأنعام عبرة وعظة للناس، حيث يسقيهم مما في بطونها⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الطبري قد تناول أيضًا اختلاف القراء في قراءة كلمة "نُسْقِيكُمْ". فقرأها معظم أهل مكة والعراق (الكوفة والبصرة) وأبو جعفر من المدينة بضم النون "نُسْقِيكُمْ"، بمعنى أن الله يرزقهم شرابًا دائمًا، واستشهد برأي الكسائي الذي يفرق بين "أسقيناهم" بمعنى الشراب الدائم و"سقيناهم" بمعنى إعطاء شربة.

وقرأ بقية أهل المدينة وعاصم من العراق "نُسْقِيكُمْ" بفتح النون، مشيرًا إلى أن العرب قد تستخدم الألف فيما كان السقي غير دائم وتنزعه في السقي الدائم، والطبري أشار إلى أن كلتا القراءتين صحيحتان، لكنه يميل إلى قراءة ضم النون "نُسْقِيكُمْ"؛ لأنها الأكثر شيوعًا عند العرب فيما يتعلق بالسقي الدائم⁽²⁾.

قال القرطبي: "قوله تعالى: (نُسْقِيكُمْ) قراءة أهل المدينة وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (بفتح النون) من سقى يسقي، وقرأ الباقر وحفص عن عاصم (بضم النون) من أسقى يسقي، وهي قراءة الكوفيين وأهل مكة.

وقيل: يقال لما كان من يدك إلى فيه سقيته، فإذا جعلت له شرابًا أو عرضته لأن يشرب فيه أو يزرعه قلت أسقيته، وقرأت فرقة "تسقيكم" بالتاء، وهي ضعيفة، يعني الأنعام. وقرأ بالياء، أي يسقيكم الله عز وجل، والقراء على القراءتين المتقدمتين، ففتح النون لغة قريش وضمها لغة حمير⁽³⁾.

قال السمعاني: "في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ﴾ قرئ بالنصب والرفع، أما بالنصب فمعلوم المعنى، وأما بالرفع فهو أن يجعل لكم سقيا، قال الشاعر في الفرق بينهما:

سقى قومي بني مجد وأسقى ... نميرا والقبائل من هلال⁽⁴⁾.

(1) الطبري، جامع البيان، ج 17 ص 237

(2) الطبري، المصدر السابق، ج 17 ص 237

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 10 ص 123

قال الرازي: "قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم، وحمزة والكسائي: نَسْقِيكُمْ بضم النون، والباقون بالفتح، أما من فتح النون فحجته ظاهرة تقول سقيته حتى روي أسقيه قال تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: 21)، وقال: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ (الشعراء: 79) وقال: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: 15)، ومن ضم النون فهو من قولك أسقاه إذا جعل له شرابا كقوله: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَاءً فُرَاتًا﴾ (المرسلات: 27)، وقوله: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ (الحجر: 22) والمعنى هاهنا أنا جعلناه في كثرته وإدامته كالسقيا، واختار أبو عبيد الضم قال: لأنه شرب دائم، وأكثر ما يقال في هذا المقام أسقيت⁽¹⁾.

قال أبو حيان الأندلسي: "قرأ ابن مسعود بخلاف، والحسن، وزيد بن علي، وابن عامر، وأبو بكر، ونافع، وأهل المدينة. نسقيكم هنا، وفي قد أفلح المؤمنون: بفتح النون مضارع سقى، وباقي السبعة بضمها مضارع أسقى، وتقدم الكلام في سقى وأسقى في قوله أسقيناكموه، وقرأ أبو رجاء: يسقيكم بالياء مضمومة، والضمير عائد على الله أي: يسقيكم الله. قال صاحب اللوامح: ويجوز أن يكون مسندا إلى النعم، وذكر لأن النعم مما يذكر ويؤنث ومعناه: وأن لكم في الأنعام نعما يسقيكم أي: يجعل لكم سقيا انتهى، وقرأت فرقة: بالتاء مفتوحة منهم أبو جعفر. قال ابن عطية: وهي ضعيفة انتهى. وضعفها عنده - والله أعلم - من حيث أنت في تسقيكم⁽²⁾.

قال الشوكاني: "قرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر نسقيكم بفتح النون من سقى يسقي، وقرأ الباقر وحفص عن عاصم بضم النون 3 من أسقى يسقي، قيل: هما لغتان، قال لبيد:

سقى قومي بني مجد وأسقى ... نмира والقبايل من هلال⁽⁴⁾.

وقرئ بالتاء الفوقية على أن الضمير راجع إلى الأنعام، وقرئ بالتحنية على إرجاع الضمير إلى الله سبحانه، وهما ضعيفتان⁽⁵⁾، وجميع القراء على القراءتين الأوليين⁽⁶⁾.

(4) أبو المظفر، السمعي، تفسير القرآن، ج 3 ص 183

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 20 ص 231 - 232

(2) الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار

الفكر - بيروت، ط 1 1420 هـ، ج 6 ص 553 - 554

(3) القراءتان متواترتان يُنظر: السبعة في القراءات 374

(4) حنا نصرالحت، ديوان لبيد ابن ربيعة، و 560م، ط الأولى 1993م 1414هـ، دار الكتاب العربي، بيروت،

حرم الميم .

والشوكاني يبين القراءتين الرئيسيتين، وهما قراءة "تسقيكم" بفتح النون (من "سقى يسقي") وقراءة "تسقيكم" بضم النون (من "أسقى يسقي"). ويلاحظ أن هناك إجماعاً بين القراء على صحة هاتين القراءتين، ويشير إلى أن بعضهم يراها لغتين صحيحتين في العربية، مستشهداً ببيت شعر للبيد بن ربيعة الذي استخدم كلا من "سقى" و"أسقى" في نفس البيت الشعري.

ويذكر الشوكاني وجود قراءتين أخريين، إحداهما بالتاء الفوقية (أي "تسقيكم" بإرجاع الضمير إلى الأنعام)، والأخرى بالتحية (أي "يسقيكم" بإرجاع الضمير إلى الله سبحانه). الشوكاني ينتقد هاتين القراءتين ويصفهما بأتهما "ضعيفتان"، مما يعني أنه يعتبرهما أقل صحة أو دقة بالمقارنة مع القراءتين الرئيسيتين، وفي النهاية يلفت الانتباه إلى أن جميع القراء متفقون على صحة القراءتين الأوليين (بفتح النون أو بضمها)، مما يعزز من مكانتهما ويضعف القراءتين الأخريين (بالتاء أو بالتحية)؛ بهذا يوضح تفضيله للقراءتين المشهورتين ويعتبرهما الأكثر توافقاً مع اللغة والمعنى، بينما يرى أن القراءتين الأخريين ضعيفتان وغير معتمدين من قبل أكثر القراء.

ج- قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرَ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۗ وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران 178) الآية تحذر من الظن الخاطيء بأن الإمهال والرزق في الدنيا يدل على رضا الله، بل قد يكون استدراجاً لزيادة الإثم والعذاب في الآخرة، وقد ذكر الطبري الخلاف في قراءة ولا يحسبن في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرَ لَأَنفُسِهِمْ﴾، ويوضح أن هناك قراءتين رئيسيتين:

القراءة الأولى: قراءة "يحسبن" بالياء، أي بصيغة الغائب، وفتح الألف في "أنما". هذه القراءة تعني أن الذين كفروا هم الذين يحسبون أن الإمهال لهم هو خير لهم، وهذه القراءة تكون فيها "يحسبن" هي العامل الذي ينصب "أنما"⁽¹⁾.

القراءة الثانية: قراءة "تحسبن" بالتاء، أي بصيغة المخاطب، موجهة للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، مع فتح الألف في "أنما". في هذه القراءة، الله يخاطب النبي - صلى الله عليه وسلم - ويأمره ألا يظن أن الإمهال للكافرين هو خير لهم، لكن الطبري يشير إلى أن هذه القراءة تواجه إشكالية لغوية لأن الفعل "تحسبن" إذا نصب "الذين كفروا"، لا يمكنه أن ينصب "أنما" بنفس

(5) والقراءتان شاذتان يُنظر: مختصر الشواذ ص 77

(6) الشوكاني، فتح القدير، م 208/3

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 7 ص 422-423

الفعل، لأن "أنما" يحتاج إلى عامل ينصب مفعولين، ورجح القراءة الأولى (بالغائب وفتح الألف في "أنما")؛ لأنها تتوافق مع القواعد اللغوية، ولأنها القراءة التي أجمعت عليها أكثر القراء، أما القراءة الثانية (بالمخاطب)، وإن كانت جائزة، إلا أنها تعتبر أقل دقة في تركيب الجملة حسب قواعد اللغة العربية⁽¹⁾.

وتناول أبو حيان الأندلسي مختلف القراءات والأوجه المحتملة للمعنى مع تفضيل قراءة "يحسبن" بالياء وفتح الألف في "إنما"، لكونها الأكثر وضوحاً في التركيب اللغوي⁽²⁾.

وقال الواحدي: " قد جاء أنه لا يجوز أن يُقرأ ﴿تَحْسِبَنَّ﴾ بالتاء، إلا أن يُكسر (إِنَّ) في ﴿أَنَّمَا نُمْلِي﴾، أو يُنصب ﴿خَيْرٌ﴾، مع فتح ﴿أَنَّمَا﴾، فيقرأ: (أَنَّمَا نُمْلِي لَهْم خَيْرًا لَأَنْفُسِهِمْ).

ولم يُرَوَّ عن حمزة كسرُ (أَنَّ)، ولا نَصْبُ (خَيْرٌ)، فلا تصح القراءة بالتاء، على ما قرأ به حمزة، عند أبي علي، وقوله: ﴿أَنَّمَا﴾، (ما) تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون بمعنى (الذي)، فيكون التقدير: لا يحسبن الذين كفروا أن الذي نمليه خيرٌ لأنفسهم، وحذَفَ (هاء) مِنْ ﴿نُمْلِي﴾؛ لأنه يجوز حذفُ الهاءِ مِنْ صِلَةِ (الذي)؛ كقولك: (الذي رأيتُ زيدً).

الأخر: أن يكون (ما) بمنزلة الإملاء، فيكون مصدرًا، وإذا كان مصدرًا، لم تقتض راجعًا إليها⁽³⁾.

قال الشوكاني: "وقرأ يحيى بن وثاب: أنما نملي بكسر إن 4 فيهما، وهي قراءة ضعيفة باعتبار العربية"، وانتقد الشوكاني القراءة هنا قائلاً ضعيفة باعتبار العربية، ولعله يريد أنها غير صحيحة لغوياً فضلاً عن شذوذها. ⁽⁵⁾

فالشوكاني يعتبر قراءة يحيى بن وثاب ضعيفة؛ لأنها لا تتماشى مع القواعد النحوية المعروفة. عادةً ما تُفتح "أن" عندما تكون في موضع نصب، كما في الجملة التي تبدأ بفعل يتطلب مفعولين

(1) الطبري، المصدر السابق، ج 7 ص 422-423

(2) الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط 1 1420 هـ، ج 3 ص 444 - 445

(3) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 1 1430 هـ، ج 6 ص 199 - 200

(4) قراءة شاذة يُنظر: مختصر الشواذ 23 ص

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 13 ص 65

مثل "يحسبن". كسر "إن" في هذه الحالة يُضعف التركيب اللغوي ويجعله أقل وضوحاً، حيث لا يتناسب مع القاعدة التي تتطلب فتح "أن" في هذه السياقات؛ لذلك، يرى أن هذه القراءة غير قوية من الناحية النحوية، مما يجعلها قراءة ضعيفة مقارنة بالقراءات الأخرى التي تتبع القواعد اللغوية بشكل أدق.

ح- قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سُرُجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (الفرقان 61) الآية تشيد بعظمة الله وقدرته على خلق هذه الظواهر الكونية العظيمة التي تدل على حكمته وعنايته بخلقه وهناك خلاف حول قراءة شاذة أشار لها القرطبي وغيره من العلماء هنا:

قال القرطبي: في قوله تعالى: " (وَقَمَرًا مُنِيرًا) ينير الأرض إذا طلع.

وروى عصمة عن الأعمش " وقمرا" بضم القاف وإسكان الميم. وهذه قراءة شاذة، ولو لم يكن فيها إلا أن أحمد بن حنبل وهو إمام المسلمين في وقته قال: لا تكتبوا ما يحكيه عصمة الذي يروي القراءات، وقد أولع أبو حاتم السجستاني بذكر ما يرويه عصمة هذا⁽¹⁾.

قال أبو حيان الأندلسي: " قرأ الحسن والأعمش والنخعي وعصمة عن عاصم وقمرا بضم إلقاء وسكون الميم، فالظاهر أنه لغة في القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب، وقيل: جمع قمراء أي ليلة قمراء كأنه قال: وذا قمر منير لأن الليلة تكون قمراء بالقمر، فأضافه إليها، ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه قول حسان: بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى"⁽²⁾.

قال الرازي: " قرأ الحسن والأعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كأنه قيل وذا قمرا منيرا، لأن الليالي تكون قمراء بالقمر فأضافه إليها، ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب"⁽³⁾.

قال الشوكاني: "وقرأ الأعمش قمرا بضم القاف وإسكان الميم⁽⁴⁾، وهي قراءة ضعيفة شاذة"⁽⁵⁾.

(1) القرطبي، المصدر السابق، ج 13 ص 65

(2) الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار

الفكر - بيروت، ط 1 1420 هـ، ج 8 ص 124

(3) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24 ص 479

(4) قراءة شاذة يُنظر: مختصر الشواذ ص 105

(5) الشوكاني فتح القدير، م 4/ص 99

الشوكاني هنا ينتقد قراءة الأعمش التي جاءت بضم القاف وإسكان الميم في كلمة "قمرًا" بقوله إنها قراءة ضعيفة وشاذة، ويعتبر هذه القراءة ضعيفة من حيث عدم توافقها مع قواعد اللغة العربية المعروفة والمعمول بها في القراءات المتواترة. الفعل "قَمَرَ" يُفترض أن يكون منصرفًا بشكل يتناسب مع وزن الكلمة وأصلها في اللغة، وهي "قمرًا" بفتح القاف والميم، وليس بضم القاف وإسكان الميم، ويصف القراءة بأنها شاذة، مما يعني أنها ليست من القراءات العشر المتواترة التي اتفق عليها جمهور القراء، والقراءات الشاذة قد تكون لها قيمة تاريخية أو لغوية، لكنها ليست معتمدة في تلاوة القرآن الكريم، ولا يُبنى عليها في الأحكام الشرعية، وباختصار، الشوكاني يرى أن هذه القراءة مخالفة للقراءة المتواترة والمعروفة، ولذلك يعتبرها ضعيفة وشاذة، قوله ضعيفة شاذة أي لا سند لها ولا صحة فهي غير صحيحة.

خ- قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (الفرقان 18)

ويعرض الطبري اختلاف القراءات حول قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ يُنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾.

القراءة الأولى: أغلب القراء من الأمصار قرؤوا "نتخذ" بفتح النون (نَتَّخِذُ)، مما يعني أن الملائكة وعيسى ومن عبدوا من المؤمنين يتبرؤون من اتخاذ أي ولي غير الله، فهم يعلنون أنهم لم يكن لهم ولا ينبغي لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله.

القراءة الثانية: الحسن ويزيد بن القعقاع قرؤوا "نتخذ" بضم النون (نُتَّخِذُ)، ويفسرون الآية على أنها تتحدث عن تبرؤ المعبودين (مثل عيسى) من أن يكون لهم الحق في أن يُعبدوا من دون الله، كما هو موضح في قول عيسى عندما يُسأل: "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟" فيرد: "ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق".

رأي الطبري: إنه يرجح القراءة الأولى (بفتح النون) للأسباب التالية:

- إن معظم القراء اعتمدوا هذه القراءة، مما يضيفي عليها قوة.
- تأكيد المعنى في سياق آخر: الله سبحانه وتعالى ذكر نفس الفكرة في سورة سبأ، حيث تُبين الآيات أن الملائكة تبرأت من اتخاذ أولياء غير الله.

- استخدام اللغة العربية: العرب عادةً لا يستعملون "من" الزائدة في الأخبار (مثل "نتخذ")، بل يستعملونها في الأسماء، وفي هذه الآية، "من" جاءت مع "أولياء" وهي اسم، مما يدعم القراءة بفتح النون.

باختصار، الطبري يرى أن قراءة "نتخذ" بفتح النون هي الأصح لغوياً وتفسيرياً نظراً لإجماع القراء عليها، وتوافقها مع المعنى في سياقات أخرى، ومطابقتها للقواعد اللغوية⁽¹⁾.

رأي الرازي: قال الرازي في قوله: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء:

القراءة المعروفة أن نتخذ بفتح النون وكسر الخاء وعن أبي جعفر وابن عامر برفع النون وفتح الخاء على ما لم يسم فاعله، قال الزجاج أخطأ من قرأ أن نتخذ بضم النون؛ لأن (من) إنما تدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كان مفعولاً أولاً ولا تدخل على مفعول الحال تقول ما اتخذت من أحد ولياً، ولا يجوز ما اتخذت أحداً من ولي، قال صاحب (الكشاف) اتخذ يتعدى إلى مفعول واحد كقولك اتخذت ولياً، وإلى مفعولين كقولك اتخذ فلاناً ولياً، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء 125)، والقراءة الأولى من المتعدي إلى واحد وهو من أولياء، والأصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي، والثانية من المتعدي إلى مفعولين، فالأول ما بني له الفعل، والثاني من أولياء من للتبويض، أي لا نتخذ بعض أولياء وتكثير أولياء من حيث إنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام⁽²⁾.

ذكر الشوكاني - رحمه الله - معنى الآية على قول الجمهور ثم على معنى أبي جعفر والحسن، ثم قال: "قال أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر: لا تجوز هذه القراءة ولو كانت صحيحة لحذفت من الثانية، قال أبو عبيدة: لا تجوز هذه القراءة؛ لأن الله سبحانه ذكر (من) مرتين، ولو كان كما قرأ لقال: أن نتخذ من دونك أولياء"⁽³⁾.

وتعليقاً على ما سبق فيمكن القول أن الشوكاني على قراءة غير مألوفة تتعلق بقوله تعالى: ﴿لَمَّا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الفرقان: ١٨) في هذه القراءة، يركز الشوكاني على الرأي الذي نقل عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وأبي عبيدة، وعدم جواز القراءة: أبو

(1) الطبري، جامع البيان، ج 19 ص 248-249

(2) الرازي، مفاتيح الغيب، 24 / 443

(3) الشوكاني فتح القدير، 4 / 78

عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر يقولان إن هذه القراءة غير جائزة؛ لأنه لو كانت صحيحة من حيث اللغة، لكانت كلمة "من" الثانية قد حُذفت في الآية، والشوكاني يشير إلى أنه من غير المنطقي أن تتكرر كلمة "من" إذا كانت القراءة كما نُسبت إليهم، وكذلك تكرر أبو عبيدة يضيف إلى ذلك بأن القراءة غير صحيحة؛ لأن النص القرآني ذكر كلمة "من" مرتين وفقاً له، لو كانت القراءة صحيحة، لكانت الجملة قد صيغت بدون "من" الثانية، لتصبح "أن نتخذ من دونك أولياء"، مما يعكس صياغة أكثر انسجاماً مع قواعد اللغة العربية.

كما يبين أن هذه القراءة تعاني من ضعف لغوي، والنقاد يرون أن تكرار "من" في هذه القراءة غير منطقي وغير متسق مع قواعد النحو العربية، مما يجعل القراءة غير جائزة من الناحية اللغوية.

المبحث الثالث:

منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب العقائد

وفيه عدة مسائل:

- يتلخص منهج محمد بن علي الشوكاني في تفسير فتح القدير في الجوانب العقائدية في الآتي:
- الاستناد إلى النصوص القرآنية والحديثية في تقييم العقائد، ويعتبر الأدلة الشرعية المصدر الأساسي للحكم على صحة أو بطلان المعتقدات.
 - الدمج بين النصوص الشرعية والتحليل العقلي لتقييم العقائد، وكان يرفض المعتقدات التي تتعارض مع العقل السليم أو التي لا تجد لها أساساً واضحاً في النصوص الشرعية، كما يركز على تقديم نقد موضوعي للأفكار والعقائد بدلاً من الهجوم الشخصي على أتباع الفرق.

- يسعى لبيان أسباب بطلان أو ضعف العقائد وفقاً للأدلة الشرعية والعقلية، وكان يعمل على توضيح العقائد الصحيحة التي يتبناها أهل السنة والجماعة، ويبين الفروق بينها وبين العقائد المخالفة التي تتبناها الفرق الأخرى، وكان يولي اهتماماً كبيراً بفهم وتحليل الاختلافات الفكرية بين الفرق المختلفة، ويسعى لعرضها بشكل دقيق وموضوعي، وبناءً على هذه النقاط، كان الشوكاني يسعى لتقديم رؤية واضحة ومنهجية حول العقائد المختلفة، مدعومة بالنصوص والأدلة، مع الاهتمام بتصحيح المفاهيم وتوضيح المعتقدات الصحيحة.

- الشوكاني كان يهدف إلى تقديم نقد بناء ومبني على الأدلة العقلية والنقلية، ويعتمد على المنهج العلمي والبحث الدقيق، وقد استخدم الشوكاني في نقده أسلوباً يعزز من فهم القضايا العقائدية والفكرية بدلاً من الهجوم الشخصي تجدر الإشارة إلى أن نقد الشوكاني كان يعكس رؤيته الشخصية والتقليدية للإسلام، وركز على بعض الفرق التي اعتبرها منحرفة عن المعتقدات السائدة أو الصحيحة وفقاً لمفاهيمه.

ومع أننا سنبقى مع نقد الشوكاني لعقائد الفرق إلا أن علينا أولاً أن نعرض على مذهبه وعقيدته، لقد مر الشوكاني بثلاث مراحل في عقيدته، هي:

أولاً: كان زيدي المذهب وكان مؤلفاً بارعاً ومفتياً فيه ثم انتقل إلى مذهب السلف وخلع ربه التقليد وتحلى بمنصب الاجتهاد، وعقيدة الشوكاني عقيدة السلف من حمل صفات الله الواردة في الكتاب والسنة على ظاهرها من غير تأويل ولا تشبيه، وقد ألف رسالة في ذلك سماها: التحف بمذهب السلف، ويمتاز تفسير الشوكاني بأنه يناقش آراء المعتزلة، وغير ذلك من المسائل التي اختلف فيها أهل السنة والمعتزلة ومما تجد كثيراً من الآراء النقدية للمعتزلة كانت موجهة لصاحب الكشاف، كما قال الدكتور الغماري: "ولما كان الزمخشري خاتمة مدرسة المعتزلة من حيث التأليف والدفاع عن حماها بكل ما أوتي من جدل وقوة عارضة وحسن تأليف فقد ركز عليه الشوكاني أكثر من غيره لأنه خلاصة مدرسة المعتزلة"⁽¹⁾.

فهو -رحمه الله- كان يظهر تمسكه بعقيدة أهل السنة والجماعة من خلال مؤلفاته التي ألفها.

(1) الغماري الشوكاني مفسراً ص 151

ومنهج الإمام الشوكاني -رحمه الله- في العقيدة أنه وافق السلف من أهل السنة في جميع أركان الإيمان الستة وهي الإيمان بالله والملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر⁽¹⁾.

ومن خلال ما مضى تطلعت إلى وقوف الشوكاني -رحمه الله- ونقده للمعتزلة⁽²⁾ في العقيدة في هذا التفسير وذهبت لإبراز أكثر المسائل المحيطة بهذا الجانب، وهي على النحو التالي:

المطلب الأول: تفسير آيات الصفات

المطلب الثاني: الهدى والضلال

المطلب الثالث: صاحب الكبيرة

المطلب الرابع: التفضيل بين الملائكة والأنبياء

المطلب الخامس: التفضيل بين الملائكة والبشر

المطلب السادس: دخول الجنة

المطلب الأول: تفسير آيات الصفات

أ- رؤية الله: قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: 23)، في تفسير الآية ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، يعرض الطبري اختلاف العلماء في تفسيرها.

الرأي الأول: أن "ناظرة" تعني أن الوجوه تنظر إلى ربها يوم القيامة، هذا هو الرأي الذي رجحه الطبري، مستشهداً بأقوال عكرمة والحسن، وبدعم من الأحاديث النبوية التي تشير إلى أن أهل الجنة سينظرون إلى وجه الله الكريم.

الرأي الثاني: أن "ناظرة" تعني أنها تنتظر الثواب من ربها، هذا الرأي جاء عن أبي صالح ومجاهد، حيث يعتبرون أن الآية تشير إلى انتظار الثواب من الله وليس النظر إليه

(1) منهج الشوكاني في العقيدة ص 855

(2) المعتزلة: فرقة إسلامية قديمة مؤسسها واصل بن عطاء كان أحد طلاب حلقة الحسن البصري واختلف معه.

مباشرة، والطبري يفضل الرأي الأول، الذي يقول إن الآية تشير إلى النظر إلى الله، استنادًا إلى أقوال الصحابة والأحاديث النبوية التي تدعم هذا التفسير⁽¹⁾.

قال ابن كثير: " قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فقال تنتظر الثواب من ربها، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد، وكذا قال أبو صالح أيضا -فقد أبعده هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه، وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: 15)، قال الشافعي -رحمه الله-: "ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل، ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما دل عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال ابن جرير: "حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا المبارك عن الحسن: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ قال: حسنة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال تنتظر إلى الخالق، وحق لها أن تتضر وهي تنتظر إلى الخالق" ⁽²⁾.

القرطبي في تفسيره للآية ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، ينكر القرطبي ما ذهب إليه جمهور العلماء حول تفسير هذه الآية.

النصرة: تشير إلى الحسن والنعمة، أي أن وجوه المؤمنين ستكون مشرقة ومليئة بالبهجة يوم القيامة بسبب النعمة والإشراق الذي منحهم الله إياه.

النظر: الأكثرية من العلماء تفسر "ناظرة" بأنها تنتظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، هذا هو الرأي الذي يؤيده جمهور العلماء، مدعومًا بحديث صهيب الذي أورده مسلم، والذي يشير إلى أن أهل الجنة سينظرون إلى وجه الله الكريم⁽³⁾.

قول آخر: هناك قول آخر ذكره ابن عمر ومجاهد وعكرمة يقول إن "ناظرة" هنا تعني "منتظرة"، أي أنها تنتظر ما سيعطيها الله من الثواب، ولكن هذا القول ضعيف وغير متسق مع ظاهر النصوص والأحاديث.

(1) الطبري، جامع البيان، ج 24 ص 71-72-73

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية

1420هـ - 1999م، ج 8 ص 280-281

(3) يُنتظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19 ص 107 - 108 - 109

أحاديث تدعم الرؤية: القرطبي يورد أحاديث نبوية تؤكد أن المؤمنين سينظرون إلى وجه الله الكريم، مثل حديث جرير بن عبد الله الذي يشبه رؤية المؤمنين لرؤيته القمر ليلة البدر، وبالمجمل، فالقرطبي يدعم الرأي القائل بأن المؤمنين سينظرون إلى وجه الله يوم القيامة، ويعتبر هذا التفسير هو الأرجح والأكثر اتساقاً مع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية⁽¹⁾.

قال الشوكاني -رحمه الله-: "إلى ربها ناظرة هذا من النظر، أي: إلى خالقها ومالك أمرها ناظرة أي: تنظر إليه، هكذا قال جمهور أهل العلم، والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر"⁽²⁾.

قال ابن كثير: "وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام"⁽³⁾.

قال الشوكاني: "وقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة وهي قطعية الدلالة لا ينبغي لمنصف أن يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة، وزعموا أن العقل قد حكم بها دعوى مبنية على شفا جرف هار وقواعد لا يغتر بها إلا من لم يحظ من العلم النافع بنصيب"⁽⁴⁾.

من خلال ما سبق يتضح أن الشوكاني كان مهتماً بالنقاش القائم بين العقيدة الإسلامية والأفكار الكلامية التي طرحها المعتزلة. ويؤكد أن الأحاديث النبوية المتواترة التي تثبت رؤية العباد لرؤيته في الآخرة هي صحيحة وثابتة، ولا يمكن التشكيك فيها. بالنسبة له، هذه الأحاديث قطعية الدلالة، أي أنها واضحة وصريحة في معناها ولا تحتل التأويل. يرفض الشوكاني الاعتماد على القواعد الكلامية التي قدمها المعتزلة والتي تستخدم العقل لتأويل النصوص الشرعية، معتبراً إياها مبنية على أسس ضعيفة وغير مستدامة. كما يحذر من الانخداع بالقواعد الفلسفية أو الكلامية التي تتعارض مع النصوص الواضحة، مشيراً إلى أن من يفعل ذلك يكون قد افتقر إلى العلم الشرعي النافع. يعارض الشوكاني بشدة أي محاولة لتأويل النصوص الشرعية الثابتة باستخدام

(1) القرطبي، المصدر السابق، ج 19 ص 107 - 108 - 109

(2) الشوكاني فتح القدير، ج 407/5

(3) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم، ج 8 / 280

(4) الشوكاني، فتح القدير ج 1 ص 103

المنطق أو الفلسفة، ويشدد على ضرورة التمسك بما ورد في الأحاديث الصحيحة واتباع ما جاء في الوحي بدلاً من الاعتماد على الاجتهادات العقلية التي طرحها المعتزلة.

ولعل الشوكاني -رحمه الله- أراد من نقده للمعتزلة وغيرها في رؤية الله عز وجل تثبيت ما ذهب إليه السلف ودحض الشبه، وأرى أن الرؤية ثابتة ولا فائدة من الجدل فيها بعد الآن.

ب- موافقته لأهل السنة في الاستواء على العرش ومخالفة المعتزلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: 54)

في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾، يتناول القرطبي مسألة الاستواء ويعرض الآراء المختلفة للعلماء، يشير القرطبي إلى أن جمهور العلماء المتقدمين والمتأخرين ينزهون الله سبحانه وتعالى عن الجهة والتحيز، فهم يعتقدون أن الله ليس في جهة معينة؛ لأن ذلك يلزم منه وجوده في مكان أو حيز، مما يترتب عليه الحركة والتغير، وهما صفات لا تليق بالله

موقف السلف الصالح: السلف الصالح لم ينكروا الاستواء على العرش، بل أثبتوه لله كما جاء في النصوص، لكنهم لم يخوضوا في كيفية الاستواء، مؤكدين أنه معلوم في اللغة، لكن كلفيته مجهولة ولا تُسأل، وقول الإمام مالك في هذا السياق: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة"⁽¹⁾.

معاني الاستواء في اللغة: الاستواء في اللغة يعني العلو والاستقرار، وقد أورد القرطبي تفسيرات متعددة منها: العلو، الاستقرار، القصد، والاستيلاء.

تأويل العرش: بعض العلماء يؤولون "العرش" في الآية بمعنى "الملك"، مما يعني أن الملك لا يستقيم إلا لله وحده، ومع ذلك فالقرطبي يلمح إلى أن هذا التأويل يحتاج إلى نظر وتفصيل، ويختتم بالإشارة إلى أن هذا القدر من التفسير كافٍ، ومن أراد المزيد فعليه مراجعة الكتب المختصة⁽²⁾.

(1) يُنظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز ت ٧٤٨هـ، العرش، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م: 325/1.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7 ص 219 - 220 - 221

ابن كثير يشير إلى أن هناك العديد من الآراء حول مسألة الاستواء على العرش، ولكنه يختار اتباع منهج السلف الصالح، مثل مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم من الأئمة، وإمرار النصوص كما جاءت، فالسلف كانوا يُمرّون النصوص المتعلقة بصفات الله دون تكييف (تحديد الكيفية)، أو تشبيهه (تشبيهه الله بخلقه) أو تعطيل (نفي الصفات عن الله).

تنزيه الله عن التشبيه: ما قد يتبادر إلى ذهن المشبهين من معاني الاستواء منفي عن الله؛ لأن الله ليس كمثل شيء.

ضوابط الإيمان بصفات الله: ابن كثير ينقل عن نعيم بن حماد، شيخ البخاري، أن من شبّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر.

الخلاصة: من أثبت لله ما ورد في الآيات والأحاديث الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، دون تشبيهه أو تعطيل، فقد سلك سبيل الهدى⁽¹⁾.

قال الشوكاني: "قد اختلف العلماء في معنى هذا على أربعة عشر قولاً، وأحقها وأولها بالصواب: مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه"⁽²⁾.

وهناك أحاديث تواترت كثيرة عن ثبوت العرش، منها دعاء المكروب (لا إله إلا الله العظيم العظيم لا إله إلا هو رب العرش العظيم)⁽³⁾.

وكذلك ما روى البخاري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى فإنه أوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن)⁽⁴⁾.

يرى الشوكاني أن أرجح الأقوال في معنى الاستواء هو مذهب السلف الصالح، الذي يفيد بأن الله استوى على العرش بلا كيف، بما يليق بجلاله. ويؤكد على تنزيه الله عن أي صفة لا تليق به، داعياً إلى الإيمان بالاستواء كما ورد في النصوص دون الخوض في كيفية ذلك. وينتقد الأقوال

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 3 ص 426-427

(2) الشوكاني فتح القدير 2 240

(3) متفق عليه

(4) البخاري، ك الجهاد والسير، ب درجات المجاهدين في سبيل الله رقم ح: 2790 م: 4 ص 16

التي تحاول تفسير الاستواء بما يخالف منهج السلف أو التي تدخل في تفاصيل لا يمكن للعقل البشري إدراكها.

ت- الكرسي قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة 255)، وقد اختلف العلماء في

معنى الكرسي وأشار الطبري إليه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ﴾: اختلف أهل التأويل في معنى "الكرسي" في الآية على أقوال:

الأول: علم الله، بعض المفسرين، منهم ابن عباس، قالوا إن الكرسي يعني علم الله الذي وسع السموات والأرض.

الثاني: موضع القدمين، يقول آخرون، مثل أبي موسى والسدي، قالوا إن الكرسي هو موضع قدمي الله، والسموات والأرض في جوفه.

الثالث: العرش: وقيل أيضًا إن الكرسي هو العرش نفسه، كما نُقل عن الحسن.

الرابع: الكرسي وسع السموات والأرض: الطبري يرجح القول الذي ورد به الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ذكر أن الكرسي وسع السموات والأرض، وله صوت كأطيط الرجل من ثقله⁽¹⁾.

الخامس: الفلك الثامن: قال ابن كثير: في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ :

وقد زعم بعض المتكلمين على علم الهيئة من الإسلاميين: أن الكرسي عندهم هو الفلك الثامن، وهو فلك الثوابت الذي فوقه الفلك التاسع وهو الفلك الأثير ويقال له: الأطلس، وقد رد ذلك عليهم آخرون.

(1) الطبري، ، جامع البيان، ج 5 ص 397-398-399-400

السادس: الكرسي أصغر من العرش: وروى ابن جرير من طريق جويبر عن الحسن البصري أنه كان يقول: الكرسي هو العرش، والصحيح أن الكرسي غير العرش والعرش أكبر منه، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار، وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة، عن عمر في ذلك وعندي في صحته نظر والله أعلم⁽¹⁾.

السابع: الكرسي يرمز إلى علم الله: ذكر القرطبي عدة آراء حول معنى الكرسي:

ابن عباس وبعض العلماء قالوا إن الكرسي يرمز إلى علم الله.

الثامن: الكرسي مخلوق عظيم تحت العرش: كما أنه القرطبي أشار إلى أن الكرسي مخلوق عظيم تحت العرش، وهو أقل منه في الحجم، إذ السموات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة في فلاة، بينما العرش أعظم بكثير، وخلاصة القول أن الكرسي يرمز إلى عظمة مخلوقات الله، وعظم قدرة الله في حفظه لهذه المخلوقات العظيمة⁽²⁾.

قال الشوكاني -رحمه الله-: الكرسي: "الظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته، كما سيأتي بيان ذلك، وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة وأخطؤوا في ذلك خطأ بيّنا، وغلطوا غلطا فاحشا، وقال بعض السلف: إن الكرسي هنا: عبارة عن العلم. قالوا: ومنه قيل للعلماء: الكراسي، ومنه: الكراسية التي يجمع فيها العلم، ومنه قول الشاعر: يحف بهم بيض الوجوه وعصبة... كراسي بالأحداث حين تتوب"⁽³⁾.

ورجح هذا القول ابن جرير الطبري وقيل: كرسية: قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض، كما يقال: اجعل لهذا الحائط كرسيا، أي: ما يعمده وقيل: إن الكرسي هو العرش، وقيل: هو تصوير لعظمته ولا حقيقة له، وقيل: هو عبارة عن الملك. والحق القول الأول، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا مجرد خيالات تسببت عن جهالات وضلالات"⁽⁴⁾.

و الشوكاني -رحمه الله- قد ذكر في البداية أن جماعة من المعتزلة أخطؤوا خطأ فاحشا ثم استمر بذكر الأقوال، وقال والحق القول الأول، ولا وجه للعدول عنه وتجده هنا مصمما واصفا من عدل عنه بالخيال أصلها الجهل والضلال، كما انتقد الآراء التي تفسر "الكرسي" في الآية بمعانٍ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 1 ص 680-681

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 3 ص 276 - 277 - 278

(3) الشوكاني فتح، ج 1/ص 312

(4) تفسير الطبري جامع البيان، ج 5/ ص 399.

مجازية، مثل أنه العلم أو القدرة أو أنه مجرد تصوير لعظمة الله، يعتبر الشوكاني أن هذه التفسيرات ناتجة عن خيالات وضلالات بعيدة عن الحق، ويميل إلى القول بأن الكرسي هو جسم حقيقي وردت أوصافه في الآثار، ويرفض التفسيرات المجازية التي تنسب الكرسي إلى العلم أو القدرة، معتبراً أنها تنشأ من سوء الفهم والابتعاد عن النصوص الواضحة، وكذلك يرى أن التفسير الذي يعتبر الكرسي جسماً حقيقياً هو الأقرب إلى الصواب، بناءً على النصوص الواردة، ويرد بشدة على مذهب المعتزلة الذين نفوا وجود الكرسي كجسم، معتبراً هذا الموقف خطأً واضحاً.

الشوكاني يفضل التمسك بالمعنى الظاهر والحقيقي للنصوص الشرعية، مع الابتعاد عن التأويلات المجازية التي يراها غير مبررة.

ث- صفة العلو قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: 255) وأشار الطبري إلى تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ فإنه يعني: والله العلي، و"العلي" "الفعيل" من قولك: "علا يعلو علواً، إذا ارتفع، فهو عال وعلي"، و"العلي" ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته.

قال أبو جعفر: واختلف أهل البحث في معنى قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

فقال بعضهم: يعني بذلك؛ وهو العلي عن النظر والأشباه، وأنكروا أن يكون معنى ذلك: "وهو العلي المكان". وقالوا: غير جائز أن يخلو منه مكان، ولا معنى لوصفه بعلو المكان، لأن ذلك وصفه بأنه في مكان دون مكان، وقال آخرون: معنى ذلك: وهو العلي على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه، لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه وخلقته دونه، كما وصف به نفسه أنه على العرش، فهو عال بذلك عليهم⁽¹⁾.

قال القرطبي: "العلي) يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان، لأن الله منزّه عن التحيز، وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه. قال ابن عطية: وهذا قول جهلة مجسمين، وكان الوجه ألا يحكى. وعن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به سمع تسبيحاً في السموات العلى: سبحان الله العلي الأعلى سبحانه

(1) الطبري، جامع البيان، ج 5 ص 405-406

وتعالى، والعلي والعالى: القاهر الغالب للأشياء، تقول العرب: علا فلان فلانا أي غلبه وقهره، قال الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهم ... تركناهم صرعى لنسر وكاسر⁽¹⁾.

وقال الشوكاني: "والعلي يراد به: علو القدرة والمنزلة، وحكى الطبري عن قوم أنهم قالوا: هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه، قال ابن عطية: وهذه أقوال جهلة مجسمين، وكان الواجب ألا تحكى. انتهى.

والخلاف في إثبات الجهة معروف في السلف والخلف، والنزاع فيه كائن بينهم، والأدلة من الكتاب والسنة معروفة، ولكن الناشئ على مذهب يرى غيره خارجاً عن الشرع ولا ينظر في أدلته ولا يلتفت إليها، والكتاب والسنة هما المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، ويتبين به الصحيح من الفاسد⁽²⁾.

الشوكاني ينتقد المواقف التي تتجاهل أو تحجب الخلاف حول إثبات "الجهة" لله تعالى، مشيراً إلى أن هذا الخلاف موجود بين السلف والخلف، كما يعترض على الأسلوب الذي يتبعه بعض العلماء في رفض الرأي المخالف دون النظر في أدلته أو الالتفات إليها، يشير إلى أن الخلاف حول إثبات الجهة موجود ومشروع بين السلف والخلف، ومع ذلك، هناك من يحاول تجاهله أو رفضه دون دراسة أو تمحيص للأدلة، كما يؤكد أن الحكم على صحة أي رأي يجب أن يكون بناءً على الكتاب والسنة، التي يجب أن تكون المعيار الأساسي في تحديد الحق من الباطل، ويرى أن من الخطأ رفض آراء الآخرين دون النظر في الأدلة التي يستندون إليها، ويشير إلى خطورة الانغلاق على مذهب معين واعتبار المذاهب الأخرى خارجة عن الشرع دون البحث والتحقيق في أدلتها.

في هذا السياق الدعوة إلى ضرورة تقدير الاختلاف الفقهي والعقدي، والتعامل مع المسائل الخلافية بحيادية وموضوعية، والرجوع دائماً إلى الكتاب والسنة كمعيار نهائي للحكم على صحة الآراء.

• الهدى والضلال، ومن أمثلته في تفسير الهدى والضلال قوله تعالى :

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 3 ص 278

(2) مرجع سابق

أ- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ
اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة
26)

وقد أورد الرازي بحثًا كاملاً في تفسير الهدى والضلال فحواه :

في تفسيره يتناول مسألة الإضلال والهداية بتفصيل دقيق، وي طرح عدة تأويلات لفهم الآية التي
تشير إلى أن الله يُضل من يشاء ويهدي من يشاء.

يبدأ بتوضيح أن الهمزة في كلمة "أضل" قد تأتي للدلالة على عدة معانٍ، مثل نقل الفعل من غير
المتعدي إلى المتعدي، أو لمجرد الوجدان، ويبحث في كل تأويل لهذه الهمزة لتحديد معنى
الإضلال في السياق القرآني.

يُناقش الرازي فكرة الإضلال من خلال عدة أوجه، منها:

يشير إلى أن الله لا يمكن أن يكون مُضلاً عن الدين، لأن الإضلال بهذا المعنى يتعارض مع ما
جاء في النصوص القرآنية التي تُظهر أن الله ينهي عن الكفر ويحذر منه، وإلى أن الجبرية تؤكد
أن الله خلق الضلال في بعض الناس وصددهم عن الإيمان، بينما المعتزلة ينكرون هذا ويعتبرون
أن الإضلال لا يمكن أن يكون خلقاً للضلال، كما ناقش عدة تأويلات محتملة لمعنى
الإضلال، منها التسمية بالضلال، التخليّة وترك المنع، التسمية بالأحكام، الإهلاك
والإبطال، وغيرها⁽¹⁾.

في النهاية، يستنتج الرازي أن الإضلال في القرآن يمكن تفسيره بأحد الأوجه التالية:

الابتلاء: حيث يُضيف الله الإضلال إلى نفسه في سياق الابتلاء والامتحان، مثلما يفسر نزول
المتشابهات في الآيات.

التسمية: حيث يضيف الإضلال إلى الله بمعنى أنه يُسمى بعض الناس ضالين بناءً على
اختياراتهم وأفعالهم.

(1) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج2 ص 366، 67، 68، 69، 70، 71، 72

التخلية: بمعنى أن الله يترك بعض الناس بدون هداية أو دعم، مما يجعلهم يضلون، وفي الختام، يُبرز الرازي أهمية فهم الإضلال والهداية في السياق القرآني بصورة تتوافق مع معاني النصوص وأصول العقيدة الإسلامية⁽¹⁾.

قال الشوكاني -رحمه الله-: "وقد أطال المتكلمون الخصام في تفسير الضلال المذكور هنا وفي نسبه إلى الله سبحانه، وقد نقح البحث الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) في هذا الموضوع تنقيحاً نفيساً، وجوده وطوله وأوضح فروعاً وأصوله، فليرجع إليه فإنه مفيد جداً، وأما صاحب الكشاف⁽²⁾، فقد اعتمد هاهنا على عصاه التي يتوكأ عليها في تفسيره، فجعل إسناد الإضلال إلى الله سبحانه بكونه سبباً، فهو من الإسناد المجازي إلى ملابس للفاعل الحقيقي"⁽³⁾.

هنا انتقد الزمخشري على إسناد الإضلال إلى الله وأنه إسناد مجازي ولعله أراد بالعصا التي يتوكأ عليها اعتزاله، فكثيراً ما يدس صاحب الكشاف ذلك في السطور ولكن الشيخ بفضل الله في هذا النص، يتحدث عن نقده لمواقف بعض المفسرين حول مسألة نسبة الضلال إلى الله سبحانه وتعالى، ويشير إلى أن المتكلمين قد تناولوا هذا الموضوع بالجدل والنقاش، والشوكاني يذكر أنه قد قام الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب" بتنقيح هذا الموضوع بشكل جيد وشامل، ويشجع على الرجوع إليه للاستفادة من توضيحاته، ومن ناحية أخرى، يشير إلى أن صاحب "الكشاف" قد اتبع تفسيراً مجازياً، حيث اعتبر أن نسبة الإضلال إلى الله هي نسبة مجازية تُعزى إلى السبب وليس إلى الفاعل الحقيقي، ويعرض كيف يتناول المفسرون هذا الإشكال بطرق مختلفة، معتبراً أن تفسير الرازي يقدم تصحيحاً مهماً وشاملاً، بينما يرى أن تفسير "الكشاف" يعتمد على أسلوب مجازي قد لا يكون كافياً في توضيح المسألة.

المطلب الثاني: الهدى والضلال

(1) يُنظر: مفاتيح الغيب المصدر السابق، ج 2/ ص 366، 67، 68، 69، 70، 72، 71.

(2) أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري من أئمة العلم بالدين والتفسير، واللغة، والأدب ولو كان معتزلي المذهب قويا في مذهبه مفتخرا به قال الذهبي: صالح لكنه داعية إلى الاعتزال أجازنا الله فكن حذرا من كشافه أشهر كتبه الكشاف في تفسير القرآن وأسلوب البلاغة توفي 538هـ يُنظر: ترجمته ميزان الاعتدال الذهبي

203/5 وكذلك ولسان الميزان لابن حجر 4/6

(3) الشوكاني فتح القدير م 1/68

أقال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء 31)

في تفسير الآية ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: 31)، نقل الطبري عن السلف عدة آراء حول معنى "الكبائر".

الكبائر في سورة النساء: بعض المفسرين، مثل ابن مسعود، يرون أن "الكبائر" المذكورة في الآية تشير إلى المعاصي التي نهى الله عنها في بداية سورة النساء حتى الآية الثلاثين وتحديداً، هم يعتبرون هذه الآيات تحتوي على الكبائر التي إذا اجتنبها المؤمنون كفرت عنهم سيئاتهم.

الكبائر السبع: رأي آخر ينسب الكبائر إلى السبع المعروفة وهي: الشرك بالله، قتل النفس المحرمة، قذف المحصنات، أكل مال اليتيم، أكل الربا، الفرار يوم الزحف، والتعرب بعد الهجرة، هذا الرأي يوضح أن كل واحدة من هذه الكبائر مذكورة في آية من القرآن الكريم.

كلا الرأيين يركز على أهمية اجتناب الكبائر لتحقيق تكفير السيئات ودخول الجنة بموجب وعد الله في الآية⁽¹⁾.

في تفسيره للكبائر، نقل القرطبي عن ابن عباس وابن مسعود وآخرين عدة آراء حول مفهوم "الكبائر":

رأي ابن عباس: الكبيرة هي كل ذنب ختمه الله بالعقاب الشديد، مثل النار أو اللعنة أو الغضب.

رأي ابن مسعود: الكبائر هي ما نهى الله عنه في سورة النساء إلى الآية الثالثة والثلاثين، ويستند في ذلك إلى الآية ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾.

رأي طاووس وابن عباس: الكبائر ليست محدودة بعدد معين؛ فابن عباس يرى أنها أقرب إلى السبعين، أو حتى السبعمئة، مشيراً إلى أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار.

(1) الطبري، جامع البيان، ج 8 ص 233-234-235-236

رأي ابن مسعود (آخر): الكبائر أربع، وهي اليأس من روح الله، القنوط من رحمته، الأمن من مكره، والشرك به.

رأي ابن عمر: الكبائر هي تسع، منها قتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، وغير ذلك.

آراء أخرى: تشمل الكبائر أمورًا مثل القمار، السرقة، شرب الخمر، سب السلف الصالح، وغيرها، كما يوضح أن تعدد الآراء واختلافها يعود إلى تعدد النصوص والأحاديث حول الكبائر، ويشير إلى أن الكبائر ليست محصورة بعدد معين، ولكنها تختلف من حيث الضرر والعقاب، والشرك بالله هو أعظمها. ويؤكد أن كل ذنب شدد عليه الشرع في العقاب أو كان ضرره كبيرًا يعتبر كبيرة، بينما ما عداه يعد صغيرة⁽¹⁾.

قال الشوكاني: "وقال ابن عباس: الكبيرة: كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب، وقال ابن مسعود: الكبائر: ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى ثلاث وثلاثين آية، وقال سعيد بن جبير: كل ذنب نسبه الله إلى النار فهو كبيرة. وقال جماعة من أهل الأصول: الكبائر: كل ذنب رتب الله عليه الحد، أو صرح بالوعيد فيه. وقيل غير ذلك مما لا فائدة في التطويل بذكره. وأما الاختلاف في عددها فقيل: إنها سبع، وقيل: سبعون، وقيل: سبعمائة، وقيل: غير منحصرة، ولكن بعضها أكبر من بعض"⁽²⁾.

يُظهر الشوكاني أن التعريفات المختلفة للكبائر تعكس تعدد الآراء والاجتهادات بين العلماء، يشير إلى أن تعدد الأعداد والأوصاف يعكس اتساع مفهوم الكبائر ومرونته، مما يعكس أن الكبائر قد تكون أكبر من مجرد حصرها بعدد معين، وتبقى أهميتها في كونها ذنوبًا خطيرة تستوجب العقاب الشديد.

المطلب الثالث: صاحب الكبيرة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء 48)

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 5 ص 159 - 160 - 161

(2) الشوكاني فتح القدير، م 528/1

الآية تميز بين الشرك الذي لا يغفر، وبين باقي الذنوب التي يمكن أن تُغفر بناءً على إرادة الله ورحمته.

في تأويل الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، يقول الطبري: معنى الآية: الله لا يغفر الشرك به، ولكنه يغفر الذنوب الأخرى لمن يشاء من المؤمنين. الشرك هو الذنب الوحيد الذي لا يغفر، بينما باقي الذنوب يمكن مغفرتها وفقاً لمشيئة الله.

تفسير "أن": "أن" في الآية قد تكون في موضع خفض، مما يعني أن "أن يُشْرَكَ" مفسرة لما قبلها، وتدل على أن الله لا يغفر الذنوب المصاحبة للشرك، ونزول هذه الآية في سياق توضيح الإيمان لمشركين ارتابوا في مغفرة الله بعد نزول آية ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر: 53). أُشير إلى أن الشرك هو الذنب الوحيد الذي لا يغفر، بينما غيره من الذنوب تحت مشيئة الله، كما يشير الطبري إلى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوضح أن الشرك هو الذنب الذي لا يغفر، بينما باقي الذنوب يمكن غفرانها إذا شاء الله في المجمع، يؤكد الطبري على أن الشرك هو الذنب الأعظم الذي لا يُغفر، بينما الذنوب الأخرى تُغفر بناءً على مشيئة الله⁽¹⁾.

قال الشوكاني: "لا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير أهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته، وأما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، قال ابن جرير: قد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة في مشيئة الله عز وجل، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله عز وجل، وظاهره: أن المغفرة منه سبحانه تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلاً منه ورحمة، وإن لم يقع من ذلك المذنب توبة، وقيده ذلك المعتزلة بالتوبة.

وقد تقدم قوله تعالى: إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم (6) وهي تدل: على أن الله سبحانه يغفر سيئات من اجتنب الكبائر، فيكون مجتنب الكبائر ممن قد شاء الله غفران سيئاته"⁽²⁾.

(1) الطبري، جامع البيان، ج 8 ص 448-449-450

(2) الشوكاني فتح القدير م/549

و الشوكاني يبدأ بتأكيد أن الشرك هو الذنب الوحيد الذي لا يغفر، يشير إلى إجماع المسلمين على أن المشركين الذين يموتون على شركهم لا يدخلون في رحمة الله التي تشمل غير المشركين، بناءً على مشيئة الله، ويعترف بأن العصاة من المسلمين غير المشركين يدخلون تحت مشيئة الله، يُغفر لمن يشاء الله ويعذب من يشاء، وهذا يبين الفرق بين المشركين والعصاة غير المشركين في مسألة المغفرة، وينقل عن ابن جرير الطبري تأكيده أن كل صاحب كبيرة يدخل في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، ما لم يكن شريكاً بالله، والطبري يشير إلى أن المغفرة تأتي وفقاً لمشيئة الله، حتى لو لم يتب المذنب، وهو ما يختلف عن رؤية المعتزلة التي تقيد المغفرة بالتوبة، كما يشير إلى أن الآية ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، توضح أن الله يغفر سيئات من اجتنب الكبائر، وبذلك، فإن اجتناب الكبائر يعني أن الشخص يكون تحت مشيئة الله لغفران سيئاته، وهذا يتفق مع ما ذكره الطبري، ويوضح أن المعتزلة يقيدون المغفرة بالتوبة، وهو موقف يختلف عن الفهم الذي يسمح بالمغفرة بناءً على مشيئة الله حتى دون توبة.

وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (النساء 172)

والآية توضح أن العبادة لله تعالى هي صفة أساسية لكل من المسيح والملائكة، وأن الاستنكاف عن هذه العبادة هو عمل مرفوض، ويؤدي إلى الحساب والعقاب من الله. قال القرطبي: في قوله تعالى دل بهذا على أن الملائكة أفضل من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين⁽¹⁾.

ناقش الرازي في تفسيره استدلال المعتزلة بالآية التي تم استخدامها للاعتقاد بأن الملائكة أفضل من البشر في العلم والقدرة. إلا أن هذا الاستدلال يتعلق بمسألة الثواب والطاعات، وليس بالموضوع الذي تشير إليه الآية. ويلاحظ أن عطف الملائكة على المسيح في الآية قد لا يكون مناسباً إذا تم فهم العطف بشكل حرفي. والجواب الممكن لذلك هو أن المقصود هو أن كلاً من الملائكة والمسيح لا يتوانيان عن العبادة.

قرأ علي بن أبي طالب "عبيد الله" على التصغير، مما قد يشير إلى استخدام أسلوب أدبي للتأكيد على العبادة.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6 ص 26

تفاوت طبقات الملائكة: الآية تدل على أن الملائكة يختلفون في الدرجة والفضيلة، مع وجود طبقات متعددة مثل جبريل وميكائيل وحملة العرش⁽¹⁾.

يقول ابن كثير: "استدلال المعتزلة: بعضهم استدل بالآية على تفضيل الملائكة على البشر، بناءً على نكرهم مع المسيح، ولكن، وفقاً لابن كثير، هذا الاستدلال غير صحيح؛ لأن الآية تشير إلى أن الاستتكاف (الامتناع) غير مناسب للمسيح وللملائكة، ولا يعني أن الملائكة أفضل، ذكرت الملائكة؛ لأنهم كانوا معترضين على اتخاذ المسيح إلهاً، فالله يؤكد أن جميعهم، بما فيهم المسيح والملائكة، هم عبيد لله وخلقه، فالآية توضح أن المسيح والملائكة على الرغم من مكانتهم، لا يستتكفون عن عبادة الله، خلافاً لما يعتقد الذين اتخذوا منهم آله"⁽²⁾.

قال الشوكاني: "وقد استدل بهذا القائلون بتفضيل الملائكة على الأنبياء، وقرر صاحب الكشاف وجه الدلالة بما لا يسمن ولا يغني من جوع، وادعى أن الذوق قاض بذلك، ونعم الذوق العربي إذا خالطه محبة المذهب، وشابهه شوائب الجمود، كان هذا، وكل من يفهم لغة العرب يعلم أن من قال: لا يأنف من هذه المقالة إمام ولا مأموم، أو لا كبير ولا صغير، أو لا جليل ولا حقير، ثم يدل هذا: على أن المعطوف أعظم شأنًا من المعطوف عليه، وعلى كل حال فما أبدأ الاشتغال بهذه المسألة، وما أقل فائدتها، وما أبعداها عن أن تكون مركزاً من المراكز الشرعية الدينية"⁽³⁾.

والشوكاني يرى أن الاستدلال الذي قدمه صاحب الكشاف لتفضيل الملائكة على الأنبياء هو استدلال غير قوي ولا ذو فائدة كبيرة، يشير إلى أن هذا الاستدلال يعتمد على الذوق العربي الذي قد يكون متأثراً بالمذهب أكثر من كونه قائماً على أساس قوي، ويعتبر أن التفسير القائل بأن المعطوف أعظم شأنًا من المعطوف عليه بناءً على عبارة "لا يأنف" هو تفسير غير دقيق، يوضح أن اللغة العربية لا تدعم هذا الاستنتاج بشكل قاطع، ولا يترتب على هذا التفسير أن يكون المعطوف أعظم من المعطوف عليه، كما يصف مسألة تفضيل الملائكة على الأنبياء بأنها مسألة غير مهمة من الناحية الشرعية والدينية، يشير إلى أنها مسألة تافهة ولا تشكل مركزاً أساسياً في النقاشات الدينية أو الشرعية، ويعتبر أن الجدل حول هذه المسألة ليس له قيمة كبيرة في السياق الديني.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 11 ص 272 - 273

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2 ص 480

(3) الشوكاني، فتح القدير، ج 1/ص 625

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَعَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حُشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: 31)

قال الشوكاني: "واعلم أنه لا يلزم من قول النسوة هذا أن الملائكة صورهم أحسن من صور بني آدم، فإنهن لم يقلنه لدليل، بل حكمن على الغيب بمجرد الاعتقاد المرتكز في طباعهن وذلك ممنوع، فإن الله سبحانه يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤﴾ (التين: ٤)

وظاهر هذا أنه لم يكن شيء مثله من أنواع المخلوقات في حسن تقويمه وكمال صورته، فما قاله صاحب الكشاف في هذا المقام هو من جملة تعصباته لما رسخ في عقله من أقوال المعتزلة، على أن هذه المسألة - أعني مسألة المفاضلة بين الملائكة والبشر - ليست من مسائل الدين في ورد ولا صدر، فما أغنى عباد الله عنها وأحوجهم إلى غيرها من مسائل التكليف⁽¹⁾.

و من الجدير بالذكر أن الشوكاني ينتقد موقف القائلين بتفضيل الملائكة على البشر، وتحددًا نقده للقول بأن الملائكة أحسن صورة من البشر بناءً على قول النسوة في سورة التحريم، وينبه إلى أن النسوة اللواتي قلن إن الملائكة أفضل في الصورة من البشر لم يقدموا دليلاً ملموساً يدعم هذا الرأي، بل حكمن كان مبنياً على اعتقادات غيبية أو تصورات غير مبنية على أدلة عقلية أو شرعية، وهو ما يعتبره الشوكاني غير مقبول.

ويستشهد بالآية الكريمة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤﴾ (التين: 4)؛ ليبين أن الله قد خلق الإنسان في أكمل صورة.

يشير هذا النص إلى أن الإنسان هو المخلوق الأكثر كمالاً في خلقه من بين جميع المخلوقات، مما يتعارض مع القول بأن الملائكة أفضل في الصورة، كما أشار إلى أن تفسير صاحب الكشاف بخصوص تفضيل الملائكة على البشر قد يكون ناتجاً عن تعصب لمعتقدات المعتزلة، ويرى الشوكاني أن هذا التعصب يمكن أن يؤدي إلى استنتاجات غير صحيحة أو متحيزة⁽²⁾.

(1) الشوكاني فتح القدير م/28/3

(2) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج/7 ص/81.

الشوكاني يعتبر أن مسألة المفاضلة بين الملائكة والبشر ليست من المسائل الأساسية في الدين، ويرى أن التركيز على مثل هذه القضايا هو تضييع للوقت ويجب على المسلمين أن ينصرفوا إلى مسائل التكليف والعبادات الأكثر أهمية.

و الشوكاني هنا يشدد على أهمية الالتزام بالنصوص الشرعية والتوجيه نحو مسائل الدين الأساسية بدلاً من الغوص في مسائل قد تكون ثانوية أو غير ذات أهمية في السياق الديني

المطلب الرابع: دخول الجنة

أ- قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف 43)

قال الشوكاني: "قال في الكشاف: بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقوله المبطله انتهى، أقول: يا مسكين! هذا قاله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما صح عنه (سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتعمدني الله برحمته)⁽¹⁾، والتصريح بسبب لا يستلزم نفي سبب آخر، ولولا التفضل من الله سبحانه وتعالى على العامل بإقداره على العمل لم يكن عمل أصلاً، فلو لم يكن التفضل إلا بهذا الإقدار لكان القائلون به محقة لا مبطله"⁽²⁾.

و قد نقد الشوكاني القول الوارد في الكشاف والذي يفيد أن دخول الجنة بسبب الأعمال لا بتفضل الله، يستشهد بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي يؤكد أن دخول الجنة ليس بعمل الإنسان فقط بل برحمة الله، وذلك في قوله: "سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله"، هذا الحديث يبين أن الأعمال الصالحة لا تكفي وحدها لدخول الجنة، بل يجب أن تكون رحمة الله وتفضله هي السبب الرئيس، ويشير إلى أن التصريح بسبب لا ينفي وجود أسباب أخرى. بعبارة أخرى، الإقرار بأن الأعمال تؤدي إلى دخول الجنة لا يعني أن تفضل الله ورحمته ليس لهما دور، بل تفضل الله في إقدار العبد على العمل هو جزء من السبب الذي يجعل الأعمال مقبولة؛ بمعنى آخر حتى القدرة على القيام بالأعمال الصالحة هي من تفضل الله، وأن القول بأن دخول

(1) أخرجه الشيخان وابن ماجه.

(2) الشوكاني فتح القدير، م 235/2 ص

الجنة بسبب الأعمال لا يستلزم نفي التفضل الإلهي، بل إن التفضل الإلهي هو ما يمكن الإنسان من أداء الأعمال الصالحة، ولذلك القول بالتفضل لا يتعارض مع القول بضرورة العمل، بل يتكامل معه، كما ينتقد القائلين بأن الاعتماد على التفضل الإلهي فقط هو الموقف الصحيح، ويرد عليهم بأنهم يتجاهلون أن العمل أيضاً له دوره في الحقيقة، الموقف الذي يعترف بكل من التفضل والعمل معاً هو الأصح، حيث يتكامل التفضل الإلهي مع الجهد البشري.

ونقد الشوكاني يبرز أهمية التوازن بين الاعتراف بأهمية الأعمال الصالحة والتأكيد على تفضل الله ورحمته، فلا يمكن إغفال دور أحدهما لصالح الآخر، بل يجب فهم كيف يتفاعل كلاهما في إطار النصوص الشرعية ومفاهيم الدين، وقد أيد سيد قطب ما قاله الشوكاني وأوضح ما يترتب على الخلاف قائلاً:

"ولولا رحمة الله ما كفى عملهم - في حدود طاقتهم - ثم نكر الحديث السابق، وأردف قائلاً.. وليس هنا لك تناقض ولا اختلاف بين قول الله سبحانه في هذا الشأن، وقول رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو لا ينطق عن الهوى.. وكل ما ثار من الجدل حول هذه القضية بين الفرق الإسلامية لم يرق على الفهم الصحيح لهذا الدين، إنما ثار عن الهوى! فلقد علم الله من بني آدم ضعفهم وعجزهم وقصورهم عن أن تفي أعمالهم بحق الجنة. ولا بحق نعمة واحدة من نعمه عليهم في الدنيا. فكتب على نفسه الرحمة وقبل منهم جهد المقل القاصر الضعيف وكتب لهم به الجنة، فضلاً منه ورحمة، فاستحقوها بعملهم ولكن بهذه الرحمة"⁽¹⁾.

(1) الشاربي سيد قطب إبراهيم حسين في ظلال القرآن ط17، 1412، دار الشروق، بيروت. القاهرة م3 /ص

الفصل الثاني:

منهج الإمام الشوكاني النقدي في السياق والمعاني التفسيرية

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: منهج الإمام الشوكاني في النقد في المعاني التفسيرية ودلالاتها.
- المبحث الثاني: منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب السياق والمناسبات.
- المبحث الثالث: منهج الإمام الشوكاني في النقد في الاتجاهات التفسيرية المنحرفة.

مدخل: لقد برز الشوكاني رحمه الله بمكانته بين العلماء باهتمامه الخاص والمتقن في جانب السياق ومعاني الآيات بحيث أنه يفسر الآيات بأكثر من معنى لأكثر من قول ويكون اختلافا متنوعا ولا يرجح فيه، ولكن في بعض الآيات يركز على بعض المعاني وينتقد قائلها، وكذلك هو الحال في نقد اتجاهات التفسير المنحرفة، إذ إنه في بعض الأحيان يصرح بذكرهم، وتارة لا يصرح، وسنقف على ذلك في المباحث التالية.

المبحث الأول:

منهج الإمام الشوكاني في النقد في المعاني التفسيرية ودلالاتها.

تمهيد: إن المنهج النقدي للمعاني التفسيرية يشير إلى الطريقة التي يتم بها تحليل وفهم النصوص الدينية أو الأدبية بشكل نقدي دقيق، بهدف استخلاص المعاني العميقة والمفاهيم الدقيقة منها ويتضمن هذا المنهج استخدام الأدوات والتقنيات النقدية لفهم النصوص، مثل التحليل السياقي، والدراسات التشكيلية، والمقارنة بين النصوص المختلفة، والتركيز على الأبعاد اللغوية والثقافية للنصوص وغير ذلك.

وفي سياق التفسير الديني، يهدف المنهج النقدي للمعاني التفسيرية إلى إلقاء الضوء على المفاهيم الدينية والروحانية المعمقة التي يحملها النص الديني، وكذلك فهم السياق التاريخي والثقافي الذي نشأ فيه النص الديني والسياق الذي يمكن تنزيله عليه.

و يعد المنهج النقدي للمعاني التفسيرية أداة قيمة لإثراء الفهم والتفسير العميق للنصوص، سواء أكانت دينية أم أدبية، من خلال تطبيق مجموعة متنوعة من النقاط والأدوات النقدية لاستكشاف المعاني والرموز والأفكار الكامنة في النص، ومن المعلوم أن المصطلحات والألفاظ يطرأ عليها شيء من تغير المعنى؛ بمعنى أنها تُستعمل في وقت أو عند فئة بمعنى، ثم تُستعمل في وقت آخر أو عند فئة أخرى بمعنى ثانٍ؛ ولهذا نبه ابن القيم وغيره على بطلان تأويل القرآن على ما لم يُؤلف استعماله في لغة المخاطب، وإن أُلّف في الاصطلاح الحادث، وكان معهوداً في اصطلاح المتأخرين؛ ومن هذا المنطلق يجب فهم كلام الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم- على المصطلحات والمعاني التي أرادوها، لا على المصطلحات والمعاني التي حدثت بعدهم؛ لئلا

يترتب على ذلك آثار غير محمودة ومن ذلك: ردُّ أقوالهم وتضعيفها بناءً على المصطلحات والمعاني المتأخرة، ثم ما يترتب على ذلك من تجهيلهم⁽¹⁾.

ومن معالم منهج الشوكاني هنا:

المطلب الأول: تقرير المعاني يكون بناء على اللغة والرواية،

ومن أمثلة ذلك:

أ- في قوله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِنِّي وَلَكِن نَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف 143).

هذه الآية تتعلق باللقاء بين النبي موسى عليه السلام وربه، حيث طلب موسى أن يرى ربه وأن يرى علاماته، فأجابه الله بأنه لن يتمكن من رؤيته في هذه الحياة، ولكنه أمره أن ينظر إلى الجبل؛ إذا استقر مكانه فسوف يراه، تعليقا لطلبه بتحقق ما لم يتحقق ليتأكد له عدم الرؤية في تلك الحالة، والآية تُظهر لنا أن الرؤية المباشرة لله لا تكون ممكنة في الدنيا، وأن البشرية لن تكون قادرة على رؤيته بصورة مادية ويمكن فهم "لَنْ تَرَانِي" أيضًا بمعنى أن الله يتحدث عن عظمته وبعده عن الناس، وأن الفهم الحقيقي له ليس من خلال الرؤية الجسدية بل من خلال الإيمان والتقرب منه⁽²⁾.

وتعليقا على ما سبق وباختصار، "لَنْ تَرَانِي" هو تعبير قرآني يشير إلى عظمة الله وعدم إمكانية رؤيته في الدنيا، ويمكن فهمه بأبعاد متعددة تتعلق بالتأمل الروحي والفهم النقدي للنص القرآني، وقد جاء عن المفسرين في معنى الآية أقوال متعددة اختلفت في تقدير رؤية الله في الدنيا أو في الآخرة أو عدم الرؤية مطلقا، أو كليهما، منطلقان تنطلق منهما، وقد أشار لذلك ابن كثير في تفسيره فقال: "وقد أشكل حرف "لن" ها هنا على كثير من العلماء؛ لأنها موضوعة لنفي

(1) يُنظر: ابن المبرد، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي ت

٩٠٩ هـ الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى، الناشر: دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة - السعودية

الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ج 1/ ص 112.

(2) يُنظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج 6/ ص 945.

التأييد، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة، وهذا أضعف الأقوال؛ لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، كما سنوردها عند قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة. ووجوه يومئذ باسرة﴾ (القيامة: 22، 23)."

و ابن كثير قد رجح أيضا أن نفي الرؤية في الدنيا ليس دليلا على نفيها في الآخرة

قال الشوكاني: "والجواب بقوله لن تراني يفيد أنه لا يراه هذا الوقت الذي طلب رؤيته فيه، أو أنه لا يرى ما دام الرائي حيا في دار الدنيا، وأما رؤيته في الآخرة فقد ثبتت بالأحاديث المتواترة تواترا لا يخفى على من يعرف السنة المطهرة، والجدال في مثل هذا والمراد لا تأتي بفائدة، ومنهج الحق واضح، ولكن الاعتقاد لمذهب نشأ الإنسان عليه وأدرك عليه آباءه وأهل بلده، مع عدم التنبيه لما هو المطلوب من العباد من هذه الشريعة المطهرة يوقع في التعصب، والمتعصب وإن كان بصره صحيحا فبصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء، يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق غفلة منه وجهلا بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح، وتلقي ما جاء به الكتاب والسنة بالإذعان والتسليم، وما أقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع، فإنه صار بها باب الحق مرتجا، وطريق الإنصاف مستوعرة، والأمر لله سبحانه، والهداية منه" (1).

الشوكاني في تفسيره "فتح القدير" يعالج مسألة رؤية الله بطريقة دقيقة وواضحة، حيث يوضح الموقف الصحيح والمأخوذ من النصوص القرآنية والسنة النبوية بشأن هذه المسألة الحساسة.

وعندما واجه بعض المفسرين الذين تجاوزوا الحدود في تفسيرهم لمسألة رؤية الله، انتقده بشدة ووضح أن هذا الفهم لا يتفق مع ما ثبت في القرآن والسنة، وبالتالي يجب التوضيح والتصحيح للفهم الصحيح، واستخدم الشوكاني الأدلة الشرعية والنصوص القرآنية والحديثية التي تتحدث عن هذا الموضوع ليوضح موقفه ويبين الفهم الصحيح والمعتمد شرعاً في الدين الإسلامي.

كما أكد على أهمية التواضع في التعامل مع مثل هذه القضايا الدينية الحساسة، وعدم الانحراف عن النصوص الشرعية أو إدخال التاويلات التي تفقد الوضوح والصحة الشرعية.

(1) الشوكاني فتح القدير، م 2 / ص 277

ثم إن نقده كان بتوازن ومنطقية، حيث يبرز الأخطاء بشكل مبني على الأدلة الشرعية دون التساهل أو التشهير، وبهذه الطريقة، سعى الشوكاني في تفسيره إلى تصحيح الفهم الديني والتأكيد على الفهم الشرعي الصحيح، وهو ما جعل من تفسيره مرجعاً هاماً في الفقه والتفسير.

ومن أمثلة ذلك أيضاً:

أ- قوله تعالى: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: 6)

هذا النص يتعلق بأحكام الوضوء (الوضوء الشرعي) في الإسلام، قوله تعالى "فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ" يشير إلى أنه يجب مسح رؤوسنا بالماء في الوضوء، وهذا هو الفهم الشرعي المتعارف عليه بين علماء الفقه، ومن الممكن أن يتساءل النقاد حول سبب وجود تعليمة محددة بمسح الرأس بدلاً من غسله كاملاً كما هو حال باقي أجزاء الجسم في الوضوء، وتشير الآية إلى سهولة الأمر وتسهيل الطهارة الدينية للمسلمين.

ويتحقق معنى الآية أيضاً في الطهارة الروحية بالإضافة إلى الطهارة الجسدية، حيث يمكن أن يرمز المسح إلى تنقية الأفكار والقلوب، إذا فإن "فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ" تعبر عن أمر شرعي محدد في الإسلام يتعلق بالوضوء، وهو أمر يتمتع بتفسيرات دينية ونقدية وروحية متعددة تعبر عن عمق الفهم الإسلامي للنظافة الشخصية والروحية.

وقد ورد عن المفسرين في الآية أقوال متعددة منها:

لقد أشار المفسرون إلى اختلاف الآراء حول كيفية مسح الرأس في قوله تعالى: "فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ" (المائدة: 6).

و ابن كثير، في تفسيره، ذكر مجموعة من الأدلة والآراء التي تفسر هذه الآية. إليك ملخص لأهم هذه الأقوال:

وأما قول الجمهور: فيكتفى بمسح بعض الرأس، هذا هو الرأي السائد بين فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة، يستندون إلى استخدام حرف "الباء" في الآية، حيث يرون أن الباء للتبويض، فيكفي مسح جزء من الرأس.

و رأي الحنفية: يرون أن مسح ريع الرأس هو الحد الأدنى الواجب، يستدلون بأحاديث نبوية توضح أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح مقدمة رأسه.

و رأي الظاهرية: يرون أن مسح كل الرأس واجب، يعتمدون على القراءة الظاهرة للآية ويفسرون أن الأمر يشمل كل الرأس (1).

وقد ناقش الشوكاني هذه الآراء، مع تقديم أدلتهم من الأحاديث والتفاسير الأخرى. ويشير إلى أن هذه الاختلافات الفقهية تعكس مرونة الفهم في الشريعة الإسلامية وتعدد الاجتهادات المقبولة.

قال ابن كثير: ان وجوب مسح الرأس يجزئ؛ لأنه دل على إطلاق المسح واستدلال الفريقين بحديث المغيرة بن شعبة، قول ابن كثير بشأن وجوب مسح الرأس يجوز؛ لأنه دل على إطلاق المسح واستدلال الفريقين بحديث المغيرة بن شعبة يشير إلى منهجه في تفسير الأحاديث والأدلة الشرعية، يعود هذا القول إلى الاعتقاد الشائع بين بعض علماء الفقه بأن حديث المغيرة بن شعبة يدل على جواز المسح على الرأس في الوضوء بدلاً من غسله، وهو رأي يتبناه العديد من الفقهاء والمفسرين.

حديث المغيرة بن شعبة (2)، هو أحد الأحاديث التي تبين أن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- كان يسن للمسلمين في الوضوء أن يمسحوا رؤوسهم بدلاً من غسلها في بعض الظروف، الفقهاء يفسرون هذا الحديث ويحددون شروط وجوب المسح على الرأس ومتى يجوز استخدامه.

إذن، قول ابن كثير يعبر عن موافقته لهذا التأويل الفقهي والمسلم به في العلم الشرعي (3).

(1) الزحيلي وهبه بن مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته، ط4، ج1 ص 400

(2) البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الجبة الشامية، م1 رقم الحديث 363،: حَدَّثَنَا يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ مُسْلِمٍ، عَنِ مَسْرُوقٍ، عَنِ مُعِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ: " يَا مُعِيرَةُ، خُذِ الْإِدَاوَةَ ". فَأَخَذْتُهَا، فَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَارَى عَنِّي فَخَضَى حَاجَتَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَامِيَّةٌ، فَذَهَبَ لِيُخْرِجَ يَدَهُ مِنْ كُمِّهَا فَصَاقَتْ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ أَسْفَلِهَا، فَصَبَّبْتُ عَلَيْهِ، فَتَوَضَّأَ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ ثُمَّ صَلَّى. وهو في مسلم.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير م3 ص 50

قال الشوكاني: "وعلى كل حال فقد ورد في السنة المطهرة ما يفيد أنه يكفي مسح بعض الرأس كما أوضحناه في مؤلفاتنا، فكان هذا دليلاً على المطلوب غير محتمل كاحتمال الآية على فرض أنها محتملة، ولا شك أن من أمر غيره بأن يمسح رأسه كان ممثلاً بفعل ما يصدق عليه مسمى المسح، وليس في لغة العرب ما يقتضي أنه لا بد في مثل هذا الفعل من مسح جميع الرأس" (1).

مما سبق وبعد استعراض الشوكاني لأقوال العلماء قال: "وعلى كل حال فقد ورد في السنة المطهرة ما يفيد أنه يكفي مسح بعض الرأس كما أوضحناه في مؤلفاتنا، يوضح أن السنة النبوية قدمت دليلاً كافياً على أن مسح بعض الرأس يفى بالغرض، وقد ذكر الشوكاني في كلامه أن الأحاديث النبوية تشير بوضوح إلى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يكتفي بمسح جزء من رأسه، وهذا يؤكد أن مسح بعض الرأس يكفي لأداء الوضوء.

وهو في هذا نظر لما قاله المفسرون فوجد أنهم اعتمدوا معنى مسح الرأس من غير نظر لما ثبت سواء باللغة أو بالسنة، والسنة الأصل هنا، وبالتالي، هو ينتقد الرأي الذي يفرض مسح كل الرأس بناءً على أن الأدلة من السنة ولغة العرب تدعم كفاية مسح بعض الرأس، وهو ما يعزز من مرونة الشريعة وتيسيرها على الناس.

ومن أمثله في تقرير المعنى :

المطلب الثاني: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن أمثلة ذلك:

أ- قوله تعالى: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَأُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْأَخْرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة 33)

توضح الآية أن عقاب الذين يعادون الله ورسوله، ويقومون بأعمال عدائية؛ لنشر الفساد والإضرار بالأمن والاستقرار في المجتمع، هي عقوبات شديدة تتنوع بين القتل، والصلب، وقطع الأطراف من خلاف (قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس)، وهذه العقوبات تهدف إلى ردع المجرمين

(1) الشوكاني فتح القدير مرجع سابق م 2 ص 21

وحماية المجتمع من الجرائم والفساد، مما يعكس حرص الشريعة الإسلامية على حفظ النظام والأمان⁽¹⁾.

هي آية مهمة تتعلق بالجزاء على الفتنة والفساد في الأرض، هذه الآية أثارت اختلافاً بين العلماء في أن هذه العقوبات (القتل، الصلب، القطع) تطبق في حالات محددة تتعلق بالفتنة والتمرد الكبير على الأمن العام، ويجب تفسيرها بالتوافق مع الشريعة الإسلامية وقيمها، وبعضهم يرى عزو تطبيق هذه العقوبات إلى الظروف التاريخية التي كانت تمر بها المجتمعات الإسلامية الأولى، ويرى بعضهم أنها قد تكون تطبق في حالات قليلة وخاصة، أما البعض فينظرون إلى أن هذه العقوبات قد تكون قد تغيرت في تطبيقها بمرور الزمن، وتحتاج إلى تأويل يتناسب مع الظروف الحديثة والقيم الإنسانية المتقدمة⁽²⁾.

تعليقاً وباختصار، إن اختلاف العلماء في هذه الآية يعكس تفسيرات متنوعة تعتمد على الفهم الشرعي والتأويل الثقافي والسياق التاريخي والنقد الأخلاقي، وهذا يظهر تعددية الأساليب في تفسير النصوص الدينية وتطبيقها في الحياة العملية.

وقد تناول المفسرون اختلافاتهم حول ما إذا كانت الآية ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (المائدة: 33) تشمل المشرك وغيره، وقد أشار ابن جرير الطبري إلى هذه الأقوال ونكر أدلتهم في تفسيره، فيما يلي ملخص لبعض الآراء التي ذكرها المفسرون:

شمول الآية للمشركين فقط: بعض المفسرين يرون أن الآية تخص المشركين فقط؛ لأنهم كانوا الأعداء الرئيسيين للإسلام في فترة النزول، يستند هذا الرأي إلى سياق الآية والحديث عن الجرائم الكبيرة مثل الحرابة والفساد.

شمول الآية للمشركين وغيرهم من المسلمين: رأي آخر يوسع دائرة العقوبة لتشمل كل من يرتكب جرائم الحرابة والفساد، سواء أكانوا مشركين أم مسلمين؛ يعتمد هذا الرأي على التعميم في لفظ الآية، حيث لم تخصص المشركين فقط، بل تحدثت عن "الذين يحاربون الله ورسوله".

قال ابن جرير: "وقلنا: كان نزول ذلك بعد الذي كان من فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعربيين ما فعل، لتظافر الأخبار عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك، وإذا كان

(1) يُنظر: تفسير الطبري جامع البيان، ج 23/ ص 256.

(2) التيسير في التفسير - أبو حفص النسفي، ج 5/ ص 375.

ذلك أولى بالآية لما وصفنا،فتأويلها: من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل،أنه من قتل نفسا بغير نفس،أو سعى بفساد في الأرض،فكأنما قتل الناس جميعا،ومن أحيها فكأنما أحيأ الناس جميعا،ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون،يقول: الساعون في الأرض بالفساد،وقاتلو النفوس بغير نفس،وغير سعي في الأرض بالفساد حربا لله ولرسوله،فمن فعل ذلك منهم،يا محمد،فإنما جزاؤهم: أن يقتلوا،أو يصلبوا،أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف،أو ينفوا من الأرض"⁽¹⁾.

ابن جرير الطبري في تفسيره ناقش هذه الآراء المختلفة،مستعرضًا الأدلة التي يعتمد عليها كل فريق،فقد أشار إلى أن بعض العلماء يرون أن الآية تشمل كل من يفسد في الأرض؛ بغض النظر عن دينه؛ لأن الهدف هو حماية المجتمع من الجرائم والفساد؛ بينما يرى آخرون أن التركيز على المشركين كان لأنهم كانوا المصدر الرئيس للفساد في ذلك الوقت.

بهذا الشكل،يتبين أن ابن جرير الطبري استعرض وناقش هذه الأقوال المختلفة،موضحًا الأدلة والمبررات لكل منها،مما يعكس تنوع الاجتهادات الفقهية في تفسير النصوص القرآنية.

قال الشوكاني: "والحق أن هذه الآية تعم المشرك وغيره لمن ارتكب ما تضمنته،ولا اعتبار بخصوص السبب،بل الاعتبار بعموم اللفظ"⁽²⁾.

التعميم والتخصيص: هل الآية تعمم العقوبة على جميع المفسدين أم تخصصها بالمشركين؟ تأثير سياق نزول الآية على تفسيرها،فالأحاديث النبوية تدعم كل رأي،وكيفية تفسيرها.

بعد استعراض الشوكاني لاختلاف العلماء في الآية قدم رأيه بأن العبرة بعموم اللفظ،أي أن الآية تتحدث عن جزاء الذين يحاربون الله ورسوله بشكل عام دون ربطها بسبب معين أو حدث محدد.

و هذا التفسير يعكس وجهة نظره في الأصول الفقهية والتأويل الشرعي،حيث يركز على أن الآية تعبر عن عقوبة عامة لأولئك الذين يعتدون على الدين ويسعون في الأرض بفساد،دون تحديد للظروف أو الأسباب المحددة التي يمكن أن تبرر تطبيق هذه العقوبات،كما أنه يتناسب مع منهجية الشوكاني في التفسير،حيث سعى إلى استخلاص العبرة العامة من النصوص القرآنية دون تضيقها إلى حدود محددة تاريخية أو اجتماعية خاصة.

(1) الطبري، جامع البيان، ج 10 ص 252-253

(2) الشوكاني فتح القدير، ج 2 ص 40

ومما سبق يمكن القول بأن هذا النوع من التفسير يفتح المجال لتطبيق النصوص الدينية في مختلف الظروف والزمانيات، ويسمح بتحديث الفهم الديني ليلائم التحديات والقضايا الحديثة التي قد تختلف عن الوضع في العصور السابقة، وفي تحليله، يكون الشوكاني قد وجد أن بعض المفسرين قد استخدموا الاستدلال بالعقوبات الثلاثة في سياقات ذات صلة بالفتنة والتمرد على السلطة الإلهية، مما يؤدي إلى تقييد تفسيرهم للآية إلى حالات معينة تحددها الشريعة الإسلامية وقيمها، وهذا يمثل رأيه هنا نهجاً فقهياً وتفسيرياً يعتمد على عموم اللفظ القرآني، والتأكيد على العقوبة كمفهوم عام دون التركيز على السبب أو السياق الخاص.

المبحث الثاني:

منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب السياق والمناسبات.

بداية: السياق اللغوي يلعب دورًا حاسمًا في تحديد معاني الكلمات أو العبارات، خصوصًا في اللغة العربية التي تتميز بتعدد معاني المفردات بناءً على السياق، وبدون السياق، يصعب أحيانًا تحديد المعنى المقصود. لذلك، فهم السياق يُعتبر مفتاحًا لفهم النصوص، خاصة في الأدب أو النصوص الدينية مثل القرآن الكريم، حيث يرد العديد من الألفاظ ذات الدلالات المتعددة⁽¹⁾

وعلم المناسبات يدرس سبب نزول الآيات القرآنية والسياق الذي نزلت فيها، وكذلك يدرس التعليقات الشرعية على الآيات والأحكام المتعلقة بالنسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وبدأت دراسة المناسبات كجزء من دراسة الأصول القرآنية، حيث كان العلماء يسعون لفهم القرآن بشكل أعمق من خلال معرفة السياقات التي نزلت فيها الآيات، وهذا يساعد على فهم المراد الإلهي وتطبيق الشريعة بشكل صحيح⁽²⁾

فيما تطور علم المناسبات كنتيجة للحاجة إلى فهم أعمق للقرآن وتفسيره، حيث يساهم في توضيح الأحكام والتعليمات التي قد تكون متعلقة بظروف خاصة أو أحداث محددة، كما تأثر بالتراث الإسلامي الغني، حيث كان العلماء يسعون لفهم القرآن وسنن النبي -صلى الله عليه وسلم- وتطبيقها في ظروف متغيرة عبر العصور تم تطوير علم المناسبات في هذه الفترة عن طريق العلماء القرآنيين والمفسرين الذين كتبوا عن أسباب نزول الآيات وتفسيراتها الشرعية المتعلقة بالسياق الذي نزلت فيه الآيات، وقد شهد علم المناسبات توسعًا وازدهارًا في العصور الوسطى، حيث زادت الحاجة إلى فهم القرآن بالنسبة للمسلمين واستخدم علم المناسبات لتفسير الآيات بما يتناسب مع التحديات الجديدة التي تواجه المجتمعات⁽³⁾

أما في عصرنا الحالي، استفاد علم المناسبات من التطورات الفكرية والعلمية، حيث برزت الدراسات النقدية والتحليلية للقرآن والتي تشمل دراسة السياق والتأثيرات الثقافية والاجتماعية على نزول الآيات.

(1) يُنظر: إيهاب سلامة، قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيويه: ص 292

(2) يُنظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: ص 11.

(3) يُنظر: بسمة بنت عبد الله الكنهل، التفسير بالبيان المتصل في القرآن الكريم: ص 54.

أهمية علم المناسبات: يساعد علم المناسبات على فهم أعمق للقرآن الكريم وتطبيقاته الشرعية في مختلف الأوقات والأماكن، ويوضح علم المناسبات الأحكام الشرعية والتعليمات القرآنية بما يتناسب مع السياقات التي نزلت فيها، ويساهم في تفسير الأحاديث النبوية والقرآنية وفهم معانيها العميقة.

وباختصار، فعلم المناسبات هو جزء أساسي من الدراسات القرآنية يساهم في فهم القرآن الكريم وتطبيقاته الشرعية بشكل دقيق ومتوازن، مما يساهم في تطور الفهم الإسلامي وتطبيقه العملي في الحياة اليومية.

بعض المفسرين ربما تجنبوا مناقشة المناسبات لتجنب التعقيدات في التفسير، ولأنهم لم يكونوا يملكون كافة المعلومات الضرورية حول السياقات التاريخية لنزول الآيات. بهذا يظهر أن الزركشي رأى أن علم المناسبات لم يحظ بالاهتمام الكافي من قبل كثير من المفسرين الذين أعطوا الأولوية لجوانب أخرى من علوم التفسير القرآني⁽¹⁾.

تفسير الشوكاني يتميز بمنهج نقدي شامل يناقش جوانب السياق والمناسبات في تفسير القرآن، وإليك بعض النقاط الرئيسية للمنهج النقدي للشوكاني في هذا السياق:

المطلب الأول: رفض علم المناسبات بشكل عام

ومن أمثلة ذلك:

أ- أفراد علم المناسبات بالتأليف والتصنيف مما أدى إلى التكلف بدون فائدة.

ونقل ابن عطية في توجيه آية (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) (النساء 3) - عن ابن عباس وابن جبير وغيرهما قال: " إن العرب كانت تتحرَّج في أموال اليتامى، وتتحرَّج في العدل بين النساء، كانوا يتزوجون العشر وأكثر، فنزلت الآية في ذلك، أي كما تخافون ألا تقسطوا في اليتامى، فكذلك تحرَّجوا في النساء، وانكحوا على هذا الحدِّ الذي يبعد الجور عنه"⁽²⁾.

(1) يُنظر: الزركشي البرهان، ج1/ ص 36

(2) ابن عطية، تفسير الكتاب العزيز، ج2/ ص 7 .

وابن عطية يؤكد فيما نقله عن ابن عباس كما كان العرب يتخرجون من عدم العدل في أموال اليتامى ويخشون الوقوع في الظلم، فإن الآية توجههم إلى ضرورة تحري العدل كذلك في الزواج من النساء .

الفكرة هنا هي الربط بين العدل في الأمور المالية والعدل في العلاقات الشخصية، وكلاهما يتطلب التزاماً قوياً بالعدالة، والعرب كانوا يتزوجون العشر وأكثر دون مراعاة للعدل بينهما، فالآية جاءت لتحديد العدد بما يضمن العدل ويقلل من احتمالية الجور، بحيث يكون للرجل أن يتزوج باثنتين أو ثلاث أو أربع، بشرط أن يعدل بينهما.

و الشوكاني كان من بين العلماء الذين أبدوا تحفظاً كبيراً تجاه علم المناسبات ويعتقد أن الاهتمام بنزول القرآن وترتيبه والبحث في التاريخية لنزول الآيات قد يؤدي إلى تعقيدات في فهم القرآن وتأويله.

يقول ابن عاشور في حديثه مؤيداً لرأي الشوكاني : "كَانَ حَقًّا عَلَى الْمُفَسِّرِ أَنْ يَتَطَلَّبَ مُنَاسَبَاتٍ لِمَوَاقِعِ الْآيَاتِ مَا وَجَدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً مُوَصِلاً، وَإِلَّا فَلْيُعْرِضْ عَنْهُ وَلَا يَكُونِ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ" (1)

وتعليقاً على ما سبق فإن ابن عاشور يحذر من أن يقع المفسر في التكلف والتصنع إذا لم يجد روابط واضحة بين الآيات، ويشدد على أن المفسر يجب أن يكون صادقاً وأميناً في تفسيره، وألا يحاول اختلاق مناسبات غير موجودة بشكل واضح ومقنع، وهذا التوجيه يساعد على تحقيق التوازن في تفسير القرآن، حيث يتم البحث عن الروابط والمناسبات دون الوقوع في التفسيرات المتكلفة وغير المستندة إلى دلائل واضحة، يحافظ على نزاهة وصدق التفسير القرآني، حيث يتم تقديم الفهم الصحيح والمستند إلى الأدلة والنصوص دون تصنع أو مبالغات، إذا فكلام ابن عاشور يعكس نهجاً معتدلاً ومتوازناً في علم المناسبات، يؤكد على أهمية البحث عن الروابط البلاغية والمعنوية بين الآيات، لكنه يحذر من التكلف والابتعاد عن التصنع في التفسير، هذا النهج يعزز الفهم العميق للنصوص القرآنية ويحافظ على نزاهة التفسير.

قال الشوكاني: "اعلم أن كثيرا من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد، التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل

الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: دار التونسية للنشر 1984م، ج1، ص81

المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف⁽¹⁾.

و الشوكاني يرى أن بعض المفسرين اجتهدوا في إيجاد المناسبات بين الآيات بشكل متكلف وتعسفي، مما أوقعهم في تفسيرات لا تستند إلى أسس قوية أو دلائل واضحة، يصف هذه المحاولات بأنها تتبرأ منها روح الإنصاف وتتعارض مع بلاغة القرآن الكريم، كما أنهم أضاعوا أوقاتهم في مجال لا يعود عليهم بفائدة حقيقية، والانشغال بالمناسبات بشكل مبالغ فيه يجعلهم يغفلون عن المقاصد الأساسية للقرآن ومعانيه الجوهرية، وأن هذه الطريقة المتكلفة هو نوع من التكلم بالرأي المنهي عنه في تفسير القرآن، ويرى أن هذا النهج يبتعد عن الهدف الحقيقي من التفسير، وهو فهم معاني القرآن وتدبرها بعمق وصدق، ويدعو إلى الاعتدال والتوازن في تفسير القرآن، بحيث يتم البحث عن المناسبات عند وجود دلائل واضحة دون الوقوع في التكلف أو التعسف.

ومن هذا المنطلق يوجه نقداً لاذعاً لبعض المفسرين الذين انشغلوا بالمناسبات بين الآيات بشكل متكلف وتعسفي، مشدداً على أن هذا النهج يضيع الوقت ويبعد عن المقاصد الحقيقية للقرآن.

يدعو الشوكاني إلى اتباع منهج متوازن وموضوعي في تفسير القرآن، يستند إلى الأدلة القوية ويبتعد عن التكلم بالرأي المنهي عنه.

المطلب الثاني: القرآن بترتيبه الحالي هو كما أنزل على النبي -صلى الله عليه

وسلم- وأن الترتيب توقيفي من عند الله.

ترتيب القرآن الكريم كما هو موجود بين أيدينا اليوم يُعد توقيفياً من عند الله، بمعنى أنه تم بوحي وإرشاد من الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- هذا يعني أن ترتيب الآيات والسور هو جزء من الوحي ولا يعتمد على اجتهاد الصحابة أو غيرهم، ورد في الأحاديث النبوية التي تشير إلى كيفية نزول القرآن وترتيبه، مثل حديث جبريل -عليه السلام- الذي كان

(1) الشوكاني فتح القدير مرجع سابق م 1ص 85- 86

يعارض النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن في كل عام مرة، وفي العام الذي توفي فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- عرضه عليه مرتين⁽¹⁾.

الشوكاني يؤمن بأن القرآن نزل بتوجيه من الله بترتيبه الحالي، وأن أمر الصحابة في تجميع القرآن كان بتوجيه وإرشاد من النبي -صلى الله عليه وسلم- وبالتالي لا يصح التشكيك في ترتيبه، بينما أشاد بجهود الصحابة في جمع القرآن، كان يعارض الاجتهاد في تغيير ترتيب الآيات، مؤكداً على أن الترتيب الحالي هو بتوجيه إلهي وله حكمته، أما أحد المعاصرين فيقول في بحثه الذي نشر في مجلة علمية "استشكالات الشوكاني على علم المناسبات قال: "قوله بأن القرآن نزل مفرداً، وأنه لم يرتب على ترتيب النزول كلام صحيح، ولكنه رتب عليه نتيجة خاطئة يقصد إنكار علم المناسبات وأما تشكيكه بهذا العلم بأن ترتيب القرآن كان باجتهاد من الصحابة نرد عليه بأن الصحيح أنه كان بتوقيف من الوحي وليس باجتهاد من الصحابة"⁽²⁾.

في هذا السياق، يتناول عطا انتقادات الشوكاني بشأن علم المناسبات والردود عليها. يُشير إلى أن الشوكاني قد أنكر علم المناسبات بناءً على فرضية أن ترتيب القرآن كان اجتهاداً من الصحابة وليس توفيقاً من الوحي.

قال الشوكاني: "بل يكفي المقصر أن يعلم أن أول ما نزل اقرأ باسم ربك الذي خلق وبعده يا أيها المدثر يا أيها المزمل وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المصحف؟ وإذا كان الأمر هكذا، فأى معنى لطلب المناسب بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخراً، وتأخر ما أنزله الله متقدماً، فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن، بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدى لذلك من الصحابة، وما أقل نفع مثل هذا وأنزر

(1) البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي م: 6 ص 186 رقم

الحديث: 2044

الحديث حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ، وَكَانَ يَعْكَفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا فَأَعْتَكَفَ عَشْرِينَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ.

(2) أحمد عطا عمر، استشكالات الشوكاني على علم المناسبات عرض وتقد، مجلة جامعة الشارقة، العدد 2،

المجلد 17 2020م

ثمرته، وأحقر فائدته، بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضييع الأوقات، وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن الشوكاني يوجه نقدًا لاذعًا لفكرة علم المناسبات بناءً على ترتيب النزول، معتبراً أن الترتيب الذي يتبعه المصحف قد لا يتوافق مع الترتيب التاريخي لنزول الآيات، بناءً على ذلك، يرى الشوكاني أن البحث عن المناسبات بناءً على ترتيب النزول هو نوع من التكلفة الذي يضيع الوقت دون أن يضيف قيمة حقيقية للتفسير أو لفهم النصوص القرآنية، يشدد الشوكاني على أهمية التركيز على الفائدة العملية لتفسير القرآن بدلاً من الانشغال بالبحث عن مناسبات قد لا تكون ذات نفع.

المطلب الثالث: التوازن في تطبيق المناسبات بالنص .

قال تعالى: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (النساء 34)

هذه الآية تتعلق بمسألة الضرب في حالات معينة من النساء، تم تفسير هذه الآية بشكل متنوع على مر العصور، وتعرضت للنقد بسبب استخدامها في سياق الحياة اليومية الذي قد يختلف عن الزمن الذي نزلت فيه الآية، والكثير من الفقهاء والمفسرين يؤكدون على أنها تنطبق في حالات معينة من العصور القديمة وتحتاج إلى فهم محدث يتناسب مع الزمان الحاضر، وسورة النساء تتناول العديد من القضايا المتعلقة بالأسرة والحقوق والواجبات، بما في ذلك حقوق المرأة، وتوضيح معايير العدل في التعامل بين الزوجين، والآية تأتي في سياق الحديث عن حقوق وواجبات الزوجين، خاصة في التعامل مع حالات النزاع بين الزوجين⁽²⁾.

قال ابن كثير: "إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران، فلکم أن تضربوهن ضرباً غير مبرح، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال في حجة الوداع:

(1) يُنظر: فتح القدير الشوكاني ص 56

(2) يُنظر: أبو بكر بن محمد فوزي، الحكم من المعاملات والمواثيق والنكاح والأطعمة في آيات القرآن الكريم رسالة: ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - قسم التفسير إشراف: د عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي، العام الجامعي: ١٤٢٧ - ١٤٢٨ هـ، ص 104.

"واتقوا الله في النساء، فإنهن عندكم عوان، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف"⁽¹⁾.

قال الشوكاني: "ضرباً غير مبرح، وظاهر النظم القرآني أنه يجوز للزوج أن يفعل جميع هذه الأمور عند مخافة النشوز"⁽²⁾.

استعرض الشوكاني في تفسيره لقوله تعالى "فَاضْرِبُوهُنَّ" (النساء: 34)، أقوال بعض العلماء بخصوص حكم الضرب في الزوجات عند النشوز.

والشوكاني يرى أن بعض العلماء يرون أن الضرب الذي يسمح به القرآن هو الضرب غير المبرح، وأنه يجب أن يكون بحدود وضوابط معينة تحفظ حقوق الزوجة وتجنب الإفراط في العقاب، والمفهوم الرئيسي الذي يبرزه الشوكاني هو أن السياق ودلالة الآية تشير إلى حق الزوج في استخدام الضرب كأداة لتأديب الزوجة في حالات معينة من النشوز، يعني ذلك أن الضرب المسموح به في هذا السياق لا يجب أن يكون مبرحاً أو مفرطاً، بل يجب أن يكون بشكل معقول ومحدود وفقاً لمقاصد شريعة الإسلام والعدل الاجتماعي.

كما تُعتبر وجهة نظره هنا هذه نقطة محورية في تفسيره، حيث يحاول أن يوفق بين النص القرآني والقيم الإنسانية والاجتماعية المتطورة، كما يسعى لإيجاد فهم متوازن ومنطقي لهذه الآية، يحفظ فيه حقوق الأفراد ويمنع من أي تفسير يؤدي إلى سوء استخدام النص الديني لإيذاء الآخرين، وذلك من خلال النقد البناء والتحليل الدقيق لمواقف العلماء السابقين.

ومن أمثلة تقرير المناسبة المتزنة

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج 2 ص 295

(2) الشوكاني، فتح القدير: 1، ص 532

المطلب الرابع: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

أ- قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة 38)

تفسير المناسبة في آية السارق والسارقة (المائدة: 38): يعتبر قطع الأيدي عقوبة جسدية صارمة ومثار جدل في العصر الحديث، حيث يتساءل البعض عن كيفية تطبيقها في ظل تطور القوانين والأنظمة القضائية التي تهدف إلى حماية حقوق الإنسان والكرامة الإنسانية، كما يجب فهم الآية في سياقها التاريخي، حيث كانت تتناول الآية الجرائم الجنائية في مجتمعات عربية قديمة تواجه تحديات أمنية خاصة، مما دعا إلى اتخاذ إجراءات قاسية لمنع الجرائم وضمان الأمن العام.

و يختلف تفسير الآية بين الفقهاء حول كيفية تطبيق العقوبة وشروطها، وهل هي متعلقة بظروف معينة تقتصر على زمان النزول أم أنها تعبر عن مبدأ عام ينطبق على جميع الأوقات والأماكن، والآية تعكس السياق التشريعي في القرآن الكريم لتوضيح العقوبات الشرعية وكيفية تطبيقها في المجتمع للحفاظ على النظام والعدالة. تأتي الآية كجزء من سلسلة من الآيات التي توضح الأحكام الشرعية المتعلقة بالعقوبات لضمان تحقيق الأمن والردع العام.

ويشير ابن كثير في تفسيره للآية أنها جاءت في سياق تشريعات الحدود والعقوبات في الإسلام التي تهدف إلى حماية المجتمع وردع المجرمين، ويشير إلى أن الحكم بقطع اليد هو من باب العقوبات الرادعة التي تساهم في تحقيق الأمن والعدالة.

كما يفسر (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ) بأنهما يشملان كل من ثبتت عليه جريمة السرقة، ذكراً كان أو أنثى، ووجوب قطع اليد اليمنى على من ثبتت عليه السرقة بقيمة ربع دينار فما فوق⁽¹⁾.

كما أشار إلى ذلك ابن جرير إلى أن هذه الآية ضمن مجموعة من الآيات التي تبين الحدود والعقوبات التي شرعها الله لحماية المجتمع، ويذكر أن القطع هو عقوبة رادعة لمن يرتكب جريمة السرقة، ويشرح أن كلمة "نكالاً" تعني عقوبة شديدة تردع الآخرين عن ارتكاب نفس الجريمة، ويرى أن الحكمة من هذا الحكم هي تحقيق الردع والحفاظ على الأمن في المجتمع⁽²⁾.

(1) ابن كثير مرجع سابق م/1 ص 524

(2) يُنظر: ابن جرير جامع البيان م/10 ص 294

الهدف هو تحقيق الردع والعدالة، والتأكيد على أن العقوبات الشرعية تأتي من الله وتحقق حكمة إلهية في الحفاظ على حقوق الناس والمجتمع.

قال الشوكاني في قوله تعالى : (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ...) السياق يفيد أن المراد بالظلم هنا السرقة أي فمن تاب من بعد سرقة وأصلح أمره فإن الله يتوب عليه ولكن اللفظ عام فيشمل السارق وغيره من المذنبين، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد استدل بهذا عطاء وجماعة على أن القطع يسقط بالتوبة، وليس هذا الاستدلال بصحيح، لأن هذه الجملة الشرطية لا تقيد إلا مجرد قبول التوبة، وإن الله يتوب على من تاب، وليس فيها ما يفيد أنه لا قطع على التائب، وقد كان في " زمن النبوة يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم من وجب عليه حد" (1).

عطاء وجماعة استدلوا بأن التوبة تسقط حد القطع، بناءً على هذه الآية.

الشوكاني ينقد هذا الاستدلال، موضحاً أن الآية تتحدث عن قبول التوبة من الله، وليس عن إسقاط الحد الشرعي، فهو يفرق بين قبول التوبة عند الله وتنفيذ الحد الشرعي في الدنيا، ويشير أيضاً إلى أن اللفظ {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ} (المائدة: 39)، هو لفظ عام يشمل كل من ارتكب ظلماً وتاب، وليس محصوراً فقط في السارق.

ومما سبق يمكن القول أن السياق يفيد أن الحديث هنا يتعلق بالسارق تحديداً، ولكنه لا يستثني بقية المذنبين من مبدأ قبول التوبة، فالشوكاني يعزز فهماً متوازناً لتطبيق الشريعة، حيث يقبل الله توبة العبد من الذنب، بينما تستمر تطبيق الحدود الشرعية لضمان تحقيق العدالة والردع في المجتمع، كما يتميز بأسلوبه العلمي والبناء في نقده لأراء المفسرين وعلماء الدين في علم المناسبات، ونقده يعكس تعليماً وتوجيهاً للأجيال القادمة بشأن كيفية التفكير والتأمل في القرآن الكريم وتفسيره، وإليك بعض النقاط التي توضح طبيعة نقده:

- غالباً ما تكون ملاحظاته وتعليقاته نقداً بناءً، يهدف إلى توجيه المفسرين وتصحيح فهمهم للنص القرآني.

- كان يحاول تفسير الآيات بما يتوافق مع الأدلة والسياقات القرآنية بشكل أكثر دقة.

(1) الشوكاني، فتح القدير: ج 2، ص 46

- تعد مرجعًا للدارسين والباحثين في علوم القرآن، حيث كان يسعى إلى توجيه الأجيال القادمة في كيفية التعامل مع التفسيرات القرآنية بأسلوب علمي ومنهجي.
- يحاول توضيح المفاهيم الشرعية والقرآنية بشكل يجعلها مفهومة ومناسبة للزمان والمكان، دون إساءة إلى أعلام الدين السابقين ولكن بما يعزز من الفهم الصحيح والتطبيق السليم للقرآن.
- رغم نقده إلا أنه كان يحترم الآراء والمجهودات السابقة لعلماء الدين والمفسرين، ولكنه كان يسعى إلى تحسين وتوضيح فهمها بناءً على المناهج العلمية والمنطقية.
- بهذه الطريقة، يمكن اعتبار نقد الشوكاني في علم المناسبات كجزء من تطوير الفهم القرآني والتفسيري، وكذلك كأداة لتعليم الأجيال القادمة كيفية التفكير والبحث في علوم القرآن بطريقة علمية مستنيرة ومنهجية.

المبحث الثالث:

منهج الشوكاني في الاتجاهات التفسيرية المنحرفة.

الاتجاهات التفسيرية المنحرفة تشير إلى الطرق التي يتم بها تفسير النصوص القرآنية بشكل يخالف المنهج العلمي والشرعي الصحيح، وتتضمن عدة أشكال من التحريف أو التفسير الخاطئ، ويتمثل في فرض وجهات النظر الشخصية أو الرأي الشخصي على النصوص القرآنية بدلاً من الاعتماد على الأدلة الشرعية والمنهج العلمي، هذا النوع من التفسير يجعل المفسر يبتعد عن فهم القرآن بما أنزل به، ويجعله يفسره بما يتناسب مع آرائه الخاصة أو أهوائه، وقد أشار الذهبي إلى ذلك قائلاً: "وهناك غير هذه الآثار آثار أخرى ظهرت في الاتجاه التفسيري في هذا العصر الحديث، نشأت عن عوامل مختلفة، أهمها: التوسع العلمي، والتأثر بالمذهب والعقيدة، والإلحاد الذي قام على حرية الرأي الفاسد"⁽¹⁾.

ويعتمد هذا النوع من التفسير على إسقاط معاني القرآن على الفلسفات اللادينية أو العلمانية، مما يؤدي إلى تشويه فهم النصوص القرآنية وإضفاء معان غير موجودة في النص الأصلي، كما يستعمل القرآن في هذا النوع من التفسير لدعم أجنداث سياسية معينة أو لتبرير أفعال سياسية محددة، مما يؤدي إلى تشويه الفهم الشرعي للنصوص وإساءة استخدام القرآن في سياقات سياسية، وتتمثل في تفسير القرآن بما يتناسب مع أفكار متطرفة أو تكفيرية، حيث يتم استخدام النصوص القرآنية لتبرير أفعال عنفية أو تطرفية بدليل على استخدام النصوص بشكل مفرط دون مراعاة لسياقها وشرعيتها⁽²⁾.

ويرى الباحث أن تلك الاتجاهات التفسيرية تشكل خطراً على الفهم الصحيح للقرآن الكريم، وقد تؤدي إلى انتشار الفهم الخاطئ والتفسيرات الملتوية التي لا تتوافق مع روح ومقاصد القرآن، ومن الضروري الحذر من هذه الاتجاهات والتأكد من اتباع المنهج العلمي الصحيح في التفسير القرآني.

(1) الذهبي محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، 1398، مكتبة وهبة القاهرة ج2 ص 364

(2) يُنظر: الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ، ص 207.

وتعتبر الآيات التي تم تفسيرها بالاتجاهات المنحرفة مثلاً على كيفية استخدام القرآن الكريم بشكل غير صحيح أو تأويله بطرق لا تتوافق مع المنهج الشرعي السليم، ومن معالم الشوكاني لكشف الاتجاهات التفسيرية المنحرفة:

استخدام النصوص لتبرير أعمال العنف والتطرف ومن أمثلة ذلك:

أ- قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرَّمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة 5)

تفسير هذه الآية بمعنى الدعوة إلى قتل غير المسلمين بشكل عام، دون النظر إلى السياق التاريخي والشرعي لنزول الآية والظروف التي كانت تحيط بها، وهي تتحدث عن فترة معينة وهي بعد انقضاء الأشهر الحرم، وتشير إلى المشركين الذين نقضوا العهد، والآية نفسها تفتح باب التوبة للمشركين، وقد أشار الفخر الرازي إلى ذلك التفسير قائلاً: "وذلك أمر بقتلهم على الإطلاق، في أي وقت، وأي مكان" (1).

ويقول ابن كثير: "إن الأمر بقتال المشركين يأتي مع شرط هام، وهو أن المشركين الذين يرغبون في التوبة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، يجب أن يُتركوا ولا يتعرضوا لأي أذى، هذا يشير إلى أن الهدف النهائي ليس القتال من أجل القتال، بل هو تحقيق السلام والدعوة إلى الله" (2).

والشرط المراد هنا تحقيقه متعلق بأولئك الذين لا يلتزمون بالتوبة والهداية، وبمجرد أن يتوبوا وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، يجب أن يُتركوا.

أشار الشوكاني بعد تبيينه أن قتل المشركين يستثنى منه العاجز والصبي، إلى أن هذا الأمر يجب أن يكون بموافقة شرعية وفق السياق الشرعي والقوانين المحلية المعتمدة في الإسلام" (3).

ومن الجدير بالملاحظة أن الشوكاني يؤكد أن تنفيذ الأمر بقتل المشركين يجب أن يكون ضمن السياق الشرعي والقوانين المحلية المعتمدة في الإسلام، هذا يعني أن القتال يجب أن يكون منظماً ومشروعاً، وليس تصرفاً فردياً أو عشوائياً، يتطلب هذا موافقة من السلطات الشرعية والتزاماً

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 15 / ص 528.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4 / ص 113

(3) الشوكاني فتح القدير، ج 2 / ص 358

بالقوانين المحددة، وأن الإسلام يراعي العدالة والإنسانية في كل أوامره، وأن القتال ليس الهدف منه الفوضى أو العنف العشوائي، بل له ضوابط وشروط صارمة، من خلال تحديد الشروط والضوابط، يسعى الشوكاني إلى منع الفهم الخاطئ أو التفسير المنحرف للآية، والذي قد يؤدي إلى أعمال عنف غير مبررة وغير منظمة ومنع الأفراد أو الجماعات من التصرف بناءً على تفسيراتهم الخاصة، مما قد يؤدي إلى الفوضى والعنف غير المشروع، وأن الأوامر القرآنية تأتي في سياق منظم ومحدد يحافظ على الإنسانية والنظام كما يهدف من نقده إلى توضيح الضوابط والشروط التي يجب أن تُراعى عند تنفيذ الأمر بالقتال، وتأكيد أن الإسلام دين العدل والرحمة.

ب- قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوُّمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ۗ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (النساء 34)

هذه الآية تعني القيادة والرعاية، وأن الرجال مسؤولون عن النساء من حيث القيادة والرعاية بسبب تفضيل الله لبعضهم على بعض، وبسبب ما ينفقونه من أموالهم في النفقة على الأسرة، والتفضيل هنا لا يعني التفوق المطلق للرجل على المرأة، بل إشارة إلى توزيع الأدوار والمسؤوليات وفق الحكمة الإلهية، حيث منح الرجل قدرة جسدية واجتماعية تمكنه من أداء بعض الأدوار، وتنظيم العلاقة بين الزوجين في إطار الأسرة المسلمة، حيث يتم تحديد مسؤوليات وحقوق كل طرف، ويُشدد على التعامل بالحكمة والرحمة، مع وجود ضوابط صارمة لمنع التعسف والظلم⁽¹⁾.

وتعليقاً على ما سبق فإن ذلك عند أصحاب التفسير المنحرف، فهي تبرر الهيمنة الذكورية والاستبداد على المرأة، دون أن تأخذ بعين الاعتبار الروحانية والعدل الذي دعا إليه الإسلام في معاملة النساء، وقد أشار إلى ذلك الزمخشري: بأن هناك اختلافات بين المفسرين حول تفاصيل بعض الأحكام، والبعض يرى أن التفضيل في القوامة متعلق بالجوانب الجسدية والنفسية التي تؤهل الرجال للقيادة، بينما يرى آخرون أن ذلك يشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية أيضاً.

(1) يُنظر: تفسير القرطبي، 123/14.

كما يختلف المفسرون في تفسيرهم لكيفية الضرب وحدوده، حيث يشدد على أن يكون الضرب غير مبرح وغير مؤذٍ، وأنه يجب أن يتم في إطار منضبط وشرعي⁽¹⁾.

قال الشوكاني: "هذه الجملة مستأنفة، مشتملة على بيان العلة التي استحق بها الرجال الزيادة، كأنه قيل: كيف استحق الرجال ما استحقوا مما لم تشاركهم فيه النساء؟ فقال: الرجال قوامون إلخ، والمراد: أنهم يقومون بالذنب عنهن، كما تقوم الحكام والأمراء بالذنب عن الرعية، وهم أيضا: يقومون بما يحتجن إليه من النفقة، والكسوة، والمسكن، وجاء بصيغة المبالغة في قوله: قوامون ليدل: على أصالتهم في هذا الأمر"⁽²⁾.

الشوكاني في تفسيره "فتح القدير" قد أشار إلى أن بعض المفسرين قد أسروا إلى فهم غير صحيح لقوله تعالى في سورة النساء (الآية 34): "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ".

فهو قد انتقد بشدة هذا التفسير الذي ينحاز إلى فضل الرجال على النساء بصورة تفاقم الهيمنة الذكورية، دون أن يراعي التوازن والعدل الذي دعا إليه الإسلام، وقد أوضح الشوكاني أن فضل الرجال على النساء ليس في الهيمنة والسيطرة، بل في بعض الأمور الشرعية والمسؤوليات التي قد تكون مختلفة بناءً على القدرات الطبيعية والمسؤوليات المكلف بها الرجال في الأسرة، وأكد أن هذا التفسير المنحرف يخرج عن العدل والمنهج الشرعي الصحيح، الذي يؤكد على المساواة الأساسية بين الرجل والمرأة أمام الله وفي الحقوق والواجبات. فالإسلام يعلم بالتوازن والعدل بين الجنسين، ويحث على التعاون والتفاهم بين الزوجين دون تفضيل طرف على آخر إلا فيما يختص به طبيعة كل منهما.

وبالتالي، فإن يعكس انتقاد الشوكاني للتفسيرات المنحرفة يعكس رغبته في استعادة الفهم الصحيح للقرآن الكريم وضبط الفهم الديني بما يتفق مع قيم العدل والمساواة التي تتنادي بها الشريعة الإسلامية.

ومن خلال هذه الأمثلة توضح كيف يمكن أن يتم استخدام القرآن بطرق تشويه فهمه الصحيح، وتفسيره بطرق لا تتوافق مع السياق القرآني الصحيح ومعانيه الشرعية السامية، من المهم

(1) الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف، 538 هـ، دار الكتب العربي، بيروت ط 3 ج 1 ص 505،

(2) الشوكاني فتح القدير مرجع سابق م 1 ص 531

دائمًا الرجوع إلى المفسرين المعتمدين والمنهج العلمي الشرعي لفهم القرآن الكريم بصورة صحيحة ومتوازنة.

الفصل الثالث:

منهج الإمام الشوكاني النقدي في السند والمتن والإجماع

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نقد الشوكاني في جانب السند

المبحث الثاني: نقد الشوكاني في جانب المتن

المبحث الثالث: نقد الشوكاني في باب الإجماع

المبحث الأول:

نقد الشوكاني في جانب السند

الشوكاني في تفسيره "فتح القدير" لم يقتصر على تفسير المتن فقط، بل كان له أيضًا انتقادات ونقد لبعض المفسرين فيما يتعلق بالإسناد والرواية والذين لم يهتموا بالسند الصحيح للأحاديث، مما يؤثر على مصداقية التفسيرات التي يقدمونها.

واستخدامهم الروايات الموضوعة أو غير معروفة المصدر، دون تحقق من صحتها أو سلامتها؛ مما يؤدي إلى تشويش الفهم الشرعي الصحيح.

كما يبحث بعض الأحيان بتحليل الإسناد بشكل نقدي، حيث يبحث في سلامة السند وصحة روايته، ويظهر العيوب إن وجدت، يحرص وعلى دقة اختيار الرواة والمحدثين الذين يستند إليهم المفسرون، وينتقد إذا كان هناك تقصير في هذا الجانب.

بهذه الطرق، كانت انتقادات الشوكاني للمفسرين في الإسناد تتمحور حول الدقة والتحقق في السند والرواية، والحرص على استخدام الأحاديث الصحيحة والمعروفة المصدر، وتجنب الاعتماد على الأحاديث الموضوعة أو غير المعروفة المصدر ومن معالمه في تقرير السند ما يلي:

المطلب الأول: اعتماد الرواية الصحيحة ونقده للضعيفة، ومن أمثلة ذلك:

أ- في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: 3).

الآية تعلن عن اكتمال الدين الإسلامي ونزول الشريعة بشكل كامل، مما يعني أن المسلمين لديهم الآن كل ما يحتاجونه من أحكام وتوجيهات دينية، كما تؤكد الآية على رحمة الله وغفرانه، مما يسمح بالتيسير والتخفيف في حالات الضرورة، مثل حالات الجوع الشديد، بشرط أن يكون الإنسان غير متعمد للإثم، كما أنها تعبر عن إتمام الله لدين الإسلام ورضوانه عليه دينًا للناس، وتعرفنا على رحمة الله التي تشمل الإعفاء من الذنوب في حالات الضرورة القصوى.

وقد أشار إلى ذلك ابن جرير لتفسيره الآية واختلاف العلماء فيها: اختلاف المفسرين في تفسير الآية، ولكنه يعتمد على الرواية الصحيحة التي تشير إلى نزول الآية في يوم عرفة في حجة

الوداع، هذا التفسير يؤكد أن الدين قد اكتمل بجميع أحكامه وشريعته، وأن الله قد أتم نعمته على المؤمنين بإنزال الشريعة الكاملة، ورضي بالإسلام ديناً شاملاً وكاملاً⁽¹⁾.

قال الشوكاني: "المذكور هنا هو يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، هكذا في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب وقيل: إنها نزلت في يوم الحج الأكبر"⁽²⁾.

يشير ذلك إلى الاعتماد على الأحاديث الثابتة في الصحيح، مثل حديث عمر بن الخطاب الذي يروي أن هذه الآية نزلت في يوم الحج الأكبر، وهو يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، وهذا يعني أن الشوكاني يعتمد على هذه الروايات المعروفة في التفسير لتوضيح وقت نزول الآية والسياق المرتبط بها. ومن خلال استخدام هذه الأحاديث الثابتة، يقوم الشوكاني بنقد الآراء الأخرى التي قد تتعارض مع هذا التفسير أو تعتمد على روايات ضعيفة أو متناقضة. بذلك، يسعى إلى تقديم تفسير قوي يستند إلى الأدلة الصحيحة والموثوقة، مما يجعل الاعتماد على الأحاديث الثابتة في الصحيح جزءاً أساسياً من منهجه النقدي في تفسير القرآن الكريم.

ب- في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُتُم نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء 23)

هذه الآية من سورة النساء تُبيِّن قواعد النسب والمحارم في الإسلام كما تحدد من حرم على المؤمنين من النساء، وتشمل الأنساب والأقارب المحرمين للزواج، فحرم على المؤمنين أن يتزوجوا من بعض الأنساب كالأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت، وأمهات الرضاع والأخوات من الرضاع، وأمهات نسائهم.

هذه العلاقات تعد محرمة للزواج بناءً على القواعد الشرعية، كما توضح استثناءات من هذه القواعد، مثل الربائب (النساء اللاتي دخلتم بهن)، وهن النساء اللاتي دخلتم بهن بالزواج ولم يكن

(1) الطبري محمد ابن جرير جامع البيان م 9 ص 519، 518، 520

(2) الشوكاني فتح القدير، م 1 ص 512

هن نساءكم حقيقة، فلا حرج على الزواج بهن، كما أن الآية تسمح بجمع بين الأختين في الزواج إذا لم تكن العلاقة قد سبقت (إلا ما سلف)، أي إلا ما قد سبق زواجه من إحداهن.

وتعليقاً على ما سبق وباختصار، تهدف هذه الآية إلى تحديد الأسس الشرعية للنسب والمحارم في الزواج، وتوضح من يُحرم على المؤمنين من النساء ومن هم مباح للزواج بهم، مع التأكيد على رحمة الله وغفرانه.

وقد أشار ابن كثير في تفسيره مستدلاً للجمهور والخلاف بين العلماء : وقد روي في ذلك خبر غير أن في إسناده نظراً، فنكر هذا الحديث⁽¹⁾ ثم قال: وهذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه، فإن إجماع الحجة على صحة القول به يغني عن الاستشهاد على صحته بغيره⁽²⁾.

قال في الكشاف: "وقد اتفقوا على أن تحريم أمهات النساء مبهم دون تحريم الربايب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى. انتهى⁽³⁾."

قال الشوكاني: "قالوا: ومعنى قوله: وأمهات نسائكم أي: اللاتي دخلتم بهن، وزعموا: أن قيد الدخول راجع إلى الأمهات والربايب جميعاً، رواه خلاس عن علي بن أبي طالب، وروي عن ابن عباس، وجابر، وزيد بن ثابت، وابن الزبير، ومجاهد، قال القرطبي: "ورواية خلاس عن علي لا تقوم بها حجة، ولا تصح روايته عند أهل الحديث"⁽⁴⁾.

فينتقد في هذه الآية الأحاديث التي تروج لقيد الدخول بمعنى الربايب والأمهات جميعاً، ويقدم حججاً تقوي تأكيده على أن هذا التأويل غير صحيح. يعتبر أن الرواية التي ذكرها خلاس عن علي بن أبي طالب ليست حجة قوية، ولا مقبولة لدى أهل الحديث وعلماء السنة، ومن الرواة الذين نقلوا هذا القول أيضاً: ابن عباس، وجابر، وزيد بن ثابت، وابن الزبير، ومجاهد.

(1) البيهقي السنن الكبرى 160/7 الحديث: حدثني به المثنى، حدثنا حبان بن موسى، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده عن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها، دخل بالبنت أو لم يدخل، وإذا تزوج الأم فلم يدخل بها ثم طلقها، فإن شاء تزوج الابنة .

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2 ص 251

(3) الزمخشري، الكشاف، ج 1 ص 495

(4) الشوكاني، فتح القدير، ج 1 ص 511

و إنه يوضح أن التأويل الصحيح يستند إلى القواعد اللغوية والفقهية، وأن القيد في هذه الآية يشمل النساء اللاتي دخلتم بهن بالزواج ولم تصح العلاقة الزوجية الحقيقية، كما أنه ينبغي أن يكون هذا التأويل وفقاً للنصوص الحديثية والفقهية المتعارف عليها.

فبالتالي، الاستدلال بروايات ضعيفة أو مكذوبة في تفسير القرآن، يدعو إلى الاعتماد على أدلة غير صحيحة أو مقبولة لدى أهل العلم، ولفهم النصوص الشرعية بشكل صحيح وموافق للمنهج الإسلامي الصحيح.

ت - في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: 1)

يعتبر معظم المفسرين أن "بسم الله الرحمن الرحيم" هو جزء من القرآن الكريم، وهو يُعد بداية لسور القرآن الكريم، باستثناء سورة التوبة، يستعمل هذا التعبير للتعبير عن البدايات الصالحة والإشارة إلى أن أي نشاط يتم بواسطة الله ويتوفيقه، وتُظهر هذه العبارة اعتماد العبد على الله واستعانتته بنفسه في كل شيء، وأنها تعبر عن الإيمان والتوكل في الحياة اليومية، كما أنها مصدر للبركة والرحمة، حيث يعزز من الروابط الروحية والإيمانية بين الإنسان وربه، وذلك بالنسبة لعماد إذا كانت آية من القرآن الكريم أم بداية فقط، فقد ناقش ذلك الشوكاني وذكر اختلاف أهل العلم⁽¹⁾.

قال الشوكاني: "اختلف أهل العلم هل هي آية مستقلة في أول كل سورة كتبت في أولها؟ أو هي بعض آية من أول كل سورة، أو هي كذلك في الفاتحة فقط دون غيرها، أو أنها ليست بآية في الجميع وإنما كتبت للفصل"⁽²⁾

وقد جزم قراء مكة والكوفة بأنها آية من الفاتحة ومن كل سورة، وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام فلم يجعلوها آية لا من الفاتحة ولا من غيرها من السور، قالوا: وإنما كتبت للفصل والتبرك، كما وقع الخلاف في إثباتها وقع الخلاف في الجهر بها في الصلاة.

وإلى هذا ذهب الخلفاء الأربعة وجماعة من الصحابة وأحاديث الترك وإن كانت أصح ولكن الإثبات أرجح، مع كونه خارجاً من مخرج صحيح، فالأخذ به أولى ولا سيما مع إمكان تأويل الترك، وهذا يقتضي الإثبات⁽³⁾.

(1) ابن عطية، المحرر، ج 5/ص 223.

(2) الشوكاني، فتح القدير، ج 1 ص 20

(3) يُنظر: فتح القدير، الشوكاني، ج 1 ص 20

و الشوكاني هنا في تفسيره يتناول موضوع "بسم الله الرحمن الرحيم" بمنهج نقدي يركز هو وجماعة من الصحابة والخلفاء الأربعة على أهمية بداية السور ب "بسم الله الرحمن الرحيم". هذا يعكس اعتبارهم أن هذا التعبير يعبر عن البداية الصالحة والاعتماد على الله في كل الأمور، كما يشير إلى أن هناك أحاديث تنص على ترك قراءة "بسم الله الرحمن الرحيم" في بداية السور، ويعتبرها ضعيفة من الناحية الحديثية، ومع ذلك، يعتبر الإثبات أرجح وينصح بالاحتياط في الترك والالتزام بقراءة "بسم الله الرحمن الرحيم"، فالترك يمكن تأويله وتفسيره بطرق متعددة، ولكنه يفضل الإثبات لضمان الالتزام بالسنة والقرآن كما أن الأولوية تكون للإثبات فيما يتعلق بقراءة "بسم الله الرحمن الرحيم"، رغم وجود أحاديث توصي بالترك، بسبب القناعة بأنها ممكنة للتأويل والفهم الصحيح.

ومما سبق وبشكل عام، يُعتبر الشوكاني أن استخدام "بسم الله الرحمن الرحيم" في بداية السورة هو أمر مهم ويُعزز من الروحانية والاعتبار بالله في البدايات، وينصح بالإثبات في القراءة بهذا التعبير بناءً على الدليل الأقوى والأرجح من منظوره النقدي والشرعي.

ومن أمثلة نقده للسند :

المطلب الثاني: إذا وجد انقطاع في الإسناد ومن أمثلة ذلك:

في قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ (النساء 43)

المنع من الاقتراب من الصلاة في حال السكر: تنص الآية على منع المسلمين من الاقتراب من الصلاة وهم في حالة سكر حتى يعلموا ما يقولون، كما تنص على المنع من الاقتراب من الصلاة في حال الجنابة: تُمنع الصلاة على الجنب إلا إذا كان عابر سبيل (أي مسافر) حتى يغتسل، وإذا كان المسلم مريضاً أو على سفر، أو جاء من الغائط (أي قضى حاجته) أو لامس النساء (أي جامع)، ولم يجد ماءً، فعليه التيمم بالصعيد الطيب (التراب) بدلاً من الوضوء.

وناقش ذلك ابن جرير فقال: أن بعض المفسرين يرون أن اللمس هنا يعني الجماع. يستدلون بذلك على استخدام اللفظ "لمس" ككناية عن الجماع في اللغة العربية، وأيضًا على سياق الآية الذي يتحدث عن الجنابة والطهارة، مما يجعل من المعقول أن يشير اللمس إلى الجماع.

و الفريق الآخر من المفسرين يرى أن اللمس المذكور في الآية يشير إلى مجرد لمس الجلد باليد، يستند هذا الرأي إلى بعض الأحاديث والآراء الفقهية التي تقتضي الوضوء عند لمس النساء باليد بدون حائل⁽¹⁾.

قال الشوكاني "وأخرجه أحمد، والترمذي، والنسائي من حديث معاذ، قالوا: فأمره بالوضوء؛ لأنه لمس المرأة ولم يجمعها، ولا يخفك أنه لا دلالة بهذا الحديث على محل النزاع، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما أمره بالوضوء؛ ليأتي بالصلاة التي ذكرها الله سبحانه في هذه الآية، إذ لا صلاة إلا بوضوء، وأيضًا فالحديث منقطع؛ لأنه من رواية ابن أبي ليلي عن معاذ ولم يلقه، وإذا عرفت هذا، فالأصل: البراءة عن هذا الحكم، فلا يثبت إلا بدليل خالص عن الشوائب الموجبة لقصوره عن الحجة"⁽²⁾.

يوضح أن الحديث منقطع، مما يعني أن السند غير متصل، وهذا يضعف قوة الحديث. يذكر أن ابن أبي ليلي رواه عن معاذ بن جبل دون أن يكون قد لقيه، مما يقطع سلسلة الرواة.

كما يدل إلى أن الحديث لا يقدم دليلاً واضحاً على المسألة التي يدور حولها النزاع. فهو يرى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر معاذًا بالوضوء ليس بسبب لمس المرأة، بل؛ لأن الصلاة تحتاج إلى وضوء كما ذكر الله في الآية، وأكد على مبدأ البراءة الأصلية، وهو أن الأصل في الأشياء الإباحة أو البراءة من الأحكام حتى يأتي دليل شرعي ثابت وقاطع يوجب الحكم في حالة هذا الحديث، بسبب ضعفه وانقطاع سنده، لا يمكن استخدامه دليلاً شرعياً قطعياً لإثبات الحكم.

باختصار، فالشوكاني ينقد الحديث من حيث سنده ومن حيث دلالاته، ويؤكد على ضرورة وجود دليل شرعي صحيح وقوي لإثبات الأحكام الشرعية.

(1) الطبري محمد ابن جرير جامع البيان م 8 ص 391 392 393

(2) الشوكاني فتح القدير، م 1 ص 543

المبحث الثاني:

نقد الشوكاني في جانب المتن.

الشوكاني في تفسيره "فتح القدير" قدم العديد من الآراء النقدية للمتن الحديثي، حيث كان يتميز بالدقة والتأنى في التحليل والتفسير، كما يركز الشوكاني على استخدام الأدلة الشرعية الصحيحة في تفسير المتن، مثل القرآن الكريم والسنة النبوية، ويقوم بتحليل النصوص بناءً على هذه الأدلة؛ ليفهم المعاني الحقيقية ويوضح الأحكام الشرعية المتعلقة بها.

والشوكاني ينتقد بشدة التفاسير التي تتجاوز حدود النصوص القرآنية أو الحديثية، ويبرز الأخطاء في التفسير التي قد تكون ناتجة عن التأويلات الخاطئة أو الإسقاطات غير الدقيقة، وحرص كل الحرص على المحافظة على التوازن في التفسير، حيث يتجنب التطرف في الآراء والتأويلات، ويسعى لتوضيح الفهم الشرعي الصحيح والمتوازن، كما يقوم بتفصيل وتحليل النصوص القرآنية والحديثية بشكل دقيق وعميق، حيث يبحث في كل تفصيل وتدقيق لفهم النص واستخلاص الأحكام الشرعية منه، ومن خلال النقد، حيث يسعى إلى تصحيح الأفكار الخاطئة والتفاسير الضالة بناءً على الأدلة والبراهين الشرعية، دون الانجراف إلى النقد العقيم أو العنيف.

وتعليقاً وباختصار، فإن آراء الشوكاني النقدية تتمثل في تفسير دقيق ومنطقي للمتن القرآني والحديثي، مع التأكيد على الاعتماد على الأدلة الشرعية والتوازن في التفسير، والرفض للتفاسير المتطرفة أو المبنية على تأويلات لا داعي لها، هناك عدة آيات قرآنية قد نقدها في تفسيره "فتح القدير" للمفسرين الذين فهموها بطريقة قد تخالف السياق القرآني الحقيقي أو الأدلة الشرعية الصحيحة.

وفيما يلي نسوق بعض الأمثلة على ذلك:

المطلب الأول: تأويل النص القرآني الدقيق ومن أمثله :

قال تعالى: ﴿يَوَاسِّتْهُمْ شَهِيدِينَ مِنْ رِجَالِكُمْ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلٍ﴾ (البقرة 282).

يأمر الله المؤمنين بأن يكتبوا العقود المالية التي تتضمن ديوناً حتى لا يحدث نزاع أو نسيان، يجب أن تكون الشهادة على العقد من رجلين من رجال المسلمين، وإذا لم يتوفر رجلان، فيمكن أن يكون الشهود رجلاً وامرأتين من الذين يرضى بهم الطرفان. السبب في اشتراط امرأتين هو أنه إذا نسيتهما، فإن الأخرى تذكرها، كما تأمر الآية الشهود بعدم الامتناع عن أداء الشهادة إذا ما دُعوا لذلك، وتحتث المؤمنين على كتابة الديون مهما كانت صغيرة أو كبيرة حتى يحين وقت سدادها، كوسيلة لحفظ الحقوق وتنظيم المعاملات المالية بدقة ووضوح، والآية تعزز من أهمية التوثيق والشهادة في المعاملات المالية كوسيلة للحفاظ على حقوق الجميع ولمنع أي نزاع أو خلاف مستقبلي.

قال الشوكاني: "واختلفوا هل يجوز الحكم بشهادة امرأتين مع يمين المدعي كما جاز الحكم برجل مع يمين المدعي؟ فذهب مالك والشافعي إلى أنه يجوز ذلك، لأن الله سبحانه قد جعل المرأتين كالرجل في هذه الآية، وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أنه لا يجوز ذلك، وهذا يرجع إلى الخلاف في الحكم بشاهد مع يمين المدعي، والحق أنه جائز لورود الدليل عليه، وهو زيادة لم يخالف ما في الكتاب العزيز فيتعين قبولها"⁽¹⁾.

في هذا السياق، يقصد الشوكاني بأنه عرض على المفسرين قضية الجواز في الحكم بشهادة امرأتين مع يمين المدعي، على غرار جواز الحكم برجل مع يمين المدعي، وذلك استناداً إلى قوله تعالى في سورة البقرة (الآية 282) التي تناولت كيفية توثيق العهود والمعاملات، وذكرت إمكانية الحكم بشهادتي امرأتين، إذا لم يكن هناك رجلان متاحين، وهذه القضية بالنقاش بين أئمة الفقه، حيث ذهب مالك والشافعي إلى جواز الحكم بشهادة امرأتين مع يمين المدعي بناءً على استنادهم للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعم هذا الرأي.

أما أبو حنيفة وأصحابه فرفضوا ذلك، واعتبروا أنه لا يجوز، مستدلين على خلاف الدليل القرآني الصريح أو الحديث النبوي الموجود.

والشوكاني ينتقد هذه الآراء بناءً على دقة الدليل وتأسيسها في الكتاب والسنة، ويشير إلى أن الرأي الذي يجيز الحكم بشهادة امرأتين مع يمين المدعي يستند إلى الأدلة الشرعية الموجودة، وأن قبول هذا الرأي يعزز من توافقه مع مبادئ العدل والشرعية في الإسلام

(1) الشوكاني، فتح القدير، ج 1 ص 346

أقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾ (النساء 43)

يا أيها الذين آمنوا، لا تقربوا الصلاة وأنتم في حالة سُكر حتى تدرکوا وتفهموا ما تقولون، وكذلك لا تقربوا الصلاة وأنتم في حالة جنابة إلا إذا كنتم في حالة عبور سريع (مثلاً، سفر) حتى تغتسلوا وتطهروا، وإن كنتم مرضى ولا تستطيعون استخدام الماء، أو كنتم على سفر، أو جاء أحد منكم من قضاء الحاجة (الخلاء)، أو لامستم النساء (جامعتم)، ولم تجدوا ماءً للطهارة، فعليكم بالتيمم⁽¹⁾.

التيمم: يكون بالمسح على الوجه واليدين بتراب طاهر، إن الله غفور ورحيم، يعفو عن عباده ويغفر لهم. قال الشوكاني: "والجنب لا سبيل له إلى التيمم بل يغتسل أو يدع الصلاة حتى يجد الماء، وقد روي هذا عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود. قال ابن عبد البر: لم يقل بقولهما في هذه المسألة أحد من فقهاء الأمصار من أهل الرأي، وحملة الآثار. انتهى، وأيضاً: الأحاديث الصحيحة تدفعه وتبطله، كحديث عمار، وعمران بن حصين، وأبي ذر في تيمم الجنب، وقال طائفة: هو الجماع كما في قوله: ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن"⁽²⁾.

ومما سبق يمكن القول أن الشوكاني في هذا السياق يعرض قضية التيمم للجنب، حيث يناقش مسألة إمكانية التيمم للجنب الذي لا يجد ماءً للوضوء، ويشير إلى أن عمر بن الخطاب وابن مسعود روياً هذا الرأي، مما يعني أنهما رأياً أنه لا يجوز التيمم للجنب، بل يجب عليه الاغتسال إذا كان لا يجد ماءً، وهذه الأمثلة توضح كيف قام الشوكاني بنقد بعض التفاسير التقليدية للمفسرين، وحاول إلقاء الضوء على التفسيرات التي تخالف السياق القرآني الحقيقي أو تنطوي على تفاسير غير دقيقة أو غير مدعومة بالأدلة الشرعية الصحيحة.

(1) ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري ت ٣١٩ هـ، كتاب تفسير القرآن، دار النشر: دار المآثر -

المدينة النبوية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م، ج 2/ ص 720.

(2) الشوكاني فتح القدير، م 1 ص 542

المبحث الثالث:

نقد الشوكاني في باب الإجماع.

تمهيد: على عكس القول بالإجماع كدليل فقهي بحد ذاته، أكد الشوكاني على أن الدليل الشرعي المباشر هو الأساس، وأن الإجماع لا يمكن أن يكون حجة إذا لم يكن مدعوماً بدليل قرآني صريح أو حديث صحيح، وأشار إلى أن بعض المسائل التي ظن الناس أنها تقررت بالإجماع، قد تكون محل خلاف أصحاب الفقهاء، وهو ما ينبغي دراسته وتحليله بدقة قبل الاعتماد عليه، كما أكد أن الإجماع يجب أن يكون فعلياً وواضحاً، ولا يمكن الاستدلال بقضية محتملة على الإجماع إلا إذا كان مثبتاً بدقة من خلال أدلة موثوقة وقدم توجيهات للقراء بأن يكونوا حذرين في قبول الإجماعات التي قد تكون مبنية على تفاسير أو فهم خاطئة للنصوص الشرعية.

وبهذه الطرق، قدم الشوكاني نقداً بناءً لمفهوم الإجماع، حيث حث على التأنى في قبول الإجماعات وأهمية البحث عن الدليل الصحيح في كل قضية شرعية وفيما يلي تفصيل ذلك:

المطلب الأول: استدراكه على الإجماع ومن أمثله :

قال تعالى: ﴿وَذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة 196)

هذا الحكم يتعلق بمن لم يكن من سكان مكة أو قريباً منها، أي الذين ليسوا حاضري المسجد الحرام، وهذا يتضمن تفاصيل عن كيفية إتمام الحج أو العمرة إذا لم يكونوا قادرين على إتمامها بالشكل المعتاد، وفي نهاية الآية، تأتي الدعوة إلى تقوى الله والتذكير بأنه شديد العقاب، مما يبرز أهمية اتباع أوامر الله والامتثال لتشريعاته، وبعبارة أخرى، الله يأمر المسلمين الذين ليسوا مقيمين في مكة أو محيطها بضرورة الالتزام بالأحكام المتعلقة بالحج والعمرة، ويحثهم على تقوى الله ومعرفة أن الله شديد العقاب لمن يخالف أوامرهم وقد ناقش ابن جرير ذلك:

قال ابن جرير: "ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بقوله: "ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام"، بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به، وأنه لا متعة لهم"⁽¹⁾.

(1) الطبري جامع البيان ج 3 ص 110

تفسير ابن جرير الطبري للآية ﴿وَذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، يوضح الخلاف بين أهل التأويل حول من تعني هذه العبارة، بعد اتفاقهم على أن سكان الحرم لا تشملهم هذه الأحكام. المعنى الإجمالي الذي يشير إليه ابن جرير يتضمن: إجماع المفسرين: الجميع يتفق على أن سكان مكة أو من كانوا قريبين منها (أهل الحرم) ليسوا مشمولين بأحكام التمتع المذكورة في الآية، وبعبارة أخرى، أهل مكة ليس لهم متعة؛ لأنهم مقيمون بالقرب من المسجد الحرام ولا يحتاجون للتمتع (التمتع بالحج هو أداء العمرة في أشهر الحج، ثم التحلل منها والانتظار حتى يأتي الحج لأداء المناسك)، والخلاف حول الباقيين: هناك اختلاف بين المفسرين حول من يشملهم الحكم بالتحديد من غير سكان مكة، فبعضهم يرى أن الحكم يشمل كل من يعيش بعيداً عن المسجد الحرام، بينما يمكن أن يكون هناك تفسيرات أخرى تتعلق بمسافة معينة أو شروط محددة⁽¹⁾.

وبالتالي، تفسير ابن جرير يسلط الضوء على الاختلافات الدقيقة في التفسير بينما يؤكد على النقطة الأساسية المتفق عليها، وهي أن أهل الحرم ليس لهم متعة في الحج.

قال الشوكاني "والمراد بمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام: من لم يكن ساكناً في الحرم، أو من لم يكن ساكناً في المواقيت فما دونها على الخلاف في ذلك بين الأئمة"⁽²⁾.

ومن الملاحظ أن استدراك الشوكاني على الإجماع هنا يُوضح أن هناك اختلافات في تفسير عبارة "لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام"، فهو يُفسر هذه العبارة ويشير إلى وجود خلاف بين الأئمة في تحديد من هم المقصودون بها، وبذلك، يقدم استدراكاً على الإجماع الذي ذكره ابن جرير الطبري، ويوضح نقطتين رئيسيتين:

من لم يكن ساكناً في الحرم: يعني أن العبارة تشمل كل من لا يقيم داخل حدود الحرم المكي.

من لم يكن ساكناً في المواقيت فما دونها: يعني أن العبارة قد تشمل أيضاً من لا يقيم داخل حدود المواقيت (المواقع المحددة التي يُحرم منها الحجاج)، وما بعدها إلى مكة، هنا يشير إلى وجود خلاف بين الأئمة حول هذه النقطة.

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 2/ ص 230.

(2) الشوكاني، فتح القدير، ج 1 ص 277

ومما سبق وبهذا الاستدراك، يؤكد أن هناك تفصيلات واختلافات في تفسير الفقهاء حول هذه المسألة، مشيرًا إلى أن بعضهم قد يوسع نطاق العبارة؛ ليشمل من يقيم في مناطق معينة بالقرب من مكة، وليس فقط داخل الحرم نفسه.

المطلب الثاني: اعتماده الإجماع القطعي :

ومن أمثله:

أ- قال تعالى: ﴿صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾
(الفاتحة 7)

اهدنا إلى الطريق المستقيم، طريق الذين أنعمت عليهم بالنعم والهداية، وليس طريق الذين نزل عليهم غضبك بسبب كفرهم وفسادهم، ولا طريق الذين ضلوا عن الحق وانحرفوا عنه.

بهذا، فالآية توجه المسلم إلى الدعاء بالهداية للطريق المستقيم، وهو طريق الذين هداهم الله ووقفهم، بعيدًا عن طريق الذين أغضبوا الله بأعمالهم وطريق الذين ضلوا عن هدايته.

قال الشوكاني "قال ابن أبي حاتم: لا أعلم خلافا بين المفسرين في تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى، ويشهد لهذا التفسير النبوي آيات من القرآن، قال الله تعالى في خطابه لبني إسرائيل قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِآَنفُسِهِمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزَّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (البقرة 90)"¹

ب- في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَّةً أَوْ امْرَأَةً وَوَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء 12)

قال القرطبي: "وهذا إجماع. ودلت الآية: على أن الإخوة لأم إذا استكملت بهم المسألة كانوا أقدم من الإخوة لأبوين أو لأب، وذلك في المسألة المسماة بالحمارية، وهي: إذا تركت الميتة زوجا وأما

(1) الشوكاني فتح القدير، ج 1 ص 30

وأخوين لأم وإخوة لأبوين، فإن للزوج النصف وللأم السدس وللأخوين لأم الثلث ولا شيء للإخوة لأبوين⁽¹⁾.

تفسير القرطبي لهذه الآية يشير إلى مسألة خاصة في تقسيم الميراث تسمى "الحمارية"؛ حسب تفسيره، تتعلق هذه المسألة بتوزيع الميراث في حالة معينة إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وأمًا وأخوين لأم وإخوة لأبوين في هذه الحالة، يتم توزيع الميراث كالتالي:

الزوج يأخذ النصف (وفقًا لما ورد في القرآن الكريم في سورة النساء، آية 12: "فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَّةً أَوْ امْرَأَةً وَهِيَ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ...").

الأم تأخذ السدس (كما ورد في سورة النساء، آية 11: "وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ...").

الأخوين لأم يأخذان الثلث (كما ورد في سورة النساء، آية 12: "فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ...").

أما الإخوة لأبوين فلا يأخذون شيئًا في هذه الحالة.

هذه القاعدة الفقهية تستند إلى الإجماع والآيات القرآنية، وتوضح أن الأولوية في هذه الحالة للأخوة لأم على الأخوة لأبوين أو لأب.

قال الشوكاني: "ووجه ذلك أنه قد وجد الشرط الذي يرث عنده الإخوة من الأم وهو كون الميت كلاله، ويؤيد هذا حديث (ألقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر) وهو في الصحيحين وغيرهما"⁽²⁾.

الشوكاني يولي أهمية كبيرة لاستخدام الأدلة لتقوية الإجماع، ويظهر اهتمامه بالأدلة الشرعية أكثر من اهتمامه بالإجماع القطعي وحده.

(1) القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر الجامع لأحكام القرآن ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب

المصرية، القاهرة، ط 2 1384 هـ ج 5 ص 79

(2) الشوكاني فتح القدير ج 1 ص 501

في تفسيره لميراث الإخوة من الأم، يشير إلى أن الشرط الأساسي الذي يجعل الإخوة من الأم يرثون هو كون المتوفى كلاله (أي لا والد له ولا ولد)، وهذا الشرط مستند إلى نصوص شرعية مثل قوله تعالى في سورة النساء، آية 12: {وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ...}.

كما يذكر حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر"، وهو حديث مروي في الصحيحين (صحيح البخاري وصحيح مسلم) وغيرهما، ويعني أن التركة يجب أن توزع أولاً على الورثة الذين لهم نصيب محدد (الفرائض)، ثم ما بقي بعد توزيع الفرائض يُعطى لأقرب رجل من العصابة (الذكر الأقرب).

وبالتالي استخدام هذا الحديث لتوضيح كيفية توزيع الميراث في حالة الكلاله، مما يعزز الفهم للنصوص الشرعية ويقوي الموقف الفقهي بالأدلة، معتمداً على النصوص الشرعية الموثوقة لتفسير وتوضيح كيفية تطبيق القواعد الشرعية في توزيع الميراث.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ثم الحمد لله أن وفقني لإتمام هذا البحث بمنه وكرمه، فبعد أن طوّفت في بستان الشوكاني اليانع الماتع، واستظلت بظلاله الوارفة، وطعمت من ثماره اليانعة؛ لا يسعني القول إلا أنني أمام علم عظيم من أعلام هذه الأمة، وقد خلص البحث إلى عدة نتائج أجمالها بالآتي:

١- منهج الإمام الشوكاني في النقد اللغوي والقراءات:

-الإمام الشوكاني استخدم منهجاً نقدياً دقيقاً في تحليل اللغة والقراءات في تفسيره "فتح القدير". وقد اعتمد على آيات قرآنية متعددة لتوضيح هذا المنهج، مما يبرز تميزه في تناول الجوانب اللغوية في التفسير.

٢- منهج الإمام الشوكاني في نقد السياق والمعاني التفسيرية:

-في هذا الجانب، ركز الشوكاني على استخدام النقد لتوضيح المعاني التفسيرية وتوجيهها نحو فهم أدق للسياق القرآني. وقد استند في ذلك إلى أمثلة متنوعة تبرز مدى دقته وتعمقه في النقد.

٣- منهج الإمام الشوكاني في نقد السند والمتن والإجماع:

-أظهر الشوكاني تميزاً في التعامل مع الروايات والأحاديث من خلال نقد السند والمتن والإجماع. وقد بينت الدراسة كيفية تحقيقه للتوازن بين الالتزام بالنصوص الشرعية وعدم التعصب للرأي الواحد.

٤- شمولية منهج الإمام الشوكاني:

-الدراسة أظهرت شمولية ومرونة منهج الإمام الشوكاني النقدي في التفسير، بحيث يغطي جوانب اللغة، والسياق، والمعاني التفسيرية، والسند والمتن، والإجماع، مما يجعله منهجاً مميزاً وفريداً في تقاسير العلماء.

5- وهذا في مجمله يدل على سعة علم الشوكاني؛ إذ تطرّق إلى كثير من علوم اللغة العربية، واستنبط كثيراً من المسائل التفسيرية واللغوية، وأخذ بأقوال العلماء الآخرين وكتبهم، وتعدّدت موارده، وقد استطاع هذا البحث أن يجمع شتات هذا الموضوع من طيات كتابه، ويثبت الجانب

التفسيريّ عنده، الذي يكشف عن علمه الغزير، فهو قد ترك لنا علمًا واسعًا أفادت منه التفسير اللاحقة.

التوصيات: من أهم التوصيات التي يمكن اقتراحها، كما يلي:

بناء على ماسبق من نتائج هذه الدراسة هناك بعض التوصيات التي لا بد وأن أسلط الضوء عليها لعلها تكون بدايات لدراسات أخرى أو تكون أداة بناء فيها أو يكون فيها إشارة للبيب يتناول منها خيطاً لينسج منه دراسة عريضة رحيبة تحت مظلة الدراسات القرآنية الأصيلة التي لا تنضب منابعه ولا تزال فياضة ببحور المعارف من مسائل وقضايا متجددة على الدوام، ويمكن إجمال هذه التوصيات والمقترحات فيما يلي :

١ -زيادة الدراسة والبحث في منهج الإمام الشوكاني:

-يُوصح الباحثون بالتعمق أكثر في منهج الشوكاني النقدي، وخاصة في جوانب جديدة لم يتم التطرق إليها بعمق في هذه الرسالة، مثل منهجه في التعامل مع الفقهاء الآخرين وتفاعله مع التفسير السابقة.

٢ -مقارنة منهج الإمام الشوكاني مع مناهج مفسرين آخرين:

-يُوصى بإجراء دراسات مقارنة بين منهج الشوكاني ومناهج مفسرين آخرين من نفس الفترة أو من عصور مختلفة، لتبيان الفروق والتشابهات في الأساليب النقدية.

٣ -التركيز على الجانب التعليمي والتطبيقي لمنهج الشوكاني:

-يُوصح بإعداد برامج تعليمية تعتمد على منهج الشوكاني النقدي، لاستخدامها في المدارس والجامعات لنشر المعرفة وتحفيز التفكير النقدي لدى الطلاب.

٤ -الاستفادة من منهج الشوكاني في تفسير القضايا المعاصرة:

-يُوصى بتطبيق المنهج النقدي للإمام الشوكاني في تفسير القضايا المعاصرة، مما يمكن أن يساعد في فهم النصوص الشرعية بشكل أفضل في ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية الحالية.

٥ -تطوير دراسات تخصصية حول تلاميذ الإمام الشوكاني وأثرهم في نشر منهجه النقدي:

-يمكن أن تكون دراسة تأثير تلاميذ الشوكاني ومساهماتهم في نشر وتطوير منهجه النقدي موضوعاً مثمراً للبحث.

و في المنتهى نحمد الله تعالى على عظيم فضله، وكثير نعمائه، وتوفيقه، فما كان من توفيق فمحض فضل من الله وحده، وإن كان من خطأ فمن نفسي وأعوذ بالله من الذلل والخطأ، ثم نصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين .

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	الآية ورقمها	اسم السورة
143	1 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ	سورة الفاتحة
152	7 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ	سورة الفاتحة
33	143 وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ	سورة البقرة
150	196 وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ	سورة البقرة
58	2 ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ُ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ	سورة البقرة
99، 79	255 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ	سورة البقرة
72	176 وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ	سورة آل عمران
49	18 شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ	سورة آل عمران
63	42 وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ	سورة آل عمران
55، 66	3 فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً	سورة النساء
130، 136	34 الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ	سورة النساء
107	48 إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ	سورة النساء
152	12 وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ	سورة النساء
144، 149	43 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى	سورة النساء

73	66 وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ	سورة النساء
113	6 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ	سورة المائدة
85	87 وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ	سورة الحجر
100	97 مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ	سورة النحل
120	23 وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ	سورة الإسراء
88	114 وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ	سورة التوبة
94	2 الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا	سورة النور
59	30 فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا	سورة الروم
123	35 إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ	سورة الأحزاب
140	60 وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ	سورة غافر
133	11 لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	سورة الشورى
125	13 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ	سورة الرحمن
137	46 وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ	سورة الواقعة
131	96 فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ	سورة الحاقة
117	16 أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ	سورة الحديد
112	11 يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ	سورة المجادلة
121	7 مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ	سورة الحشر
145	2 الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ	سورة الملك
110	20 إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ	سورة المزمل
118	9 إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ	سورة الإنسان
135	18 يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا	سورة الحاقة
141	1 إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ	سورة التكويد
116	4 إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ	سورة الطارق

146	27 يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ	سورة الفجر
148	10 وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ	سورة البلد
149	11 وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ	سورة الضحى
150	3 إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	سورة العصر
151	1 أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ	سورة الفيل
153	1 قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ	سورة الإخلاص
154	1 قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ	سورة الناس

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	النص	رقم
99	إذا سألتم الله الجنة فاسألوه	1
154	ألحقوا الفرائض بأهلها	2
40	حديث عن أنس بن مالك	3
47	أنبأنا معمر: قال عبد الرزاق	4
22، 59	لا يبلغ العبد أن يكون	5
71	المسلم أخو المسلم	6
88	إنما الأعمال بالنيات	7
95	من غشنا فليس منا	8
120	الدين النصيحة	9
128	خياركم أحاسنكم أخلاقًا	10
135	المؤمن للمؤمن كالبنيان	11
140	من صلى علي واحدة	12
146	ما نقص مال من صدقة	13
150	اتقوا النار ولو بشق تمره	14
152	كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته	15

فهرس الأشعار

الصفحة	القائل	طرف البيت
49	ديوان الأعشى	كدعوة أبي رباح
49	أمية بن أبي الصلب	لم تخلق السماء
89+88	ليبيد بن ربيعة	سقى قومي نبي

فهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام
23	الخليل
23	سيبويه
25	القرطبي
25	الزمخشري
26	لجلال الدين السيوطي
26	ابن كثير
26	أبو إسحاق الزجاج
26	أبو بكر بن العربي المعافري المالكي
27	ابن قتيبة
27	الأنباري
27	الجوهري
27	الفراء
30	ابن كثير
31	القرطبي
33	الطبري
51	السيوطي
56	السمعاني
62	الواحدي
64،62	الرازي
64	البغوي
74	الأندلسي
84	الزمخشري
96	ابن مسعود
96	ابن عباس
105	الدكتور عبد السلام جار الله
114	ابن عطية
115	ابن عاشور
114	ابن عطية

المراجع والمصادر

أولاً: القرآن الكريم... ثم:

1. ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد، الأذري الصالحي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ) تفسير ابن أبي العز، جمع ودراسة: شايح بن عبده بن شايح الأسمرى الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: نشر في العددان: ١٢٠ - (السنة ٣٠) - (١٤٢٣هـ) ١٢١ - (السنة ٣٥) - (١٤٢٤هـ) عدد الأجزاء: ٢
2. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ) زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
3. ابن المبرد، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي ت ٩٠٩ هـ الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى، الناشر: دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة - السعودية
4. ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري ت ٣١٩ هـ، كتاب تفسير القرآن، دار النشر: دار المآثر - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م، ج ٢/ ص 720.
5. ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت ١٣٥٩هـ) تفسير ابن باديس (في مجالس التكثير من كلام الحكيم الخبير)، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
6. ابن جزى أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ) التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
7. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي المتوفى : ١٣٩٣هـ تحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

8. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي
ت ١٢٢٤هـ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد الناشر: الدكتور حسن عباس زكي -
القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.
9. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي
(ت ٥٤٢هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي
محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
10. ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية ت
٧٥١هـ، تفسير القرآن الكريم ابن القيم، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية
والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة:
الأولى - ١٤١٠ هـ، ص 187.
11. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤
هـ) تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب
العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ
12. ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان الرومي الحنفي (ت ٩٤٠ هـ في
القسطنطينية)، تفسير ابن كمال باشا (يطبع لأول مرة محققا على ست نسخ خطية)
المحقق: ماهر أديب حبوش الناشر: مكتبة الإرشاد، إسطنبول - تركيا الطبعة:
الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م
13. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ت ٧١٠ هـ، تفسير
النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، الناشر:
دار الكلم الطيب، بيروت
14. أبو الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، أبو حامد، عز الدين ت
٦٥٦ هـ، الفلك الدائر على المثل السائر مطبوع بآخر الجزء الرابع من المثل
السائر، المحقق: أحمد الحوفي - بدوي طباعة
15. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ) تفسير أبي
السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي
- بيروت

16. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ت ١٣٠٧هـ فتح البيان في مقاصد القرآن، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، 410/5.
17. أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تفسير القرآن، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط1 1418هـ - 1997م، ج 1 ص 317
18. أبو بكر بن محمد فوزي، الحكم من المعاملات والمواريث والنكاح والأطعمة في آيات القرآن الكريم
19. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري ٢٢٤ - ٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠، الطبعة: بدون تاريخ نشر، ج15/ص409.
20. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ت ٥٤٢هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ، ج 5/ص223.
21. أحمد عطا عمر، استشكالات الشوكاني على علم المناسبات عرض وتقد، مجلة جامعة الشارقة، العدد 2، المجلد 17 2020م
22. الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تحقيق: علي عبد الباري عطية ط1، 1415هـ، دار الكتب العلمية . بيروت
23. أمية ابن أبي الصلت ابن عوف ابن عقدة بن عنزة، ت: 8 هـ ديوان أمية ابن أبي الصلت، دار صادر بيروت، ط1، 1998، من الرجز ص 129.
24. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط1 1420 هـ، ج 3 ص 444 - 445
25. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط1 1420 هـ.

26. الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعيّ
ت ٩٠٥هـ تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار النشر: دار الكتب العلمية -
بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
27. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير
القرآن = تفسير البغوي، المحقق: حقه وخروج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان
جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة:
الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
28. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت
٦٨٥هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار
إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
29. البيهقي السنن الكبرى 160/7 الحيث : حدثني به المثنى، حدثنا حبان بن
موسى، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن
جده عن النبي صلنا الله عليه وسلم قال: إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج
أماها، دخل بالبنت أو لم يدخل، وإذا تزوج الأم فلم يدخل بها ثم طلقها، فإن شاء تزوج الابنة
.
30. تاج القراء، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى (ت نحو
٥٠٥هـ) غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار النشر: دار القبة للثقافة الإسلامية -
جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت .
31. تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الوردغمي التونسي المالكي، أبو عبد
الله (ت ٨٠٣هـ) المحقق: جلال الأسيوطي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م
32. تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة، محمد بن الحسن
بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت ٤٠٦هـ) دراسة وتحقيق: علال عبد القادر
بندويش (ماجستير) عدد الأجزاء: ١ الناشر: جامعة أم القرى - المملكة العربية
السعودية الطبعة الأولى: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م
33. تفسير إسحاق البستي، أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستي القاضي (ت ٣٠٧
هـ) التحقيق: أطروحتا دكتوراة، الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، كلية القرآن الكريم
والدراسات الإسلامية - قسم التفسير وعلوم القرآن ج ١ (الكهف - الشعراء): عوض

- محمد ظافر العمري، إشراف أحمد بن عبد الله الزهراني، ١٤١٣ هـ ج ٢ (النمل - النجم آية ١٢): عثمان معلم محمود شيخ علي، إشراف عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي، ١٤١٦ هـ
34. تفسير الإمام ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت ٨٠٣هـ) المحقق: د. حسن المناعي الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م
35. تفسير الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ) جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران (رسالة دكتوراه) الناشر: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م
36. تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعي (ت ٩٠٥هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
37. التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩هـ) دار النشر: دار المعارف - القاهرة الطبعة: السابعة عدد الأجزاء: ٢
38. التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي الناشر: دار الوضاح، الأردن - عمان عدد الصفحات: ٢٥٧
39. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (ت ٢٨٣هـ) جمعها: أبو بكر محمد البلدي المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ عدد الصفحات: ٢٣٩
40. تفسير الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت ١٦١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

41. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى .
42. تفسير الحجرات - الحديد (الحجرات، ق، الذاريات، الطور، النجمو القمر، الرحمن، الواقعة، الحديد)، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١ هـ) الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
43. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
44. الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م عدد الأجزاء: ١٠
45. الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
46. الجمل، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد، مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ م، ج 1/ص 128
47. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، (ت ٧٤١هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
48. الخالدي، صلاح عبد الفتاح تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط 3، دمشق: دار القلم، 1429 هـ . 2008،

49. خضر، عبد الله حمد، الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، الناشر: دار القلم، بيروت - لبنان دار الوفاء، 1426 هـ . 2005 م،
50. الخطيب، عبد الكريم يونس (ت بعد ١٣٩٠ هـ) التفسير القرآني للقرآن، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة .
51. الخميس، محمد بن عبد الرحمن، التعقبات المفيدة على كتاب كلمات القرآن تفسير وبيان لمخوف، الناشر: دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ
52. الدمشقي إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م،
53. الذهبي محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، 1398، مكتبة وهبة القاهرة
54. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري ت ٦٠٦ هـ، مفاتيح الغيب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ،
55. الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ج1، طه5، المكتبة العصرية، بيروت. 1420
56. رسالة ماجستير، أحمد عبدالله المقري، القراءات في تفسير الشوكاني فتح القدير، إشراف: الشيخ عبدالقادر شيبية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - السعودية، 1404 هـ - 1405 هـ،
57. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (ت ٣١١ هـ) معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ٥ أعده للشاملة: أبو إبراهيم حسانين .
58. الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر دمشق - سورية، دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م
59. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف، 538 هـ، دار الكتب العربي، بيروت ط 3
60. السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين المصري الشافعي (ت ٦٤٣ هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق وتعليق: د موسى علي موسى مسعود، د أشرف محمد بن عبد الله القصاص الناشر: دار النشر للجامعات الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

61. السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت ٧٥٦هـ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق عدد الأجزاء: ١١
62. سيوييه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشرت ١٨٠هـ، الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م،
63. السيوطي عبد الرحمن ابن أبي بكر، الدر المنثور ت هـ، ف 911 دار الفكر، بيروت ج 8
64. الشاربي سيد قطب إبراهيم حسين في ظلال القرآن ط 1412، 17، دار الشروق، بيروت . القاهرة
65. الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير، تحقيق: عبد الرحمان عميرة، ط 3 المنصورة: دار الوفاء، 1426 هـ . 2005 م،
66. الطبري، محمد بن جرير ابن يزيد الأملي جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن محسن التركي ط 1 دار هجر 1422 2001م
67. الطيار، مساعد بن سليمان، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ط 1، دار الجوزي الرياض، 1422 هـ
68. عباس إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة بيروت. 1983 ط 4 ص 8.
69. العثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم «سورة النساء»، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م: ج 1/ ص 30.
70. عزت، دروزة محمد، التفسير الحديث مرتب حسب ترتيب النزول، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ،
71. عطية، أبي محمد عبدالحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسالم
72. الفراء يحيى بن زياد معاني القرآن دار المصرية تحقيق: أحمد النجاتي محمد النجار عبد الفتاح الشلبي ط: 1
73. الفقيه، الدكتورة إحسان، النقد في التفسير، ط 1428. 2007 م، ص 123.

74. القدومي، سامي وديع عبد الفتاح شحادة، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، الناشر: دار الوضاح، الأردن - عمان .
75. القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر الجامع لأحكام القرآن ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2 1384هـ
76. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة
77. القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري ت ١٣٠٧هـ، فتح البيان في مقاصد القرآن، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م،
78. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت ٣٣٣هـ) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م عدد الأجزاء: ١٠ أعده للشاملة: أبو إبراهيم حسانين
79. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت ٤٥٠هـ) تفسير الماوردي = النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان عدد الأجزاء: ٦
80. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، تحقيق: مصطفى الزيات وآخرون، دار الدعوة القاهرة ص 944.
81. المنظم عبد اللطيف المنظم، توظيف قواعد التفسيران خلال فتح القدير رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالمية . ماليزيا 2011.1432
82. الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣
83. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين ت ٧١٠ هـ، تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م،
84. النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) التفسير البسيط، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام

- محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ
85. النيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين أبو القاسم، نجم الدين (ت نحو ٥٥٠هـ) إيجاز البيان عن معاني القرآن، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ
86. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1 1430هـ،

فهرس المحتويات

6.....	ملخص الرسالة
1.....	المقدمة
6.....	التمهيد:
6.....	التعريف بمصطلحات البحث، وترجمة الإمام الشوكاني
6.....	أولاً: التعريف بمصطلحات البحث.
8.....	ثالثاً: المنهج النقدي عند الإمام الشوكاني السمات والأساليب والمنطلقات:
17.....	رابعاً: التعريف بكتاب فتح القدير ويتضمن نقاطاً عديدة بحسب الآتي:
	-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ⁰ : هو من المصادر الأساسية للإمام الشوكاني، يكثر من النقل عنه حتى عده بعض الباحثين كتاباً مختصراً من كتاب الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، وقالوا إنه يكاد يكون ملخصاً له ولا سيما ما يتعلق بجانب الأحكام الفقهية.
19.....	-الزمخشري ⁰ . في الكشاف: كان كثير النقل عنه والنقد أيضاً.
19.....	-الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي ⁰ : فقد استفاد منه الشوكاني في المرويات.
19.....	-تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ⁰ . واستفاد من دقته.
19.....	- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ⁰ .
20.....	-أحكام القرآن: محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري المالكي ⁰ .
	أما في اللغة: فيذكر ابن الأعرابي وابن قتيبة ⁰ والأزهري والأنباري ⁰ والزجاج والجوهري ⁰ والنحاس والفراء ⁰ وأبا عبيدة وغيرهم.
20.....	
23.....	ثانياً: ترجمة الإمام الشوكاني:
28.....	الفصل الأول:
28.....	منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب اللغة والقراءات والعقائد.
29.....	المبحث الأول: منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب اللغة.
30.....	المطلب الأول:
30.....	تقديمه للتفسير النبوي على المعنى العربي.
38.....	المطلب الثاني: نقده للغويين.
48.....	المطلب الثالث: تقديمه للحقيقة الشرعية على اللغوية.
61.....	المبحث الثاني:

61 منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب القراءات وفيه عدة مسائل.
62 المطلب الأول: إذا كان للكلمة قراءتان أو أكثر يوفق بينهما ويرجح أحياناً.
71 المطلب الثاني: اعتماد الشوكاني على قوة العربية الفصحى في تقييم القراءة.
73 المطلب الثالث: ترجيح المتواترة ونقد الشاذة.
85 المبحث الثالث:
85 منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب العقائد.
87 المطلب الأول: تفسير آيات الصفات.
97 المطلب الثاني: الهدى والضلال.
99 المطلب الثالث: صاحب الكبيرة.
104 المطلب الرابع: دخول الجنة.
106 الفصل الثاني:
106 منهج الإمام الشوكاني النقدي في السياق والمعاني التفسيرية.
107 المبحث الأول:
107 منهج الإمام الشوكاني في النقد في المعاني التفسيرية ودلالاتها.
108 المطلب الأول: تقرير المعاني يكون بناء على اللغة والرواية،
112 المطلب الثاني: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن أمثلة ذلك:
116 المبحث الثاني:
116 منهج الإمام الشوكاني في النقد في جوانب السياق والمناسبات.
117 المطلب الأول: رفض علم المناسبات بشكل عام.
119 المطلب الثاني: القرآن بترتيبه الحالي هو كما أنزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن الترتيب توقيفي من عند الله.
121 المطلب الثالث: التوازن في تطبيق المناسبة بالنص.
123 المطلب الرابع: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
131 الفصل الثالث:
131 منهج الإمام الشوكاني النقدي في السند والمتن والإجماع.
132 المبحث الأول:
132 نقد الشوكاني في جانب السند.
132 المطلب الأول: اعتماد الرواية الصحيحة ونقده للضعيفة، ومن أمثلة ذلك:
136 المطلب الثاني: إذا وجد انقطاع في الإسناد ومن أمثلة ذلك:
138 المبحث الثاني:

138 نقد الشوكاني في جانب المتن .
138المطلب الأول:تأويل النص القرآني الدقيق ومن أمثلته :
141المبحث الثالث:
141 نقد الشوكاني في باب الإجماع .
141المطلب الأول:استدراكه على الاجماع ومن أمثلته :
143المطلب الثاني:اعتماده الإجماع القطعي :
146 الخاتمة
152 فهرس الأحاديث النبوية
153 فهرس الأشعار
154 فهرس الأعلام
155 المراجع والمصادر
165 فهرس المحتويات